آزخ عبر التاريخ

ܡܟܬܒ ܙܒܢܐ ܕܒܝܬ ܙܒܕܝ

ܡܟܬܒܘܬ ܐܙܟ ܝܘܣܦ ܠܚܕܘ

يوسف لحدو مراد

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
History: Cities
Beth Mardutho Library

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܒܝܬ ܡܩܕ̈ܫܐ
ܘܒܕܝܢܐ ܡܢ ܒ̈ܢܝ ܡܠܟܐ ܘܡܪܐ ܕܪܘܚܐ ܢܦܠ ܗܘ
ܠܚܡ ܠܗ ܡܪܐ ܟܠ ܪܚܡܐ ܢܗܘܐ ܠܗ ܡܪܐ ܥܡ
ܚܛܗ̈ܘܗܝ ܕܥܠ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܟܬܒܐ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

- آزخ عبر التاريخ
- بحث تاريخي
- يوسف مراد
- غلاف بشار الياس نعمة
- صورة اللوحة النحاسية مأخوذة من أعمال الفنان جان استيفو
- الطبعة الأولى 500 – 2003
- صدر عن دار عبد المنعم – ناشرون
- موافقة وزارة الاعلام رقم /41519 /
- جميع الحقوق محفوظة للسيد / مراد مراد /

دار عبد المنعم - ناشرون

مؤسسة ثقافية تعنى بنشر الأدب والفكر والعلوم العربية والعالمية

سورية ـ حلب ـ شارع القوتلي ـ ص.ب : 6567 ـ تلفاكس : 2214512

آزخ عبر التاريخ

مقدمـــة:

هذا تاريخ مدينـة آزخ عسـاه يوضـّح بعض معـالم للتـاريخ القديـم ويلقي الأضواء على الأحداث، ويساعد على تقييم مجرى الأمور ووضعها في إطارها الحقيقـي بـالرغم مـن إيجـازه، فيكـون دليـلاً لأبنـاء مدينـة آزخ وسكان المنطقة وبرهاناً لمعرفـة تـاريخهم وتـاريخ المنطقـة كـاملاً منـذ أن رست سفينة نوح على جبل آراراط (جودي) وبرهاناً ثابتاً بما يحتويه من الضعف حيناً ومن البطولات أحياناً:

إن التاريخ هو بمثابة العمر للإنسان، فكلّما مرّت السنون وتقـادمت عليه، تعلم الخبرة والفن والحياة، وهكذا الحال مع التاريخ الذي هـو أعظـم معلم يلقي دروسه وتعليماته للبشرية، وأنه تجربة وحصيلة جهد معطياتهـا، تمكن الإنسـان فهـم الظواهر والأحـداث وتحليلهـا، وإدراك طبيعـة السـنن والقوانين التي تحكم نشاط الجماعات المخلوقة وتطور الحضارات وأسباب سقوطها.

وعلـى المـؤرخ أن يتلافـى النظـر إلـى تـاريخ العـالم كـأحداث عاموديـة، وكعـالم ثابت جـامد مسطح، بـل أن ينظـر إليـه كحركـة حيّـة متطورة، تأخذ بشتّى الاتجاهات والميول والأبعاد، ويجب عليـه أن يعـايش التاريخ والأحداث من تجاربه الفكرية والعقيدية والنفسية لكي يدرك جوهر التاريخ، ويقدم لأبناء عصره ذروة فهم هذه التجارب عبارات واضحة تشع نوراً ومعرفة.

ويجب على المؤرخ أن يعيش مع الأحداث، ويحيلها إلى عمل حيوي وينقيه من التجريد لإدخاله في صميم الحدث، لا أن يقف بعيداً خارج السور وينظر من بعيد.

بل هناك القوى الداخلية وبالأخص الطاقات الروحية التي تجيز للإنسان فهم وتقييم مجرى التاريخ، وتحديد مصيره، لتسهل فهم القراء إلى معرفة تاريخهم العريق، وبالأخص ليطلعوا على التراث الديني الذي أمده لهم المبشرون منذ فجر المسيحية في مدينة آزخ وبلاد ما بين النهرين، على يد الرسول أدى (تداوس) ورفيقه آحي وماري بن سليمان فآمن سكانها ببشارة السيد المسيح سنة ٣٤-٣٥م.

وفي مرآة هذا التاريخ، فقد اعتمدنا على بعض المصادر القديمة قدر ما توفر لدينا منها، ومستعينين بها بما كتبوا وسجّلوا بعد أن درسوا وفحصوا وسلطوا الأضواء من نقد وتحليل علمي دقيق، حين اكتشفوا ما فيها من الصدق الأصيل، ونبذوا المنحول الدخيل، أما التقاليد المحلية، ستقف منها بالحذر الشديد، لأنها لا تنقل إلينا الحقيقة في بعض الأحيان بما نتوخاه في البحوث التاريخية، لأن بعض الفئات كتبت التاريخ حسب خيالها قصصاً وأساطير كثيرة لا تمت بصلة إلى الأحداث التاريخية الحقيقية، وليس لها صلة بالواقع الجاري، أو قد سهوا عمداً عن قصة مثيرة للاهتمام تبقى خافية عن قراء التاريخ.

وقد بذلنا جهدنا بين الأسطورة والتاريخ، وحاولنا كل ما في وسعنا تلافي ما يضيّع الحقائق، فقلنا الحقيقة إذا كانت علينا، على أن يكون هذا البحث التاريخي بعيداً عن الجدل العقيم وموسوم بطابع المحبة والاحترام للناس وآرائهم، وفي بحثنا هذا اضطررنا أن ندرج في فصوله بعض

الأحداث التاريخية الأليمة التي حدثت مع شعبنا السرياني الآشوري والتغيرات الدينية والعقائدية منذ فجر المسيحية، مع شمول بعض المدن والقرى والمعالم الأثرية والعشائر والمناطق التي أصبح لها ارتباط كامل أو جزئي مع مدينة آزخ منذ أقدم العصور، مثل النقوش والتماثيل الموجودة والمستخرجة، التي ورد ذكرها في كتاب العهد القديم أو الأساطير.

وقد ألزمت نفسي أن أكتب عن آزخ عبر التاريخ حسب إلهامي ومعرفتي وبحوثي في طيات كتب المؤرخين العظام لعلني أصل إلى الغاية المنشودة المرجوة، التي خصصت لها من وقتي لكي أقدم هذا البحث التاريخي الأول من نوعه إلى القراء الكرام المحترمين، ولخير شعبنا السرياني الآشوري في القطر السوري الحبيب، وخاصة إلى الذين في بلاد المهجر الكرام ليستقوا معلومات جديدة عن بلادهم العريقة بلاد آرام كلدو آشور الأم، وإلى شعب آزخ البطل في كل مكان من العالم .. تحية فخر وإكبار ..

المؤلف

يوسف مراد - أبو لحود -

آزخ بيت زبدا

تقع مدينة آزخ جنوب نهر دجلة نحو مسافة أحد عشر كيلو متر، وسميّت بيت زبدا أو بازبدي من قبل بعض المؤرخين، ولم يوضحوا في بحوثهم التاريخية شيئاً عن هذه المدينة العريقة بالقدم.

فبياناً للحقيقة ومن الآثار الموجودة فيها التي تروي عن وجود مدينة آزخ عبر التاريخ من واقع المكان والزمان حسب الدلائل المبنية على الحقيقة التي عثر عليها فيما بعد في مدينة آزخ، حيث بنى نوح مذبح للآله (زبدا) (١) وقدم القرابين للرب الآله (٢).

بعد أن استقر الفُلك على جبل آراراط، فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه، فنزل إلى سفح الجبل ليرتاح في مكان اسمه (شرنخ) (٣) ومن ثم يمم نحو الجنوب مع بنوه وامرأته ونساء بنيه، فاجتاز نهر دجلة في مكان اسمه (أرزنخ) (٤) فأكمل سيره نحو الجنوب إلى أن وصل مكاناً

١- زبدا: إنه إله الطوفان والعواصف الذي أنقذ سفينة نوح، بنى نوح مذبحاً وقدم عليه القرابين ذكرى وتخليداً لإنقاذ سفينته من الغرق.

راجع معجم الحضارات السامية لهنري عبودي ص٧٥، وانظر بابل والكتب المقدسة تأليف فريدريك ديلبنش ص٣٨-٣٩.

٢- العهد القديم سفر التكوين الاصحاح ٨-٩ ص١٤ العدد ١٦-١٨.

٣- شرناخ: كلمة آرامية: (ܫܪܐ ܢܘܚ) تعني: ارتاح نوح.

٤- آرزنخ: كلمة آرامية (ܐܪܙ ܢܘܚ) تعني: أشار ـ دلّ نوح على هذا المكان الذي عبر منه فوق نهر دجلة نحو الجنوب.

أعجبه لوجود عين ماء عذب حلو فمكث فيه، وسمّى هذا المكان بيت عيناتا (١).

وابتدأ نوح أن يكون فلاحاً، غرس كرماً، نمت أشجاره وحملت ثمار العنب، صنع نوح خمراً، شرب وسكر حتى تعرّى داخل خبائه (٢) ثم بنى نوح بيتاً ليسكنه مع بنيه وأطلق عليه اسم (كويلو) (٣) ذكرى للسفينة التي رست فوق جبل آرارط.

وقد عاش نوح ثلاثمائة وخمسون سنة من بعد الطوفان، فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسون سنة، وقد وافته المنية. مات ودفن أمام معبد (الآله زبدا) في بيت عيناتا - آزخ.

توالد أولاد نوح وكثروا، أما آرام الأبن الخامس لسام، بنى بيتاً بالقرب من بيت عيناتا - آزخ، وأطلق عليه اسم بيت آرام (باراما) (٤).

فقد ولد لسام بن نوح قبل رحيله من بيت عيناتا - آزخ، خمسة أولاد: عيلام وآشور وارفكشاد ولود وآرام.

١- بيت عيناتا: كلمة آرامية (ܒܝܬ ܥܝܢܬܐ) تعني: دار العز والمجد حين سكن نوح مع بنيه في هذا المكان وبنى مذبح زبدا وقرب القرابين عليه للرب الإله.

٢- العهد القديم. سفر التكوين الاصحاح ٨-٩ العدد ٢٠-٢١-٢٩.

٣- كيول - كلمة آرامية (ܟܘܠܐ) تعني: سفينة نوح: يقع هذا القصر في جنوب مدينة آزخ ولا زالت آثار هذا القصر (كيول) موجودة حتى الآن.

٤- بارما - كلمة آرامية (ܒܝܬ ܐܪܡ) تعني: بيت آرام بن سام بن نوح، ومن هذا المكان رحل آرام نحو الشرق إلى سهل شنعار.

وحدث في ارتحال سام بن نوح مع ولديه أرفكشاد وآرام نحو الشرق فوجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا فيها، لأن أرض شنعار لا تبعد عن بيت عيناتا ـ آزخ سوى مئة كيلو متر نحو الشرق.

ثم رحل عيلام مع ذريته نحو الشرق وسكن في ارض سميت فيما بعد بأرض العيلاميين (١).

أما لود الابن الرابع لسام بن نوح، رحل أيضاً نحو الشرق بمحاذاة جبل آراراط ـ جودي، حتى وصل بالقرب من بحيرة أورمية.

استقرت ذرية لود أبو الأكراد هناك وتوزعت فيما بعد إلى أن سكنت في جبال زغروس (٢) شرقي جبال آراراط.

أما آشور لم يبرح بيت عيناتا ـ آزخ حتى كثرت ذريته وامتدت نحو الشرق. إلى أن وصلت خليج القرنة، حالياً (خليج العرب).

ومن هذا المكان خرج آشور وبني نينوى (٣) لأن المسافة بين آزخ ونينوى هي مئة وثلاثون كيلو متر تحديداً. وكانت هذه البلاد مستوطنات الإنسان الأول (٤)، ويشهد على ذلك ما عثر عليه من ملتقطات أثرية

١- أرض عيلام: هي الأهواز حالياً ـ راجع سفر التكوين الاصحاح ١٠ العدد ١١.

٢- زغروس: كلمة آرامية ([illegible] - [illegible]) تعني: الجبل المنيع الذي يصد الأعداء، إنه جبل عالي جداً يقع هذا الجبل في مقدمة سلسلة جبل آراراط من جهة الشرق ويشرف على سهول بحيرة أورمية.

٣- انظر: بكنغهام جيمس. رحلتي إلى العراق ١-٢٩ وليسترانغ، بلدان الخلافة الشرقية.

٤- راجع تاريخ ماردين، حسن شميساني ص١٦-١٧-٩٥.

مختلفة، منحوتة بأدوات صخرية وخزفية، ونبال وفؤوس وإلى جانب الأبنية الأثرية الموجودة في مدينة آزخ، والتي بجملتها ترتقي إلى عصور ما قبل التاريخ.

وهذه الأصقاع كما دلّت الكتابات القديمة، كانت دار سكن نوح وأولاده (١) بعد الطوفان، كما جاء في سورة هود ١١ الآية ٤٣ وقضي الأمر واستوت على الجودي، ومنها انطلقوا في كل الجهات، حيث نشأت مملكة نمرود الجبار(٢).

وهذه البلاد المسماة بأرض سنعار وبيت (نهراواثا) وباسم ميزويوتامبا (وبين النهرين) كانت مستوطنات الإنسان الأول. وفيها عاشت شعوب كلدو آشور (آرام) أقوى أمم العالم وأشدها بأساً وأبعدها حضارة، تمثل فيما تركته من مدن هي أقدم المدن الحضارية وأعظمها وأعرقها بابل - نينوى واكد وأور والموضع الذي تقوم عليه مدينة آزخ ليس إلا جزءاً من هذه الأصقاع الذي شهد ظهور الإنسان الأول، إنسان ما قبل التاريخ (٣).

١- سورة هود ١١ الآية ٤٣. وقضي الأمر واستوت على الجودي. ومنها انطلقوا في كل الجهات.

٢- على مسافة خمسة كم شمال مدينة آزخ، يوجد صخرة عجيبة شيد فوقها قلعة تشرف على وادي جهنم. وقد شيد هذه القلعة الملك ابو زرد سنحاريب الذي كان يسكن في مدينة آزخ، وقصر الملك سنحاريب لا يزال موجود في جنوب مدينة آزخ.

٣- راجع كتاب القس سليمان الصائغ تاريخ الموصل ص ٣٠-٦٣-٦٤.

إن الآثاري ستون لويد SETON LOYD قام بعمليات الحفر والتنقيب في منطقة سنجار (بين النهرين) وتناولت أعماله المرتفعات والتلال المسماة (كري رسن) (١) وتل حوش (٢) وتل زيارات (٣) القريبة من مدينة آزخ حوالي ثلاثون كم من جهة الجنوب، عثر خلال عمله على مجموعة من المخلفات القديمة، ولدى معاينتها ودراستها تبين انها تعود إلى عصر ما قبل التاريخ (٤).

وقد أمدتنا المعلومات من حقائق تاريخية تفيدنا عن وجود صور على جدران المقابر والكهوف. وصور وتماثيل للملوك على الصخور في مدينة آزخ وفي الأمكنة القريبة منها. ولتوضيح هذه المعالم إلى القراء الكرام بكتاب تاريخ (آزخ عبر التاريخ) وبيان كل ما له صلة وارتباط بمدينة آزخ، مثل أسطورة هاييك الأرمنية وغيرها من القصص والحكايات الحقيقية والأسطورية.

لنعود إلى قدم مدينة آزخ بيت زبدا (٥) عندما بنى نوح معبد ليقدم القرابين للرب الآله، أطلق عليه اسم بيت زبدا آزخ (٦)، وكذلك بنى بيتاً

١- كري رسن: كلمة آرامية (ܟܪܐ ܪܣܢ) أي: تل المقاومة وحد العدوان.

٢- تل حوش: كلمة آرامية (ܬܠܐ ܚܘܫܐ) تعني: تل الحزن والآلام.

٣- تل زيارات: كلمة آرامية تعني: تل النزوح والغربة والهجرة.

٤- انظر: تاريخ ماردين ص٣٥ واسحق أرملة (GAIRE RAACHE).

٥- بيت زبدا: أي بيت الآله زبدا، إله الطوفان والعواصف، راجع معجم الحضارات السامية لهنري عبودي ص٧٥.

٦- آزخ بيت زبدا: كلمة آرامية (ܐܙܚ ـ ܐܙܒܕܐ) أي: بيت الآله زبدا المنتصر.

كبيراً يقع جنوب معبد زبدا وأطلق اسم (كويلو) على هذا القصر، وقد سكنه أولاد نوح مع نسائهم وأولادهم، أما نوح كان يسكن في بيت عيناتا بجانب معبد زبدا ليقدم القرابين للآله الذي أنقذ سفينته من الغرق.

أما قصر الملك أبو زرد سنحاريب الذي أخذت حجارته لبناء دير مار يعقوب بالقرب من القصر من جهة الشمال، حيث لم يصعب على العمال والبنائين من نقل هذه الحجارة الكبيرة إلى الدير لقرب قصر الملك أبو زرد سنحاريب من الدير.

يوجد في الجهة الجنوبية من مدينة آزخ مقابر وكهوف كان يسكنها الإنسان الأول، مما يدل على ذلك وجود رسوم محفورة على الجدران للغزلان والوعول والثيران التي كان يصطادها الإنسان الأول، وقد شيّد قصر البطريرك اسحق الآزخي فوق إحدى هذه المقابر.

أما في شمال مدينة آزخ يوجد مكان اسمه (محفرة دنحو) (١) أثناء الحفر في هذا المكان عثر على جماجم وعظام للإنسان العملاق، الجمجمة كبيرة جداً، وعظم الفخذ ٨٠سم وعظم الساق ١١٠سم، وقد عثر في هذا المكان أيضاً على جرار بداخلها عظام بشرية، لكن هذه العظام ليست كالتي وجدت تحت التراب من حجم الجمجمة وطول عظام الساق، وكانت هذه الجرار تستعمل قبور لدفن الموتى قبل ألفين عام ق.م.

١- محفرة دنحو: كلمة آرامية (ܚܦܪ - ܡܚܦܪܐ) أي: حفر فلح - و (ܕܢܚܐ) إنه عيد الغطاس. لأن أهل آزخ كانوا يأخذون التراب من هذا المكان لشدة بياضه لطلي حيطان البيوت من الداخل والخارج في أيام عيد الغطاس، لذلك سميّ هذا المكان (محفرة دنحو).

ولغاية تاريخه من يود أن يحفر في هذا المكان سيعثر على هذه العظام والجرار. وكان يؤخذ التراب من هذا المكان لطلي جدران البيوت في عيد الغطاس لشدة بياضه، وفي عام ١٩٣٧ عثر على تمثال في قلعة الملك معنو الرابع شقيق الملك أبجر الخامس.

وقد عثر على هذا التمثال القيّم أثناء الحفر في القلعة التي دمرها الزلزال، لأخذ بعض الحجارة للبناء، وقد نقش ونحت التمثال على حجر من البازلت الأسود الذي يكثر منه في غرب مدينة آزخ. طول الحجر ١٢٥سم وعرض الحجر ٨٠سم، وهذا التمثال للملك صدقيا الذي ورد ذكره في العهد القديم - الملوك الثاني ص ٤٨٣-٤٨٤.

وقد نحتوا الصورة نافرة وبارزة على الحجر بطريقة فنية ودقيقة على الشكل التالي:

عربة يقودها جندي أمامها حصان واحد، وعلى يسار العربة جندي واقف وبيده رمح مغروز في العين اليسرى للملك صدقيا، يوجد سلك ممتد من مؤخرة العربة (المركبة) إلى لسان الملك صدقيا، ولسانه خارج فمه، وقد ربطوا السلك بثقب في لسانه، وأيدي الملك مربوطتان من وراء ظهره.

لقد أخذ هذا التمثال القيّم بعد العثور عليه ووضع أمام حائط دير مار شمعون الموجود في شمال مدينة آزخ على الطريق العام، حيث أصبح هذا الدير فيما بعد مقراً لقائمقام مدينة آزخ، ولم يبقَ أحد من سكان مدينة آزخ إلاّ وذهب ليلقي نظرة إعجاب على هذا التمثال الرابض أمام حائط دير مار شمعون.

ظل هذا التمثال هكذا لغاية سنة ١٩٣٨ حيث كنت أزوره مع رفاق الصبا كل من : حنا ملكون هندو وملكي أنطون وميخائيل القس يوسف شاهين وداود عبدو حنوش وابن عمه يوسف حنا حنوش الذي لا يبعد بيته عن مكان التمثال الرابض أمام حائط الدير.

بعد أن تركنا مدينة آزخ من ظلم وتعسف الحكومة التركية هربنا إلى ديريك (١) في الجمهورية السورية أثناء الاستعمار الفرنسي، سألت بعدئذ بعض الأشخاص الذين هربوا من بعدنا عن هذا الأثر القيّم، أجابوا بأن الحكومة التركية أخذته إلى مكان لا يعلم به أحداً من سكان مدينة آزخ.

وقد ترك لنا أجدادنا الميامين هذا الأثر منقوشاً على حجر من البازلت ذكراً خالداً لانتصاراتهم وفتوحاتهم العظيمة، وقد ورد ذكر هذه الملحمة في العهد القديم عند سقوط أورشليم بيد الملك نبوخذنصر سنة ٥٩٧-٥٨٧ ق.م (٢).

مما يدل على أن مدينة آزخ بين عيناتا بيت زبدا كلن لها شأن كبير ومكان مقدس لدى هؤلاء الملوك الذين تبوؤا على عرش الإمبراطورية الكلدانية البابلية والآشورية الآرامية.

١- ديريك: كلمة آرامية (ܕܝܪܝܟ) مكان الاستقرار أي: المستقر في المكان.

٢- راجع العهد القديم - الملوك الثاني ص ٤٨٣-٤٨٤ الاصحاح ٢٤-٢٥ العدد ٥-٦-٧.

سقوط أورشليم

يقول الكتاب: وفي السنة التاسعة للملك صدقيا وفي العاشر من الشعر العاشر زحف نبوخذنصر مع جيوشه على أورشليم وحاصرها وبنوا حولها المتاريس، قد خلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا، وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع اشتد الجوع، ففتح الشعب ثغرة في سور المدينة وهرب الملك صدقيا وجميع الجنود ليلاً من طريق الباب الذي بين السورين، بالقرب من بستان الملك والبابليون محيطين بالمدينة، وذهبوا في طريق غور الأردن، فتبع جيش البابليين الملك حتى لحقوا به في سهل أريحا، حيث تفرق جيشه عنه.

فأخذوه إلى ملك بابل في ربلة بأرض حماه، وحكموا عليه، ذبحوا بنيه أمام عينيه، ثم فقئوا عينيه وأوثقوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل (١).

فالتمثال الذي عثر عليه في مدينة آزخ يشير إلى هذه الحادثة التاريخية ويعبر عنها بدقة متناهية، مما يدل على أن مدينة آزخ بيت زبدا كان لها شأن كبير ومكان مقدس لدى الملك نبوخذنصر البابلي الآرامي،

١- في الجهة الشرقية من مدينة آزخ يوجد آثار قصر قديم جداً أطلق عليه اسم قصر ككو أو كوكو: و(ܟܘܟܳܐ – ܟܘܟܐ) انه اسم بابل القديمة، فليس من المستبعد أن يكون الملك نبوخذنصر قد جلب الملك صدقيا إلى مدينة آزخ حيث قصر ككو أي بابل القديمة.

وإلاّ لما أمر بصنع هذا التمثال ذكرى لانتصاره على الملك صدقيا لكي يضعه في مدينة آزخ لأهميتها الاستراتيجية والإقليمية.

إن مدينة آزخ هي من أقدم المدن في ما بين النهرين، حيث من بيت عيناتا آزخ تفرقت ذرية نوح بعد موته حيث دفن أمام مذبح زبدا الذي بناه ليقدم القرابين للرب الآله. ومن هؤلاء عشائر نوح ومنهم تفرقت الأمم في الأرض (١) بعد الطوفان.

وتوزعوا في بلاد ما بين النهرين، ومنهم من سكنوا في سهول ووديان جبال آراراط (جودي) مثل ذرية لود أبو الأكراد، وعيلام أبو العيلاميين.

وقد كانت هذه البلاد المحدودة من المتوسط غرباً، وبلاد الأرمن وبلاد اليونان في آسيا الصغرى شمالاً، وحدود جزيرة العرب جنوباً، قاطبة كانت تعرف ببني آرام أو الآراميين، نعم إن بعضاً من هذه القبائل كانت تسمّى بأسماء خصوصية، أهل الشام بالآدوميين، والذين كانوا يعبدون الآلهة عمونه بالعمونيين، وأهل آثور الذين عبدوا الآله آشور بالآشوريين، كما وان لها تسميات خصوصية كأهل بابل وما يجاورها بالكلدانيين، فعليه جميع سكان هذه البلاد هم آراميّون ولغتهم آرامية (٢).

أما المؤرخ انطون سعادة ينوّه، أن الآرامي والكلداني انهم شعب

١- العهد القديم: سفر التكوين الاصحاح ١٠ ص ١٧ العدد ٢٢.

٢- راجع فصل في تسمية الآراميين بالسريان وفي بلاد السريان ولغتهم الصحيحة لسيادة المطران أوجين منّا الكلداني.

واحد (١) حسب أبحاث كيدس والدكتور شنكلن، ولكل مؤرخ وباحث رأيه بهذا الخصوص.

يتبين من ذلك بأن شعب (آرام - كلدو - آشور) خرج من هذا المكان الذي بنى نوح فيه معبد (زبدا) إله الطوفان والعواصف وبنى أيضاً قصر كيول (ܟܝܘܠ).

إن هذه الشواهد في البناء والآثار الباقية والموجودة في مدينة آزخ تثبت على أن هذه الأرض كانت سكن نوح وأولاده (٢) حيث من هنا تفرقوا في الأرض فوجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك (٣).

لذلك رأينا من الناحية التاريخية والتراثية أن ندرج في بحثنا هذا جميع القصص والحكايات والملاحم التاريخية والدرامية (الضرامية). التي لها صلة وارتباط كلّي أو جزئي بمدينة آزخ عبر التاريخ، مثل التماثيل والرقم والصور الموجودة منقوشة على الجدران والصخور مثل قصة هاييك مع الملك بعل.

١- انظر نشوء الأمم: للأستاذ انطون سعادة، حسب أبحاث كيدس بهذا الخصوص، وأبحاث الدكتور شنكلن مدرّس في الجامعة الأميركية في بيروت.

٢- راجع: بكنهام جيمس رحلتي إلى العراق ١-٢٩ وليسترانج كي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٩.

٣- العهد القديم سفر التكوين - الاصحاح ١١ - العدد ١-٢ ص ١٧.

➢ قصة هاييك والملك بعل - BEL - ➢

يقول المؤرخ الأرمني موسيس الخوريني إن قصة هاييك أسطورية. لكن وجود آثار تاريخية صورت تلك المعركة التي حدثت ما بين هاييك أبو الأرمن والملك بعل - BEL - بأنها حقيقية وليست أسطورة - LEGEND - على بعد أحد

عشر كيلو متر جنوب مدينة آزخ جرت هذه المعركة في قرية (بابيل) (١) بين هاييك والملك بيل، حيث صوروا ونقشوا هذه المعركة على صخرة كبيرة بيضاء جلبوها من جبل آزخ (إيزلا) (٢) القريب من مكان المعركة، حيث لا يوجد أحجار بيضاء في هذا المكان بتاتاً.

صوروا المعركة بشكل فني رائع على الصخرة، ومن ينظر لهذا المشهد، يرى رجل واقف يصوّب سهم قوسه نحو صدر الملك بعل، وسهم آخر مغروز في صدر الملك بعل الذي يلبس قبعة مخروطية كالتي يلبسها ملوك كلدو آشور، والملك بعل جالس على قفاه متكئاً على كوع يده (٣) اليمنى، رافعاً رجله اليسرى قليلاً وعيونه تحملق برامي السهم، وامرأة

١- بابيل: كلمة آرامية (ܒܝܬ ܒܝܠ) تعني: بيت بيل: أي بيت الملك بيل.

٢- جبل آزخ أو جبل إيزلا: كلمة آرامية (ܛܘܪܐ ܕܐܝܙܠܐ) أي: جبل الصيد والقنص، ويسمى أيضاً جبل الأبيض وجبل آزخ.

٣- كوع: مرفق يده اليمنى.

واقفة بجانب رامي السهم بيدها حجرة تود أن ترشقها على رجل واقع على الأرض يتمنطق بسيف ويلبس برجليه نعل (كلاش).

ولا زالت هذه الصخرة البيضاء موجودة في قرية بابيل إن لم يأخذها الأتراك كما أخذوا تمثال الملك صدقيا الذي وجد في آزخ.

وقد وردت قصة هذه المعركة بين هاييك والملك بيل - BEL - في تاريخ " الأرمن عبر التاريخ " لمؤلفه الأستاذ مروان المدور. حيث يقول: في الواقع تعتبر رواية موسيس الخوريني من قبل الأسطورة " LEGEND " من الوجهة العلمية، وقد نسب هاييك إلى سلالة يافث بن نوح، علماً بأن هاييك كان من القادة الشجعان في جيش الكلدانيين، حيث اسمه يدل على ذلك (١).

يقول المؤلف: وتمرّد هاييك على بيل ملك البابليين عقب دمار برج بابل، فخرج بعشيرته الأرمنية التي عدت ٣٠٠ رجل وامرأة من بابل في " العراق " واتجه شمالاً نحو إقليم آراراط، حيث توقف أثناء مسيرته هذه لفترة من الزمن، بالقرب من إحدى الشعوب القديمة، وقد أخضعها إلى حفيده أرميناك، ابن ابنه قدموس (٢).

١- هاييك كلمة آرامية (ܣܝܓܐ) أي السور والسياج، ويعتبر هاييك من القواد الكبار في جيش بابل، ومعناه الحامي.

٢- يروي الأستاذ مدور خروج هاييك من بابل مع عشيرته وينسب قدموس انه ابن ابنه، إن قدموس كان ملكاً على صور المدينة الفينيقية، ويثبت ذلك انه هاييك وعشيرته بابليين.

ثم غذى سيره نحو الشمال الغربي، حتى وصل سهلاً مرتفعاً (١) وعندما نحا إلى علم بعل - BEL - ملك بابل نبأ تمرّد هاييك عليه، أرسل إليه ابنه عارضاً عليه جملة شروط، منها عودته عن هذا العصيان، فرفض هاييك، عندئذٍ جهز بيل جيشاً كبيراً واتجه إلى موقع هاييك، حيث جرت المعركة بين الطرفين وانتهت بانتصار هاييك على الجيش البابلي. سيما عندما رمى هاييك خصمه بيل بسهم قاتل اخترق صدره وأرداه قتيلاً، فتفتت جيشه وانسحب من أرض المعركة.

رداً على هذه الحادثة، إن بيل كان قد جهز جيشاً كبيراً كما روى الأستاذ مدوّر، وقد غلب هاييك هذا الجيش الكبير ومعه ثلاثمائة رجل وامرأة فقط، حتى فتت جيش الملك بعل، وقد أضعف من قيمة هذا الجيش العظيم وبذلك أصبحت قصة هاييك أسطورية. ولكن قصة هاييك حقيقية وقد جرت تاريخياً.

كان الملك بعل من ملوك البابليين الأقوياء وكان هاييك من قادة جيشه الأشداء، لكن من كثرة المعارك والحروب الطاحنة مع الأعداء الذين كانوا يطمعون للاستيلاء على بابل، من الفرس وغيرهم، وهنت عزيمة هاييك وتعب من تلك الحروب، ففضل الهروب مع عشيرته، على البقاء لخوض تلك المعارك.

١- إن مكان الصخرة البيضاء التي نقش عليها سير المعركة تقع نحو الشمال الغربي من مدينة بابل القريب من جبل آراراط حيث جرت هذه المعركة من مدينة آزخ على بعد أحد عشر كيلو مترا جنوباً.

يروي الأستاذ سدور بأنه هرب مع عشيرته التي تعد ٣٠٠ رجل وامرأة متوجهاً نحو الشمال الغربي من بابل، فلما نما خبر هروب هاييك للملك بعل، جهز جيشاً للحاق به.

أما الملك بعل لم ينتظر جيشه فامتطى حصانه للحاق بهاييك ريثما يصل جيشه، ولما رأى هاييك بأن الملك بعل أصبح قاب قوسين منه، خاف جداً وارتعب، وهو يعلم جيداً بأنه إن لحق به الملك سيقضي عليه وعلى عشيرته كلياً، فأمر من معه رجالاً ونساء بأن يقذفوا الملك بعل بالحجارة عند وصوله إليهم، لكي يشغلوه بقذف الحجارة ليتمكن هاييك من رميه بسهم قاتل.

هجم الملك بعل على هاييك غاضباً ليفتك به، لكن قذف الحجارة انهمرت عليه كالمطر، فأربكت الملك بعل مما أتاح الفرصة لهاييك بأن يصوب سهمه نحو صدر الملك فأرداه قتيلاً، أردك هاييك بأن جيش الملك بيل يتبعه، فإذا رأى ملكه مقتولاً فلا مناص لهاييك وعشيرته من الفناء، فأمر هاييك عشيرته أن يرجموا الملك بالحجارة لكي يخفوا جثته عن أنظار جيشه، ثم هرب هاييك مع عشيرته نحو الشمال حتى وصل جبل آراراط القريب من مكان المعركة.

عند وصول جيش الملك بعل إلى مكان المعركة وجدوا آثار أقدام الخيل قرب كومة أحجار جديدة العهد، فعلموا أن هناك مصيبة، فلما نزعوا الحجارة وقلبوها وجدوا جثة ملكهم تحتها، ولا زال السهم مغروزاً في صدره. ومن ثم جلبوا صخرة بيضاء كبيرة الحجم من جبل إيزلا القريب من مكان المعركة، ونقشوا عليها صورة المعركة التي كانت حصيلتها قتل الملك بعل.

والمهم بالموضوع: ان المؤرخ موسيس الخوريني ويليه الأستاذ مروان المدور، يجعل الأرمن من أبناء يافث بن نوح، حيث تناسل يافث، نوجرمه أو جومر " GOMER " ومن هذا انحدر تيراس ومن نسله جاء هاييك.

يقول المؤرخ رمانس بوفال: إن هذه الحكاية مزورة، ولفقوها تلفيقاً وترويجاً لبضاعتهم، وان اسم هاييك آرامي كلداني ومن مدينة بابل وكان قائداً للجيش الكلداني في بابل.

أما رأي الأستاذ مدور عن قصة هاييك، وأسباب نشوب الحرب بينه وبين الملك بيل، بل وخروج هاييك نفسه من بابل، سببها كان عاطفياً بالدرجة الأولى، وحسب الأسطورة كما يرويها، فيقول: كان الجيشان الأرمني والبابلي يستعدان للقتال، وهو ما يثبته شروط بيل ـ BEL ـ إلى هاييك، خلال الاحتفالات بعيد " ناوصارت " عيد أرمني قديم وثني " رأس السنة " انقلب الآن إلى عيد قومي، وصلت إلى هاييك شروط بيل الثلاثة لإحلال السلام وهي:

١ ـ إطاعة بيل. ب ـ قبول دين فراس المجوسي. ج ـ زواج هايكانوش ابنة هاييك بالملك بيل فيرفض.

٢ ـ ثم يرسل بيل وفداً ثانياً للتفاوض ويعرض الشروط نفسها فيرفض هاييك.

٣ ـ يعرض بيل على هاييك: أ ـ إطاعة بيل. ب ـ تزويجه بهايكانوش، فيرفض أيضاً، بأسر بيل هايكانوش وبعرض الزواج فترفض. عرض

على هاييك تزويجه بهايكانوس يرفض هاييك. فتقع الحرب بينهما حسب رواية الأستاذ المدور (١).

١- ملاحظة هامة:

بابل مدينة قديمة في أرض الرافدين، كانت قاعدة إمبراطورية البابليين الكلدانيين، وتقع على نهر الفرات إلى الشمال من المدن التي ازدهرت في جنوب بلاد ما بين النهرين منذ الألف الثالث ق.م، وبلغت أوجها حضاريةً في عهد الملك حمورابي سنة ٢١٠٠ ق.م، الذي جعلها عاصمة له، دمرها الملك سنحاريب ثم أعيد بناؤها حيث بلغت أوج ازدهارها في دولة بابل الثانية " NEO BABYLON " وفيها بني برج بابل المشهور.

أما البابليون هم الآراميون الكلدانيون، فهم سكان إمبراطورية قديمة في بلاد ما بين النهرين، قامت بعد سقوط وزوال السومريين في الألف الثالث ق.م، على يد سرجون الأكادي، وأسس إمبراطورية عظيمة، وبنى مدينة آكد، وجعلها عاصمة له، حيث سمّي فيما بعد بسرجون الأكادي، وازدهرت حضارة وثقافة، وقد وضعوا النظم الدقيقة في الري والتجارة والقانون الأول في العالم.

وللتأكد من أن هاييك آرامي كلداني الأصل، لأنه كان أميراً وقائداً لجيش بابل ويسكن مع عشيرته في مدينة بابل.

١- راجع: الأرمن عبر التاريخ للمؤرخ مروان المدور وأسطورة موسيس الخوريني ص٩٨-٩٩.

ولما وضع هاييك الأسس الأولية اللازمة لمجتمعه الجديد، ومن سن قوانين على الطريقة البابلية وشريعة حمورابي، من نظم وتوزيع الأراضي، وتحديد المسئوليات والري وغير ذلك من القوانين والأنظمة التي وضعها هاييك بموجب قوانين وشريعة الملك حمورابي لمدة ٤٠٠ عام، أي مدة حياة هاييك.

وبما أن قصة هاييك لها جذور تاريخية قديمة وصلة مباشرة بمدينة آزخ، حيث وجود آثار المعركة التي جرت بين هاييك والملك بيل المنقوشة على صخرة بيضاء موجودة في قرية " بابيل " على بعد اثني عشر كيلو متراً جنوب مدينة آزخ، والصخرة التي جلبها الجنود البابليون من جبل آزخ " إيزلا " ونقشوا عليها صورة المعركة بصورة فنية رائعة، وعملوا تلاً كبيراً على ضريح الملك بعل ـ BEL ـ ليبقى ذكراً خالداً. وأطلقوا عليه اسم " بيت بيل " ـ ܒܝܬ ܒܝܠ ـ

وللتأكد من أن هاييك هو آرامي كلداني، كونه سن جميع قوانينه على الطريقة البابلية وشريعة الملك حمورابي، بعد أن استقر في أرض أرمينيا الحالية، كما ورد في بحث المؤرخ موسيس الخوريني ومروان المدور (١).

١- راجع الأرمن عبر التاريخ وأسطورة موسيس الخوريني للأستاذ مروان المدور ص ٩٨-٩٩.

≺ قصة الطوفان ≻

يقول الباحثون والمؤرخون ان رواية الطوفان أخذها اليهود أثناء سبيهم إلى بابل، لأن اللوحة رقم ٣٦ (١) عن رواية الطوفان والسفينة التي بناها (زيوسودرا) البابلي، حيث أمر آيا آله أعماق المياه، ببناء سفينة بقياسات محددة، وطليها بالقار، ثم نقل أسرته إليها، ويذكر كل شيء بعد دخولهم إليها وإغلاق بابها، وتطفو فوق الأمواج العاتية، حتى تحط أخيراً على جبل " نصير " ثم يأتي النص المشهور:

وعندما حلّ اليوم السابع أطلق الحمامة في السماء، وما لبثت أن عادت لم تجد مستقراً، ثم أطلق السنونو وعاد، أخيراً أطلق الغراب حتى رأى أن المياه انحسرت فلم يعد إلى السفينة، ثم خرج " زيوسودرا " من المركب يقدم القربان حيث يتشمم الآلهة رائحته الذكية، والمثال يوضح ذلك بما ذهبنا إليه: (١).

إن قصة الطوفان انبعثت من الأدب البابلي الكلداني الآشوري، إنها تشبه حقاً قصة الطوفان التي وردت في العهد القديم (٢) وفي قصة الطوفان البابلية الآشورية، نجد أن الفلك المطلي بالقير هو نفسه الذي ورد ذكره في التوراة، ورد ذكر رجل اسمه نوح مع أسرته حذرته الآلهة بقرب حدوث فيضان " طوفان " وانهمار مطر غزير يغرق الأرض ويُميت من فيها، ثم ترسو السفينة على جبل ويرسل ثلاثة طيور، الحمامة والسنونو

١- انظر بابل والكتاب المقدس: تأليف فريدريك ديليتش ص٣٨-٣٩.

٢- انظر كتبوا على الطين: لـ إدوار كييرا، الترجمة العربية ص١٤٥-١٤٦.

والغراب، بعدئذٍ يخرج من السفينة ويقدم القرابين للرب الإله (١)، لأن أوجه الشبه بين الروايتين هو واحد، ويدعو للدهشة، لأن كل شخص يوافق على أن القصتين أصلها واحد، ومن الطبيعي أن تكون بينهما بعض الفروق، علاوة على ملحمة كلكامش البابلية التي يشكل فيها اللوح الحادي عشر رواية الطوفان (٢).

أما قصة الطوفان الواردة في كتاب " صدى التوراة " (٣) ورد فيها نفس القياسات للسفينة والطيور الثلاثة: حمامة – سنون – غراب، أما الذي صنع الفلك هو " زوشورس " كما ورد في الرقم المستخرجة من خرائب نينوى وفيها قصة الخليقة كاملة، فاسم آدم هو لخمو واسم حواء هو لخامو، وينهي العمل في ستة أيام، ويُحرّم العمل في يوم السبت ويأتي النص:

وحطت السفينة على جبل " نيذير " الذي يكثر عليه شجر الزيتون، نزل " زوشورس " من السفينة بعد أن أنهى مهمة الطيور الثلاثة " حمامة - سنون - غراب " الذي لم يعد إلى الفلك، نزل " زوشورس " من الفلك وقرّب الذبائح للآلهة، فأتت كالذباب على الذبيحة.

١- العهد القديم سفر التكوين الاصحاح ٨-٩ ص١٤ العدد ١٦-١٨.

٢- الرواية التي عثر عليها والمكتوبة على اللوح رقم ٣٦ الذي عثر عليه في مكتبة الملك سردنبال في مدينة نينوى حيث يعود تدوين هذا النص إلى الألف الثاني قبل الميلاد، انظر بابل والكتاب المقدس لفريدريك ديليتش ص ٣٦.

٣- انظر صدى التوراة للقس ولش الانكليزي الذي ترجم الرقم المسمارية المستخرجة من خرائب نينوى من مكتبة آشور بانيبال ودوّن هذه المعلومات ص٢٠-٢١.

ويصور لخمو ولخامو عريانين تفصل بينهما شجرة، لخمو على يسار الشجرة ولخامو على اليمين، وبيدها تفاحة تعطيها للخمة، طبقاً لما جاء في العهد القديم (١) والحية لافّة نفسها حول الشجرة ولسانها خارج فمها.

إن القصص الثلاثة عن الطوفان متشابهة من حيث الأسلوب والمعنى، إلاّ أن القصتان البابلية الآشورية لم يأتِ فيهما على ذكر بقاء أو رحيل ذرية " زيوسودرا وزوشورس " مما يدل على أن أبطال الطوفان الثلاثة نزلوا من أفلاكهم (٢) وقدموا القرابين في المكان والزمان لآلهتهم.

أما نوح نزل من السفينة مع بنيه ونساء بنيه، بنى مذبحاً وقدم القرابين للرب الإله على مذبح (زبدا).

وقد جاء ذكر قصة الطوفان في بحثنا لأن لها علاقة وثيقة بمدينة آزخ، وجاء في العهد القديم، وهؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء

١- العهد القديم سفر التكوين الاصحاح٣ العدد ٦-٧.

٢- يقول: أولبريث، لقد أصبح مؤكداً أن القصص اليهودية المتعلقة بالخليقة والطوفان إنها مأخوذة عن طريق الآكديين والعموريين، أما أدوار كيبرا في كتابه: كتبوا على الطين، يذكر بأن قصة الطوفان انبعثت من الأدب البابلي الآشوري ص١٤٦-١٤٧.

تشعبت كل الأرض (١) ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض، لأنهم رحلوا من قصر كيويلو شرقاً إلى بقعة في أرض شنعار وسكنوا وكان رحيلهم بعد موت أبيهم نوح حيث دفن أمام معبد (زبدا) في بيت عيناتا (آزخ).

ظلت مدينة آزخ بيت زبدا بأمان واستقرار في العهود المنصرمة تحافظ على كيانها وعلى معبد (زبدا) المقدس، وكانت لها علاقات خاصة مع الجوار منذ القدم، لأن هذه المنطقة كانت بأسرها وثنية تعبد الأصنام والآلهة الغريبة وكان لكل قبيلة أو عشيرة آله تعبد وتقدسه، ومن هذه العشائر عشيرة مما (٢) وعشيرة هرونية (٣) وعشيرة أومركا (٤) وعشيرة هسنية باولية (٥) وعشيرة هفركا (٦) ولا زالت هذه العشائر لها صلة وثيقة مع أهل مدينة آزخ بيت زبدا حتى الآن.

١- العهد القديم سفر التكوين الاصحاح ٨-٩ العدد ١٨-١٩ ص١٥.

٢- ممو ـ مما: إله بدئي يمثل الضباب معبود سومر وآكد كانت هذه العشيرة تعبد الآله (مما).

٣- هرون: إنه آله الحياة والموت، أخذه اليهود من الكنعانيين فعبدوه، عشيرة هرونية كانت تعبد آله هرون، سميت عشيرة هرونية.

٤- عشير أومركا: كلمة آرامية (ܐܡܘܪܐ) تعني: شاعر قوال: و (ܐܡܪܐ ܡܪܐ) إنه برج الحمل كانت هذه العشيرة تعبد برج الحمل، فكانت تنشد الأغاني والأشعار للآله (ܐܡܪܐ) سميّوا أومركية.

٥- هسنية باولية: كلمة آرامية (ܚܣܝܢܐ ܒܥܠܐ) تعني: عشيرة الأمير الباسل.

٦- هفركا: كلمة آرامية (ܗܘ ܦܪܘܩܐ - ܗܦܪܘܩܐ) تعني: الحاكم الشجاع.

فالأكراد الذين هم من ذرية لود بن سام بن نوح لم تنقطع صلتهم بالسريان الآشوريين أولاد عمهم منذ القديم.

عندما احتل الملك اسرحدون قسم من مملكة مصر ودخل ممفيس سنة ٦٦٩ ق.م ولّى عليها الأمير جمشيد الكردي خمس وعشرون سنة، وبعد ذلك حدثت فتنة ما بين عام ٦٠٩-٦١٦ ق.م، وحصل صراع على الحكم بعد وفاة الملك آشور بانيبال بين خلفائه استهدفت السلطة، انسحب جيش الآشوريين من مصر وانهارت الامبراطورية الآشورية (١).

وبسقوط حران آخر عاصمة للآشوريين سنة ٦٠٨-٦٠٦ ق.م، انهارت الامبراطورية الآشورية بكاملها، ولم تبذل أي جهود لاسترجاعها.

وقد دامت هذه الصداقة المتينة بين السريان والأكراد لغاية دخول الأكراد في دين الإسلام، طرأ على هذه الصداقة بعض الفتور إلاّ أن قسماً منهم بقياً موالياً للسريان الآشوريين بالرغم من المؤامرات التي كانت تحاك ضدهم. من قبل الأتراك بتحريض بعض الملالي الأكراد لإصدار الفتاوي الرخيصة باعتبار المسيحيين مشركين يجب قتلهم وإبادتهم.

أما العشائر الكردية في منطقة آزخ بازبدا ظلت صلة القربى مستمدة بينهم بصورة دائمة، وبالرغم من جميع الإغراءات المالية وإباحة النساء والسطو على الممتلكات، فلم تتمكن الحكومة العثمانية بأن تفرق ما بين هذه العشائر الكردية وأهل آزخ منذ استلام العثمانيين حكم البلاد.

١- راجع الآشوريون في التاريخ: إيشو ملك جوارو ص٢٣-٢٤.

أما بالنسبة إلى تسمية بيت عيناتا بيت زبدا آزخ: فمرده يعود إلى كثرة الانتصارات التي أحرزتها هذه المدينة الباسلة على أعدائها حتى أصبحت تعرف باسم بيت زبدا آزخ (١).

بعد الرجوع إلى المدونات القديمة، لم يثبت شئ من المعلومات بأن الملوك الفاتحين الذين ملكو على عرش كلدوآشور قد حاربوا أو احتلوا مدينة آزخ بازبدا، علماً أن الملك شلمانصر الأول ملك آشور حارب آرامي طورعبدين واحتل مدنهم، وهدم حصونهم، وكانوا أفخاذاً وقبائل كثيرة ضارية بين أنهار دجلة والفرات والبليخ والخابور وذلك في سنة ١٢٧٩- ١١٧٦ ق.م. لكن المؤرخ لم يذكر بأنه حارب آزخ بيت زبدا واحتلها: علماً أن مدينة آزخ لا تبعد سوى عشرين كم عن طور عبدين.

وقد ورد في أخبار تغلات فلاصر الأول ملك آشور سنة ١١١٥ - ١١١٠ ق.م. إنه في السنة الأولى لملكه وتتويجه ملكاً، أقبل بجيش كبير إلى سواحل الفرات ومر بسنجار ونصيبين وماردين وآمد، وشنّ الغارات على الماشكيين وقهرهم وهزمهم، ولم يأتي المؤرخ على ذكر مدينة آزخ لا من قريب ولا من بعيد في مدوناته التاريخية (٢).

١- بيت زبدا: تعني بيت الآله زبدا آزخ: كلمة آرامية: (ܒܝܬ ܙܒܕܐ) أي المنتصر و(زبدا) إنه إله الطوفان والعواصف: تعني بيت الاله زبدا المنتصر: راجع معجم الحضارات لهنري عبودي ص ٧٥ وكتبوا على الطين للمؤرخ العالمي أدوار كبيرا ص ١٨٨.

٢- راجع تاريخ طور عبدين لغبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص ١٩٨- ١٩٩- ٢٠٠.

وأن الملك هدد نيراري الثاني الذي ملك سنة ٩١١ ق.م ومات سنة ٨٨٩ ق.م. ابن الملك آشور دان سنة ٩٢٢- ٩١٠ ق.م أيضاً حارب آرامي طور عبدين، ولم يأتي أيضاً على ذكر مدينة آزخ بيت زبدا، علماً أن مدينة آزخ كانت من المدن الحضارية الهامة في بلاد ما بين النهرين منذ أقدم العصور(١).

فوجود معبد (زبدا) في مدينة آزخ، ولما لهذا المعبد من مكان مقدس لدى هؤلاء الملوك الفاتحين، كان لزاماً عليهم احترام مدينة آزخ ويتحاشون المساس والأذى بسكانها، بل يفضلون صداقتهم. ويقدرون بسالتهم وشجاعته. ويطلبون منهم مساعدتهم في غمرة الحروب والمعارك الطاحنة عند الشدة، لأن سكان مدينة (بيت زبدا) آزخ، تجمعه مع هؤلاء الملوك الأصالة واللغة الآرامية.

فقد صمدت مدينة آزخ، وتمكنت من البقاء بعيدة عن هذه الحروب المدمرة، والويلات التي شهدتها هذه المنطقة من ملوك كلدو وآشور.

وقد ورد في أبحاث المؤرخين وذكروا أسماء مدن وقرى كثيرة كيف دمرت وأحرقت من قبل هؤلاء الملوك، فلم يرد ذكر مدينة آزخ من بين هذه القرى المدمرة، بل دائمة منتصرة. لذلك سميت (بيت زبدا آزخ) أي بيت زبدا المنتصر.

١- راجع أبحاث ادوار كييرا استاذ علم الآشوريات في كتاب: كتبوا على الطين ص١٨٨.

ان وجود تمثال أحد ملوك كلدو آشور في قرية (حسانا)(١) الرابض أمام صخرة بمحاذاة جبل جودي (آراراط) الذي لا يبعد مكان التمثال عن مدينة آزخ سوى أربعون كيلومتر.

ان هذا التمثال الرابض منذ آلاف السنين امام هذه الصخرة البيضاء التي تشرف على ثلاث فراسخ بالقرب من قرية حسانا. لابد أن يكون هذا التمثال لأحد الملوك الذين مرّ ذكرهم وحاربوا آرامي طورعبدين وسنجار وماردين ونصيبين وآمد.

أما قرية حسانا، سكانها سريان آشوريون يتكلمون اللغة الآرامية اللهجة الشرقية، تقع هذه القرية في كف جبل آراراط (جودي) بين فرسخين في الوادي، ينحدر جدول ماء بمحاذاتها من ذوبان الثلوج الموجودة فوق قمم جبل آراراط - جودي، تكثر فيه البساتين وأشجار الفاكهة من كل نوع.

أثناء وجودي في قرية حسانا سنة ١٩٣٦ ذهبت لزيارة عمتي سيده زوجة الأسقف حنا إيليا البروتستانتي الذي كان يبشر ويسعى لجر أهالي القرية لاعتناق المذهب البروتستانتي.

وفي أحد الأيام أخذني ابن المختار المدعو يونان وقال لي: تعال معي لأُريك تمثال أحد ملوك أجدادنا، توجهنا نحو الشمال إلى مكان قريب من القرية، وأراني صخرة بيضاء سداسية الشكل بالقرب من صخرة ملتصقة في الجبل، عند اقترابنا من الصخرة قال: الآن سنرى ملك من

---

١ - حسانا: كلمة آرامية(ܚܣܢܐ) تعني: الحصن المنيع.

ملوك كلدو آشور أجدادنا.

وجدت الصخرة وهي قريبة جداً بمحاذاة الصخرة الملتصقة في الجبل، فلما نظرت إلى هذه الصخرة صورة قد نقّش عليها لأحد ملوك كلدو آشور أجدادنا، كالتالي:

صخرة سداسية الشكل، ٢٠٠× ١٥٠ سم حفروا بعمق ١٥ سم في الصخرة، ثم ابتدءوا بنحت صورة الملك نافرة بشكل فني دقيق للغاية، وبشكل بارز من جوف الصخرة.

الملك واقف مائلاً نحو الشمال، يشير بإبهام (اصبع) يده نحو الشمال، ماسكاً بيده اليمنى الصولجان الملكي، واضعاً يده على صدره، لابساً على رأسه قبعة مخروطية كالتي يلبسها ملوك كلدو آشور، وفي رجله حذاء (كلاش) له رباط ملفوف حول كعب رجليه، لابس قميصاً مزركشاً من الأسفل، شبيه بقمصان المطارين السريان الآشوريين، وقد نقشوا (كتبوا) على صدر الملك كتابة مسمارية على القميص من أعلى صدر الملك حتى أخر القميص المزركش، وقد طلي التمثال بدهان بني اللون فاتح، وقد تأثرت الصخرة التي نقشّ عليها التمثال من عوامل الطبيعة، وتفتت زواياها وجوانبها.

أما الصورة المطلية بالدهان البني ظلت على حالها دون أن يعتريها شيئاً، كأنها طليت حديثاً بالرغم من مرور ثلاث آلاف سنة على صنع هذا التمثال البديع.

والتمثال يرمز بأن هذا الملك كان يشير بإبهامه نحو سير هذه المعركة التي كان يشرف عليها حينذاك.

بعد الإطلاع على هذا الأثر القيم الذي خلفه لنا أجدادنا الميامين من التراثية والتاريخية، أخذني يونان نحو الغرب وتسلقنا الجبل حتى وصلنا إلى فوق، فوجدنا مكان يقال له (عين زركل) (١) مائها عذب وكثير البرودة كالثلج، ووجدنا بعض الآثار القديمة من أبنية وجرار من الفخار مهشمة هنا وهناك بكثرة، حيث هذه الجرار كانت تستعمل قبور للإنسان قبل ٢٠٠٠ عام ق.م. تشبه تماماً التي وجدت في (محفرة دنحو) شمال مدينة آزخ التي وجد فيها عظام للإنسان، وكان على بعض هذه القطع المهشمة بعض الكتابات المسمارية كالتي رأيناها فوق صدر تمثال الملك الرابض أما الصخرة بالجبل، ولقلة إدراكي حينئذٍ بهذه الأمور، لم يخطر في ذهني أن أحتفظ ولو بقطعة واحدة من هذه القطع المنتشرة حول الأبنية القديمة في عين (زركل) كذكرى لزيارة هذا المكان.

بعد خمسة أيام تركت قرية حسانا عائداً مروراً بقلعة (فنك) أو (بنك) (٢) التي يقال لها (فسطرة دبيت زبدا) (٣). القلعة مؤلفة من جبل صخري كبير قائم كأنه حائط مستقيم، ينساب نهر دجلة بمحاذاته، وقد عملت يد الإنسان فيه غرف وشوارع بطريقة النحت والحفر بالآلات البدائية.

١- عين زركل: كلمة آرامية (ܥܰܝܢܳܐ - ܙܪܟܠܐ) تعني: عين الماء العذب للمتبخترين.

٢- فنك أو بنك: كلمة آرامية (ܦܢܟ - ܦܢܟܐ) تعني: حدّ - منع.

٣- فسطرة دبيت زبدا: (ܩܣܛܪܐ ܕܒܝܬ ܙܒܕܐ) حصن أو قلعة بيت زبدا، لأن هذه القلعة كانت خط الدفاع الأول لصد العدوان عن مدينة (بيت زبدا آزخ).

عملوا شارع بعرض ثلاثة أمتار حول القلعة وتركوا حائط يفصل بين الشارع ونهر دجلة كسور يقي القلعة من هجمات الأعداء وينساب نهر دجلة بمحاذاته أيضاً، وقد حفروا أربع شوارع داخل القلعة، وعملوا غرف للسكن فوق بعضها البعض، وعملوا لهذه الغرف أدراج من نفس الصخرة للطلوع والنزول بارتياح. والشوارع مستقيمة ذات زوايا حادة، وعدد الغرف يتجاوز ثلاثون غرفة، ولهذه القلعة باباً واحداً من جهة الشرق، مصنوع من الحجر الأبيض وله مغلاق من الخشب، ولا زال الباب موجود على باب القلعة، وقد سميت (قسطرا دبيت زبدا) لقربها من مدينة آزخ بيت زبدا.

➢ مدينة عوان ـ بينات المدمّرة ➢

ذات يوم ذهبت مع رفيق الصبا حنا ملكون هندو، إلى هذه المدينة التي لا نعلم شيئاً عنها، وذلك لطحن الحنطة في الطواحين المائية الموجودة في (عوان ـ بينات) (١).

بعد وصولنا إلى الطواحين، انتظرنا دورنا لكثرة الناس الذين وصلوا قبلنا ينتظرون دورهم لطحن قمحهم، قلت لحنا ملكون هلمّ نتجول في خرائب هذه المدينة المدمّرة، أثناء تجوالنا في خرائب المدينة التي

١- عوان ـ بينات: كلمة آرامية (حَثْم - حَمُمُا) تعني: أعان ـ ساعد. وبينات (حَىُا - حُىمُاا) تعني: بنى ـ عمّر أي: ساعد في البناء والعمران.

طولها ١٥٠٠ متر وعرضها حوالي ٥٠٠ متر تقريباً، يمر في وسطها جدول ماء يقسم المدينة إلى قسمين، تتجمع مياه هذا الجدول من ذوبان الثلوج المتراكمة فوق جبل آرارات - جودي.

إن مدينة (عوان - بينات) خربة ومهملة لم يرد لها ذكر في كتب المؤرخين إطلاقاً، بالرغم من مساحة أرضها الكبيرة، وأناقة بناء قصورها في هذا الوادي السحيق، حيث تقع هذه المدينة بين جبلين، يطل عليها جبل بشكل شاقولي من جهة الشرق، يصعب على الإنسان الطلوع والنزول منه، أما الجبل الذي من جهة الغرب ينحدر تدريجياً حتى يصل بجوار المدينة الخربة.

أما أبنية المدينة تتألف جميعها من طابقين، وبعض الأبنية من ثلاثة طوابق من الحجر الأبيض والكلس والجص الذي كان يستعمل في ذلك الزمان.

أثناء تجوالنا بين خرائب المدينة وجدنا بناء كبير يعلو فوقه قبة للناقوس، علمنا أنها كانت كنيسة أنيقة فقد تهدم سقفها وبعض الأجزاء من الحيطان، وقد وجدنا في الجهة الغربية من المدينة مقبرة لدفن الموتى وصور صلبان على أحجار القبور، مما يدل على أن هذه المدينة المدمرة كانت من المدن التي قبلت بشارة السيد المسيح.

وقد دمرت هذه المدينة الكبيرة بأكملها دون أن يأتي على ذكرها أحد من مؤرخي الكنيسة، وحتى في كتب المؤرخين والباحثين، بعد أن أنهينا مهمتنا قفلنا راجعين مروراً فوق نهر دجلة بواسطة كلك مروراً

بقرية (بافيا) (١) التي سكانها ينتمون إلى عشيرة هرونية حيث قدمت هذه القرية أثناء الحصار على مدينة آزخ، المساعدات والإعانات وذلك بإيواء بعض العائلات بعد اندحار الجيش التركي والعشائر الكردية والمرتزقة سنة ١٩١٦.

ومن هذه العائلات لحدو مقسي مراد وملكون بن القس توما هندو، وكبرو مراد الحكيم، الذي يستعمل الطب العربي لمعالجة المرضى، وشمعون خاني وبهنان يوسف كردو وشمعون كبرو جبّو الملقب شمعون حانا.

وقد أتيح لهذه العائلات العيش الرغيد والتقدير النبيل والأمن والسلام من قبل سكان قرية (بارما).

١- بافيا كلمة آرامية (ܒܝܬ ܦܐܝܐ) تعني: البيت الجميل.

قريـــة اسـفــس

تقع قرية إسفس (١) على بعد أربعة كم شمال مدينة آزخ، لقد شيّد الملك أبو زرد سنحاريب قلعة فيها، على الصخرة الكبيرة التي يقال لهذه الصخرة، (صخرة الملك نمرود) التي تطل على وادي جهنم، وتعتبر قرية اسفس ضاحية من ضواحي مدينة آزخ، وفيها مقابر وكهوف عجيبة ليس لها مثيل في بلاد ما بين النهرين، يمر في وادي جهنم نهر يصب في نهر دجلة بالقرب من قرية (بافيا).

وعندما يرى المرء هذه المقابر المحفورة في صخرة الملك نمرود وعلوها الشاهق عن قاع وادي جهنم، عدى المقابر التي تعد بالمئات بمحاذاة النهر لإيواء المواشي والأغنام، وقد صنع هذه المقابر الإنسان الأول لسكناه.

صخرة الملك نمرود تبدأ نزولاً من قلعة الملك أبو زرد سنحاريب بشكل شاقولي بمسافة ألفين وخمسمائة متر نزولاً إلى قاع الوادي، وبعرض ألف وخمسمائة متر تقريباً، كأنها نشرت بمنشار من فوق حتى أرض الوادي، وعلى علو متر ونصف تقريباً، ابتدأ الإنسان بحفر نفق داخل الصخرة بشكل مستدير بقطر ١٠٠×١٠٠ سم متوجهاً نحو الأعلى، وقد عملوا لهذا النفق درجات مريحة بشكل مائل، وعلى مسافة كل ٥٠ متر عملوا فتحة للتهوية بقطر ٥٠ سم، حتى وصلوا إلى علو خمسمائة

١- اسفس: كلمة آرامية (ܐܣܦܣ) تعني: أفعى - صلّ - حية، أي: قرية الأفاعي.

متر عن قاع الوادي، ومن ثم ابتدءوا بحفر الغرف اللازمة لسكن الإنسان وبشكل فني دقيق، مربعة الشكل، تمتد هذه الغرف عن النفق الذي يتوسط هذه الغرف شرقاً وغرباً، ومن فوهة النفق ابتدءوا بعمل شارع بعرض مترين شرقاً وغرباً بطول مائة وخمسون متراً، أيضاً عملوا درابزين بعلو ١٥٠ سم، ودرابزين يتدلّى من فوق يفصل بينهما فتحة على طول الشارع من نفس الصخرة نحتاً سعة الفتحة ٧٥ سم، وذلك للتهوية ومراقبة قاع الوادي من الأعداء، وقد حفروا آبار في الشارع الممتد بين كل بئر عشرون متراً، وكانت تستعمل هذه الآبار لخزن المياه وبعض الآبار لخزن المواد التموينية التي كان الساكنون يحتاجون إليها.

حضّروا الغرف وقسّموها تقسيماً فنياً، يوجد في كل غرفة في هذه الغرف، طاولة وأربع كراسي من نفس الصخرة، ولكل غرفة لها مصطبة (١) بجانب الحائط من نفس الصخرة للجلوس عليها.

كل غرفتين أو ثلاثة غرف متصلة مع بعضها بفتحة (شباك) (٢) مما يدل على أن كل غرفتين أو ثلاثة غرف كانت تسكنها عائلة واحدة، ولأجل الاطمئنان والأمن لحماية الساكنين في هذه الغرف العالية عن قاع الوادي (٥٠٠) متر، عملوا صخرة مسطحة ومدورة كانت توضع فوق فوهة النفق تسند بعامود من الخشب بسقف الممر لتأمين حياة الساكنين من القدر.

١- مصطبة: كلمة آرامية (ܡܨܛܒܐ) تعني: مصطبة ـ دكّة.

٢- شباك: كلمة آرامية (ܟܘܬܐ) تعني: طاقة ـ شباك.

وتعد هذه الغرف المعمولة في الصخرة بالعشرات، وقد نحتت هذه الغرف والشارع الطويل والدرابزين الطالع والنازل وتفصل بينهما تلك الفتحة بطول هذا الشارع بشكل هندسي وبطريقة فنية ودقيقة جداً، وكل من يزور قرية إسفس وينزل إلى قاع وادي جهنم (١) ويطلع في النفق إلى فوق ليلقي نظرة على هذه الغرف، يسأل: كم من الوقت قد استغرق هذا الحفر في الصخرة ؟. وبأي المعدات والآلات قد تمّ حفرها ونحتها على هذا العلو الشاهق عن قاع الوادي ؟. وبالأخص ميلان النفق الطالع نحو الأعلى وحفر درجاته بهذا النسق والشكل الهندسي والفني الدقيق، يخالها الرائي إنها من عجائب الدنيا السبع.

أما وادي (كلي كور) (٢) الممتد من الشمال نحو الجنوب حتى ينتهي عند قاع وادي جهنم بطول ١٥٠٠ متر تقريباً، وقد حفرت مغاير وكهوف على جانبيه من قبل الإنسان بالمئات من أول الوادي حتى آخره، ولا زال يسكن في هذه المغاير والكهوف حتى الآن قسم كبير من عشيرة أومركا الكردية، ولا يوجد بيوت حديثة إلاّ بعض البيوت لا يتجاوز عددها عشر بيوت، وكانت هذه العشيرة تعبد النجوم (برج الحمل) وتنشد الأغاني والأشعار لبرج الحمل والنجوم.

١- وادي جهنم: إنه وادي عميق لا يمكن النزول إلى قاعه إلا بصعوبة جداً، لذلك سمي وادي جهنم.

٢- كَلي كور: كلمة آرامية (ܟܠܐ - ܚܙܘ) تعني: وادي الخزي والعار، (ܟܠܐ) وادي (ܚܙܘ) خزي.

قرية خراب رابون (١)

ينتمي سكان هذه القرية إلى عشيرة هسنية باولية منذ وجود هذه العشيرة في منطقة آزخ حافظت على الصداقة والمحبة مع مدينة آزخ، على الدوام وفي المحن الصعبة والظروف القاسية.

في عام ١٨٣٤ انضم رجال هذه العشيرة إلى رجال الشماس اسطيفو عندما دعت الحاجة، وحاربت جنباً إلى جنب ضد رجال يوسف آغا زناوري الذي جلب معه عشرات الآلاف من المرتزقة والعشائر الكردية لمهاجمة مدينة آزخ، وبمساعدة هذه العشيرة ورجال عشيرة (مما) (٢) لقد أتاحت الفرصة للشماس اسطيفو التقلب وقهر رجال يوسف آغا زناوري.

١- خراب رابون: كلمة آرامية (ܟܪܒ ܪܒܐ) تعني: فلاح الأمير.

٢- مما: إله بدني يمثل الضباب والسيول، معجم الحضارات السامية لهنري عبودي ص٧٥.

قرية ريزوق (ريزوك)

تقع هذه القرية بلحق جبل (علم) (١) جنوباً. ينتمي سكان هذه القرية إلى عشيرة هسنية باولية؛ وفي أول يوم من شهر تموز من كل عام يذهب أهل آزخ إلى فوق رأس جبل الـ (علم) ليحتفلوا بعيد العنصرة، إنه عيد قومي ديني وثني منذ بناء معبد (زبدا) على يد نوح بعد أن سكن في بيت عيناتا وبنى قصر (كيويلو) كان سكان قرية (ريزوق) (٢) يشاركون أهل آزخ بهذه الاحتفالات القومية والدينية، ويقدمون الذبائح وينشدون الأغاني والأشعار القومية والدينية فوق جبل الـ (علم).

ظلّت هذه العادات والتقاليد الشعبية مستمرة حتى نزوح أكثرية سكان مدينة آزخ من ظلم الأتراك في أوائل سنة ١٩٣٥-١٩٣٦ وسكنوا في ديريك بسوريا وطنهم الأم.

١- علم: كلمة آرامية (ܥܠܡ ܥܠܡܐ) تعني: خلّد - جدد - ذكرى، إن أهل آزخ كانوا يحتفلون بانتصار آله (زبدا) وبيت زبدا آزخ، تعني: بيت الآله المنتصر.

٢- ريزوق: كلمة آرامية (ܪܙܩ – ܪܙܩܐ) رزق - منح - الرازق - المانح.

قرية بارما

تقع قرية (بارما) جنوب مدينة آزخ بمسافة خمسة كم. وقد بنى آرام بن سام بن نوح هذا القصر قبل رحيله إلى أرض شنعار على رأس هضبة في آخر سلسلة من جبل (إيزلا) التي تشرف على السهل المؤدي إلى جبل سنجار.

ينتمي سكان قرية (بارما) إلى عشيرة العليكية، التي تربطها مع أهل آزخ أواصر الصداقة المتينة وماضٍ مجيد عند السراء والضراء.

أثناء حصار مدينة آزخ من قبل الجيش التركي العثماني والعشائر الكردية والمحلمية والمرتزقة سنة ١٩١٥-١٩١٦م، كان أهل آزخ بحاجة ماسة إلى البارود لبنادقهم القديمة ومادة ملح الطعام النادر الوجود.

في هذا الوقت العصيب ومدينة آزخ تحت الحصار، كان أهل بارما يجلبون هذه المواد ويدخلونها ليلاً بفتحات السور المخصصة لذلك، وفاء وعربون محبة وإخلاص لأهل آزخ.

ظلّت العشائر الكردية على وفائها ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع أهل آزخ منذ القدم، ولغاية دخول الأكراد في دين الإسلام، وبالرغم من ذلك، لم يتمكن الأتراك بواسطة الملالي الذين كانت الحكومة العثمانية تغدق عليهم الأموال وتحرضهم على قتل المسيحيين في منطقة آزخ، وقد فشلت الحكومة العثمانية في الإيقاع بين هذه العشائر الكردية وأهل آزخ، فلم تهمل المراجع ذكر الأكراد في ديار الجزيرة كافة، فتحدثت عنهم وعن

أعمالهم والمتاعب والاضطرابات التي سببوها للمنطقة والهموم التي حملوها للسلاطين والحكام الأتراك (١).

قامت حركات ثورية كثيرة ضد الحكم العثماني في كثير من المناطق، إلاّ انه قد قضي عليها بواسطة رجال الدين الأكراد الذين كانت الحكومة العثمانية تحرضهم وتغدق عليهم الأموال والمناصب العالية.

وإخفاق كل ثورة كردية كان من ورائها رجل دين كردي، وأكبر مثال على ذلك مؤامرة الملا محمود بيازيدي ومحمد البوطي على الأمير بدرخان بك حاكم جزيرة بن عمر والبوطان سنة ١٨٣٤م.

≺ أصل الكورد والأكراد ≻

أما مَن هم الأكراد، وما أجناسهم وأنواعهم، فالمؤرخون اختلفوا في ذلك، وذهبوا مذاهب شتّى، من قائل إنهم من أصل عربي، وانهم هاجروا مع غيرهم من القبائل العربية من جنوب الجزيرة وسكنوا المناطق الجبلية واختلطوا بسكانها ونسوا لغتهم العربية، وكوَّنوا الشعب الكردي.

١- راجع المعاضيدي: دولة بني عقيل في الموصل ص١٣٣ وشميساني مدينة سنجار ص٢٤٧.

إننا ندرج كافة الآراء وشتى المذاهب عن أصل الكورد والأكراد، من قائل، وتنازع الناس في بدئهم، فمنهم من رأى انهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، انفردوا في قديم الزمان وذهبوا إلى الجبال والوديان، دعتهم إلى ذلك الآنفة، وجاوروا من هناك الأمم الساكنة والمدن والعمائر من الأعاجم والفرس فمالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية، وأصبحوا أنواع، لكل نوع منهم لغته الكردية (١).

ومن الناس من رأى انهم من مضر بن نزار بن كرد بن مرو بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وقيل من ولد عمرو بن مزيفا بن عامر ماء السماء (٢) ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر وقد اعتصموا في الجبال طلباً للحياة والمراعي، فمالوا عن اللغة لما جاورهم من الأمم.

ويضيف المسعودي رأياً آخر فيقول: ومن الناس من ألحقهم بآماء سليمان بن داود حين سلب من ملكه ووضع على نسائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد، فعلق منه المنافقات، فلما ردّ إلى ملكه ووقع تلك النساء الحوامل من الشيطان قال:

اكردوهن إلى الجبال والأودية، فربتهم أمهاتهم، وتناكحوا وتناسلوا

١- المسعودي: مروج الذهب ص٢-١٢.

٢- المسعودي: مروج الذهب ص٢-١٢٢ ، نرى أن المسعودي له رأيين مخالفين عن أصل الكورد والأكراد كغيره من الباحثين.

فذلك بدء نسب الأكراد (١).

لقد توصلت بعض المراجع إلى القول بأن الأكراد من عنصر الآري، كانوا قد وفدوا من شرق إيران إلى بلادهم الجبلية الحالية، واختلطوا بالآشوريين السكان الأصليين وامتزجوا وكوّنوا الشعب الكردي.

أما الكاتب المصري القلقشندي قال في نسب الأكراد: انهم من بني إيران بن آشور بن سام بن نوح (٢).

١- شميساني مدينة سنجار عن المسعودي ص٢٤٨، إذ نجيب على المسعودي بآرائه الثلاثة: التي تتناقض مع بعضها البعض، فمن عنده العقل والإدراك لا يقبل البتة آراء المسعودي بأن الشيطان قد نكح نساء سليمان، وكتاب العهد القديم لم يذكر بأن سليمان أزيل من ملكه، وأيضاً يغالط نفسه حيث يقول: بأن الأكراد هم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، مروج الذهب ص٢-١٢، يعود فيقول: وقيل من ولد عمرو بن مزيقا بن عامر ماء السماء، المسعودي مروج الذهب ص٢-١٢٢.

٢- جاء في كتاب صبحي الأعشى ١-٣٦٩ عن القلقشندي في نسب الأكراد كونهم من بني إيران بن آشور بن سام بن نوح، فيثبت بذلك بأن الأكراد هم من الساميين وليسوا آريين.

◄ قصة لعنة الرسول على الكورد ►

جاء في كتاب البدليسي حول دعاء الرسول على الكورد، قال: لما ذاع صيت النبوة المحمدية في الآفاق، ودوى صدى الدعوى الإسلامية في أرجاء العالم، واهتمت الملوك وسلاطين البلاد إلى هذا الحدث العظيم والظاهرة الجديدة، رغبت بأن نتشرف بالخضوع إلى هذا السيد الكريم، بتقديم الطاعة له، أرسل أغورخان عظيم ملوك تركستان وفداً إلى فخر المسلمين وسيد الأنام في المدينة المنوّرة، على رأس الوفد شخص اسمه بغدور ـ BAGDOUR ـ من أعيان الكورد، وكان كريه المنظر، فظاً غليظاً شديد المراس، فلمَا وقع نظر النبي على هذا الرسول الكريه المنظر والضخم الجسم، فزع ونفر منه نفوراً شديداً.

فسأله الرسول عن قبيلته والجنس الذي ينتمي إليه، فأجابه بأنه من الطائفة الكردية، وعندئذٍ دعا الرسول عليهم قائلاً:

لا وفّق الله تعالى هذه الطائفة إلى الوفاق والاتحاد وإلاّ فإن العالم يهلك على أيديهم إذا اتحدوا (١).

يدّعي عدد من الباحثين بأن الكورد جاء ذكرهم بالألواح السومرية باعتبارهم الكونو أو الكوني وقد سمّاهم الآشوريون فيما بعد (الكرثي).

١- القضية الكردية، عن لعنة الرسول على الأكراد ص٢٨-٢٩.

أما المستشرق هارولد لامب، يقضي أن الأكراد عرب وإن تشبهوا الكورد بأمور كثيرة، لكنهم ليسوا منهم، ويؤكد الكاتب المصري القلقشندي على صحة نظرية كون الكورد من مزيج من شعوب شتّى ومن بينهم قد تكون قبائل عديدة فاستكردت، فالأكراد وإن دخل في نوعهم كل جنس، فإنهم جنس من نوع عام.

إن القلقشندي يناقض نفسه كالمسعودي في مروج الذهب، فيقول القلقشندي بأن الأكراد هم من بني إيران بن آشور بن سام بن نوح.

إننا نؤكد مرة ثانية بأن الأكراد هم من نسل لود شقيق آشور وانهم ليسوا آريين بل هم ساميين كما ورد في بحثنا في الصفحة ـ ٦ ـ حيث رحل لود من بيت عيناتا بيت زبدا آزخ بعد موت جده نوح نحو الشرق بمحاذاة جبل جودي حتى وصل بالقرب من بحيرة أورمية، وتوزعت ذريته فيما بعد وسكنت في جبال زغروس وآراراط، وقد اختلطوا مع الآشوريين الكلدانيين أولاد عمهم. وقد أطلق عليهم بعض المؤرخين اسم الخالديين (١).

أما المقريزي في كتابه (السلوك) ينسب الأكراد إلى كرد بن مرو بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

١- خالديين: كلمة آرامية (ܟܠܕܝܐ) تعني: كلدانيين: لأنه باللغة الآرامية حرف الكاف يلفظ (خ) فيمكنك أن تقول: خلدانيين.

يعود فيقول: وقيل انهم من بني حميد بن طارق الراجع أبي حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب (١).

هنا أيضاً المقريزي يغالط نفسه كالمسعودي والقلقشندي حول نسب الأكراد ولم يثبتوا على رأي واحد، بل آرائهم ليست إلاّ فرضيات بنسب الأكراد.

إن الأقوال في نسب الأكراد كثيرة ومتنوعة، وأبو شمس الدين الأنصاري الدمشقي في كتابه " نخبة الدهر وعجائب البحر "، يقول: هم من الأجيال المنسوبة إلى العرب، والملتحقين بهم الأكراد، وان الأكراد من العرب ثم تنبطوا وهم أعراب فارس.

أما الكاتب الكردي علي سيدو الكوراني يؤيد رأي تكوين الكورد من شعوب شتّى وحضارات مختلفة قديمة جداً، استوطنوا جبال زغروس (٢) والجبال المتفرعة.

لكن البدليسي في كتابه: " الشرقنامة "، يقول: بأن جزيرة البوطان وهي الموطن الأصلي الذي يعتبره الكرد بأنهم انطلقوا منه (٣). مما يثبت بحثنا بأن لود بن سام بن نوح انطلق من بيت عيناتا (آزخ). نحو الشرق

١- راجع كتاب السلوك للمقريزي في نسب الأكراد، حيث يوصل نسب الأكراد إلى جد الرسول.

٢- زغروس: كلمة آرامية (ܙܓܪܘܣ) تعني: صدّ ـ منع، أي: الجبل المنيع.

٣- بوطان: كلمة آرامية (ܒܘܛܢܐ) تعني: متخفّي ـ متستّر، وبوطي أي المتخفّي في الوديان ورؤوس الجبال، وأكراد البوطان، تعني الأكراد المتخفيين في الوديان، هذا الاسم أطلقه عليهم الآشوريون، وعرفوا بأكراد البوطان.

حتى وصل زغروس والجبال المتفرعة وسهول بحيرة أورمية (١).

وقد تضاربت الآراء بين جلّ المؤرخين في نسب الأكراد، فمن قال: إنهم عرب حتى أوصلوا نسبهم إلى جد الرسول قصي بن كلاب جد الرسول، ويرى بعض الناس انهم من مضر بن نزار (٢).

ويذكر بروكلمان في كتابه، ان الأكراد شعب إيراني (٣) ويُساند هذا الرأي العالم الروسي مينورسكي فيقول: إن الكورد قوم من الإيرانيين وان الأكراد مزيج من قبائل عديدة متنقلة وليسوا من دم واحد.

ويرجح الباحث الروسي نيكيتين، من أن اختلاط واضح غير إيرانية، مما يدل على أن كثير من العشائر الكردية يعود أسمائها إلى أصل آرامي آشوري، مثل عشيرة الجاف (٤) وعشيرة الخالدية (٥) وعشيرة القيسانية (٦) وغيرها من العشائر الذي يعود أصل أسمائها من اللغة

١- البدليسي في كتابه " الشرفنامة " يثبت بأن موطن الأكراد هي جزيرة البوطان. واسم جزيرة بوطان هو (ܓܙܪܬܐ ܕܒܝܬ ܙܒܕܐ) أي جزيرة بيت زبدا. ويقال لها أيضاً (ܩܪܕܘ ܕܒܝܬ ܙܒܕܐ) أي: أكراد بيت زبدا آزخ.

٢- راجع كتاب مدينة الموصل لشميساني ص٢٤٨.

٣- رأي بروكلمان والعالم الروسي مينورسكي، إن الكورد قوم من الإيرانيين.

٤- جاف: كلمة آرامية (ܓܦܐ) تعني: كهف أو جوف الوادي، لأن هذه العشيرة كانت تسكن الكهوف والوديان.

٥- خالدية: كلمة آرامية (ܟܠܕܝܐ) تعني: كلداني آرامي، لأن حرف الخاء يصبح كاف وبالعكس في اللغة الآرامية، مثل كلدو - خلدو.

٦- قيساني: كلمة آرامية (ܩܝܣܐ) تعني: الصليب أو الوثن الصنم لأن هذه العشيرة لعلّها كانت مسيحية أو عابدة صنم قبل الإسلام، لأن هذه العشيرة أصلها كلداني آشوري.

الآرامية الآشورية.

ومهما يكون أصل الأكراد، فهناك من نسبهم إلى جد الرسول وهناك من قال ان الرسول قد لعنهم، فكيف يلعنهم وهم من نسله (١)، وهناك من جعلهم من نسل الشيطان (٢)، وهذه الآراء جميعها لا تمت بصلة إلى أصل الأكراد.

ومهما تعددت الآراء واختلفت حول أصل الكورد، وبالرغم من اختلاطهم مع غيرهم من الأقوام، فإن الأكراد هم ساميين من ذرية لود بن سام بن نوح، وليس كما ذكر القلقشندي بأن الأكراد هم بني إيران بن آشور بن سام بن نوح.

إن أولاد سام هم: آشور وارفكشاد وعيلام ولود وآرام (٣).

وقد جاء ذكر نسب الأكراد وأصلهم وفصلهم في هذا البحث التاريخي ليعطي أضواء جديدة وبيان مميز عن أصل الأكراد، لأنهم من أصل سامي انطلقوا من المكان الذي سكن فيه نوح وبنيه ونساء بنيه، بعد نزوله من السفينة التي رست فوق جبل آراراط، حيث بنى معبد (زبدا) وعمّر قصر (كويلو) ذكرى لسفينته (٤) التي ظلت فوق جبل آرارط

١- راجع كتاب البدليسي، حول دعاء الرسول على الكورد ص٣٠-٣٢.

٢- انظر المسعودي مروج الذهب ص٢-١٢-١٢٢، وسميساني مدينة سنجار ص٢٤٨.

٣- العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ٨-٩-١٠-١١ العدد ١٨، ١٦-٢٠-٢١.

٤- كويلو: كلمة آرامية (ܟܘܠܐ) تعني: سفينة نوح، لقد شيّد هذا القصر في بيت عيناتا آزخ، ذكرى لسفينته التي ظلت فوق جبل آراراط.

(جودي).

إن عشائر الأكـراد القـاطنين فـي منطقـة بيـت عيناتـا التـي أصبـح اسمها فيما بعد آزخ بيت زبدا إنهم من الأصدقاء الأوفياء منـذ القديـم، قبـل المسيحية والإسلام، لأن هذه العشائر كانت تعبد الآلهة والأوثان التي كانت عبادتها منتشرة في بيت عيناتا (آزخ) وبلاد ما بين النهرين وكلدو آشور.

ندرج بعض أسماء الآلهة الذيـن كـانوا يعبدونهـا فـي بـلاد مـا بيـن النهرين:

١) ايزيدا: أصبح هذا الآله باسم نابو البابلي وسكان ما بين النهرين.

٢) زبدا: شبيه بآله العواصف والطوفان (داجان) معبود آكد وماري.

٣) مما ـ ممو: إله بدئي يمثل الضباب والعواصف، معبود سومر وآكد.

٤) شاباش: إنه اسم الشمس.

٥) بعلبك: بل إله البقاع حيث تركد المياه.

٦) مكة: معناه: البيت.

٧) نل: سومرية الأصل - NEL -

٨) الحيرة: المعقل ـ الحصن.

٩) هرون ـ هورون: إله الحياة والموت كنعاني الأصـل، أخـذه اليهـود فعبدوه.

١٠) لخمو ـ لخامو: اسم الآلهة، كما ورد لدى المـؤرخ داماسكوس باسـم داشيوس وداشي.

١١) دامو : بمعنى الطفل.

١٢) الرقه: الشاطي.

١٣) راماث: بيت رمون آلهة الرعد عند الآراميين.

١٤) كيشار : آلهة الأرض في مجتمع (سومر واكد) ولد من زواج لخمو ولخامو. (١)

١٥) لوجال: لو معناه الرجل وجال معناه العظيم: أي الرجل العظيم.

١٦) مجدل: لفظ آرامي ـ معناه المرقب أو البرج القلعة: ويدخل العديد من المدن الآرامية ـ الفينيقية.

١٧) الرستن: اسمها آرينوزا ـ بيت زباي (زنوبيا) أو الثرياء بالعربية.

١- لخمو لخامو ـ جاء في كتاب صدى التوراة للقس وولش الإنكليزي في قصة الخلق الذي ترجمها عن الرقم المسمارية المستخرجة من خرائب نينوى التي تحكي قصة الخلق، وقد ورد اسم لخمو ولخامو فيها كما ورد اسم آدم وحواء في العهد القديم، وكأن قصة التوراة مأخوذة من القصص والحكايا الكلدانية الآشورية.

١٨) ساره أو ساري: معناه أميرة. (١)

١٩) سوكوراس أو مقدونيوس ـ إنه اسم نهر الجغجغ الذي يمر في وسط مدينة القامشلي.

٢٠) القامشلي : كلمة آرامية: (ܩܘܡ ܗܠܟ) تعني: قم وأمشي: أو اذهب.

٢١) شادرافان: إله الشقاء عند الكنعانيين ساثرابيس.

٢٢) شرك (الشرك) ويزداد هذا الإله الأعلى أهميّة بمنزلة الإله الأحد. (٢)

ولا زالت أسماء هذه الآلهة على كثير من المدن والقرى في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق وما بين النهرين إلى يومنا: ونفتخر بأسماء هذه الآلهة التاريخية إمتداداً لحضارتنا العريقة بالقدم:

١- سارة أو ساري: إنها أخت ابراهيم الخليل فتزوجها في مدينة أور الكلدانية وهرب معها إلى مدينة حران خوفاً من القتل بموجب قانون الملك حمورابي سنة٢١٠٠ ق.م لأن شريعة حمورابي تمنع زواج الرجل من بنات عمه أو خاله وعمته وخالته فالقصاص هو القتل، أما ابراهيم فقد تجاوز شريعة الملك حمورابي فتزوج اخته سارة، وخوفاً من القتل هرب مع سارة إلى حران البعيدة: راجع العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ٢٠ ـ العدد ١٥.

٢- شرك: إنه الإله الأحد، ومعبود أهل مكة قبل الإسلام وكان شرك أهم الآلهة عندهم، لما جاءت الرسالة المحمدية، فتل كل من يعبد هذه الآلهة، يقول المسلمون لا تشرك: أي لا تعبد شرك: لا تشرك بالله: أي لا تساوي شرك بمنزلة الله: وإذا سألت أي مسلم عن ذلك فلم يتمكن الإجابة على ذلك.

أما القصص الغرامية الدرامية مثل قصة غرام قيس بن الملوح وليلى العامرية وقصة غرام روميو وجولييت الفرنسية وقصة غرام (مم وزين) الكردية التي حدثت في جزيرة بن عمر (١). (ܓܙܪܬܐ ܕܒܝܬ ܙܒܕܝ) الذي فرق بينها بكو عوان. (٢)

وقد أخذت هذه القصص الغرامية الدرامية الثلاثة من التراث القصصي الغرامي الدرامي من الأساطير الآرامية الكلدانية البابلية: مثل قصة أفيديوس الشاعر الروماني سنة ٤٣ـ ١٨ ق.م بين (بيرم ونسبين) التي اقتبسوها الإغريق من الأساطير الآرامية الآشورية في ما بين النهرين.

قصة غرام بيرم وتسبين

بيرم شاب جميل، وتسبين شابة جميلة ولطيفة، يعيشان في بيتين متلاحقين يفصل بينهما جدار مشترك.

ترعرع الشابان جنباً إلى جنب في بابل، وترعرع الحب المتبادل بينهما. إلا أن التقاليد منعت أهلهما من الموافقة على زواجهما، كان

١- ورد اسم الجزيرة بكتب المؤرخين: قردو دبيت زبدا، أي أكراد آزخ بيت زبدا: وجزيرة بيت زبدا، (ܓܙܪܬܐ ܕܒܝܬ ܙܒܕܝ ܘ ܩܪܕܘ ܕܒܝܬ ܙܒܕܝ)

٢- بكو عوان: كلمة كردية : تعني بكو المنافق ـ BAKU AWAN ـ أي بكو المنافق.

العاشقان يتصلان فيما بينهما بواسطة شق في الجدار المشترك لم يلحظه سواهما، إلاّ أن هذا الشق لم يكن يسمح بمرور إلاّ الهمسات دون التقبيل، اتفق العاشقان على الهرب حيث يبتعدان عن المجتمع وتقاليده، وتواعدوا على اللقاء عند قبر (نينوس) المؤسس الأسطوري لمدينة نينوى. (١) ولدى القبر شجرة توت تبرز من خلال أوراقها الخضر ثمار بيضاء كالثلج. ويندفق من تحتها نبع عذب.

بعد أن انحدر " شمشم ". نحو المغيب ليدخل أحشاء أمه الأرض. صعّد " سنّ " في السماء يرسل نوراً لطيفاً وهربت تسبين تتلمس طريقها نحو قبر نينوس لكنها حين وصلت إلى شجرة التوت لم تجد بيرم، فقبعت تنتظره، وفجأة لمحت لبوة تخرج من الغابة مهرولة نحو النبع لتروي ظمأها، وشدقاها مضمختان بدم فريسة التهمتها لساعتها.

هربت نسبين، لكن النسيم أسقط منديلها، ومرت اللبوة بالمنديل فخزقته بفمها المدمي ثم شربت وأقفلت راجعة نحو الغابة.

حضر بيرم ورأى المنديل الملطخ بالدم، واللبوة تهم بدخول الغابة، فصوّر له أن حبيبته ماتت وهو المسؤول عن موتها بسبب تأخره، فاستل بيروم سيفه وغرزه بين أضلاعه، فنفر دمه بعيداً ولطّخ الثمار البيض

١- يوجد اسطورة خيالية في منطقة آزخ بين السكان أكراداً وسريان آشوريين، تقول الأسطورة: كل من رأى نجمة ليلى ومجنون (قيس وليلى) تعانق نجمة أخرى رفيقتها، فليطلب الرائي كل ما يريد وسيحصل عليه. (نجمة ليلى ومجنون، في علم الفلك، هو نجم سهيل)، يظهر في السماء قبل انبلاج الفجر حسب دورة الكرة الأرضية، ويقال لها نجمة الصبح.

واصطبغت بالأحمر القاني، وعادت نسبين لتجد حبيبها يتخبط في بركة من الدماء ولم تحظ إلاّ بنظرة خاطفة، كانت نظرة الوداع، وما كان يفصل بينهما إلاّ الموت، لكنها لم تدع الموت يحقق مآربه، فتناولت السيف وأغمدته في أحشائها وهو لا يزال مبللاً بدم حبيبها.

رأت الآلهة المأساة، وأشفقت على نهاية المحبين المفجعة، فجعلت ثمار التوت تحافظ على اللون الأحمر تذكاراً أبدياً لحب بيرم ونسبين نشهد به في عودتهما كل يوم.

ندم أهل العاشقين إذ لم ينفع الندم، ووضعوا رماد القتيلين في زجاجة واحدة لكي لا يتمكن الموت من تفريقهما إلى الأبد.

إن القصص الثلاثة: قيس بن الملوح وليلى العامرية، وروميو وجولييت، ومم وزين، ليست إلاّ صورة مطابقة مأخوذة عن القصة الغرامية الدرامية، قصة حب بيرم ونسبين البابلية للشاعر الروماني أفيديوس سنة ٤٣-١٨ ق.م.

مهما تغيرت وتبدلت العقائد الدينية، تبقى الأسطورة والعادات والتقاليد عالقة في أذهان الناس، وبالرغم من العبر التاريخية والقصص الخيالية، نجد أنه لا زال هناك من يمانع من وصال الحبيبين العاشقين، ويقف حجر عثرة في طريقهما.

لقد ذكرنا هذه القصص الدرامية الغرامية الأربعة المتشابهة التي حدثت واحدة منها في منطقة آزخ بيت زبدا، بين العاشقين " مم وزين " في جزيرة بن عمر.

إن لهذه القصة الغرامية الدرامية أثر بالغ الأهمية بين سكان المنطقة، فإذا وقع خلاف وممانعة من أهل أحد العاشقين، يقولون له: الله يخرب بيتك، حدث كما بكو عوان (١).

إن الحفاظ على التراث والتقاليد الشعبية تبقى عالقة في النفوس مهما تغيرت الأحوال والعقائد الدينية، لأن التراث الشعبي وتقاليده لم تتغيّر، بالرغم من أن الشعب الآرامية الآشوري الذي آمن بإنجيل السيد المسيح له المجد، وقد ترك العبادات الوثنية السابقة، إلاّ أن التقاليد والعادات الشعبية ظلّت عالقة في النفوس والأذهان ولم تتغير.

ولا زالت هذه العادات والتقاليد الشعبية الموروثة من الأجداد في المدن والقرى، بالرغم من اعتناق بعضهم دين الإسلام، وبالرغم مما لاقوه من ويلات وشدائد فظيعة من جراء ذلك، فقد ظلوا متمسكين بها.

وأكبر دليل على ذلك قرى منطقة القلمون (٢) القريبة من دمشق الذين اعتنقوا دين الإسلام ولا يزالون يتكلمون اللغة الآرامية في بيوتهم ويفتخرون بها، وإذا سألت أحدهم، ما هذه اللغة التي يتكلم بها ؟. يجيبك بافتخار: إنني أتكلم باللغة الآرامية لغة أجدادي.

وقد ورد معنا أسماء قرى عديدة في منطقة آزخ، أسمائها باللغة الآرامية ولم تتغيّر، ويتبع سكان هذه القرى نفس العادات والتقاليد الشعبية

١- بكو عوان ذلك المنافق الذي وشى للأمير بحب العاشقين مما سبب فراقهما.

٢- القلمون: منطقة تتألف من عدة قرى، ومن هذه القرى: معلولا وبخعة وجب عدين، جميع هذه القرى تتكلم الآرامية.

مثل أهل آزخ.

لقد ظلت هذه العشائر الكردية بصلات وثيقة وارتباط متين مع مدينة آزخ منذ القديم، ولم تتمكن الحكومات العثمانية المتعاقبة من وضع اسفين انفصال بين هذه العشائر الكردية وأهل آزخ، بالرغم من تجنيد بعض العملاء من الملالي والمشايخ وتحريضهم وترغيبهم بالمال لإصدار الفتاوي لقتل وإبادة المسيحيين السريان الآشوريين، إلاّ أن رجال الدين الأكراد في منطقة آزخ بيت زبدا، كانوا يرفضون أوامر الحكومة العثمانية وينهون عن قتل المسيحيين، خلافاً عن بقية المناطق الأخرى التي يوجد فيها مسيحيين، بل كانوا يقومون بمساعدتهم وحمايتهم خلافاً لرجال الدين الأكراد في المناطق البعيدة عن منطقة آزخ مثل سعرت وبدليس وماردين وملاطية ودياربكر حيث قدموا الفتاوي والحجج التي تجيز قتل المسيحيين كما حصل في الحرب الكونية عام ١٩١٤-١٩٢٠.

➢ بيت عيناتا ـ آزخ ➢

كانت بيت عيناتا وسكان المنطقة يعبدون الأصنام والآلهة الغربية، والقسم الآخر من هذه العشائر كانوا يعبدون النار، أما سكان بيت عيناتا كانوا يقدمون القرابين والذبائح على معبد (زبدا) الذي بناه نوح بعد نزوله من السفينة التي رست فوق جبل جودي ـ آراراط.

إن سكان بيت عيناتا كانوا يعتقدون بأن سبب انتصاراتهم على الأعداء مردّه وجود معبد الآله فيما بين النهرين وماري وبابل وآكد.

لأن وجود معبد زبدا في مدينة بيت عيناتا حماها من بطش ملوك كلدو آشور، وذلك احتراماً وتقديساً لوجود هذا المعبد المقدس. وقد نجت من الدمار التي ألحقوه بدك الحصون وتدمير المدن والقرى في طور عبدين على يد هؤلاء الملوك الفاتحين لغاية قيام دولة الأباجرة في مدينة الرها على يد الملك أريو مؤسس الدولة الأول سنة ١٣٢ ق.م.

كان الملك أريو من أصحاب المواشي والأغنام، جاء من بيت عيناتا مع مواشيه، يقصد مكان فيه كلاء لرعي الأغنام، حتى وصل بالقرب من مدينة الرها، وكان كريماً وسخياً في العطاء، يحب الناس أينما وجد، وأصبح له علاقة وصداقة مع القادة العشرة الذي جاءوا من بابل بعد هزيمتهم أمام جيوش فارس، وقد اختلفوا فيما بينهم على حكم المملكة، فاختاروا أريو على أن يكون ملكاً عليهم، وقد استلم أريو مملكة الرها سنة ١٣٢ ق.م. (١)

وقد ملك خمس سنوات وخلفه عيدو مزعور (٢) سنة ١٢٧ إلى سنة ١٢٠ ق.م، ثم ملك أبرادشت (٣) سنة ١٢٠-١١٥ ق.م، وجلس مكانه بكرو الأول سنة ١١٥-١١٢ ق.م، ثم جلس مكانه بكرو الثاني سنة ٩٤

١- أريو: (ܐܪܝܐ) تعني: الأسد.

٢- عبدو مزعور: (ܥܒܕܐ ܒܪ ܙܥܘܪܐ) تعني: ابن الجندي الصغير.

٣- ابرادشت: (ܒܪ ܕܫܬܐ) تعني: ابن الصحراء - ابن البرية.

وشاركه في الملك مانو مدة أربعة أشهر (١) ثم أبجر بيقا (٢) فلما مات سنة ٩٢ ق.م قام أبجر بيقا على بكرو فقتله وحكم إلى سنة ٦٩ ق.م، وبعده ملك أبجر الأول سنة ٦٨-٥٣ ق.م، إلى أن جاء الملك أبجر سوماقا (٣) وفي سنة ٢٦-٢٣ ق.م، ملك مانو سباول (٤)، ومن ٢٣-٧ ق.م ملك أبجر الخامس وهو المعروف بأوكاما (٥). وفي السنة السابعة لملكه أراد أن يتنازل للرومان عن الملك، طرده أخوه مانو الرابع وحكم سنة ٧-١٣م. ثم استعاد ملكه بمساعدة الرومان فملك من ١٣-٥٠م. سمع عن السيد المسيح وأعماله العجائبية واضطهاد اليهود له، فأرسل رسالة إلى السيد المسيح يدعوه فيها ليأتي إلى مدينة الرها.

وقال له: تكفيني مملكتي لي ولك، فتعال اشفيني من علتي ومرضي، فكان جواب السيد المسيح له:

" أنا لم آتِ لهذا العالم لكي أملك، بل جئت لجميع الأمم أدعوهم للخلاص، وسأرسل إليك أحد تلاميذي ليشفيك من دائك، بعد أن أصعد إلى السماء عند أبي ".

١- بكرو: (ܒܟܪ - ܒܟܘܪܐ) تعني: الولد البكر، أو الملك الأول.

٢- ابكر بيقا: (ܐܒܓܪ ܦܩܐ) تعني: الأعرج والألثغ.

٣- ابكر سوموقو (ܐܒܓܪ ܣܘܡܩܐ) تعني: الأعرج الأحمر.

٤- مانو سباول (ܡܥܢܘ ܣܦܠܠ) تعني: واهب السنابل.

٥- أبجر أوكومو (ܐܒܓܪ ܐܘܟܡܐ) تعني: الأعرج الذي يلبس ثياب الحزن.

وقد دوّن أوسابيوس القيصري عملية تبادل الرسائل من الملك أبجر إلى السيد المسيح، ويقول اوسابيوس:

إن التلميذ الذي ذهب إلى أوديسا حوالي ٢٩م وشفى الملك أبجر الخامس هو أدى ـ تداوس (١).

ورسالة تداوس تروي بأن: السيد المسيح أرسل رسمه على منديل ليضعه على جسم الملك أبجر الخامس المعروف بأوكومو.

رداً على قول المؤرخ أوسابيوس القيصري، نقول: ان تداوس لم يأتي إلى الرها سنة ٢٩م بل جاء بعد قيامة السيد المسيح من بين الأموات وصعوده إلى السماء.

حينئذٍ أرسل توما البشير أدى (الرسول) إلى الرها ووضع المنديل على جسم الملك أبجر الخامس فشفي في الحال من مرضه وعلته (٢) وعمّده فتنصر الملك مع عدد من قادة جيشه ومن الحاشية الملكية، ومن ثم تنصّر جميع أهل الرها.

وهكذا قصة مار أدى ـ تداوس مدونة في كافة المخطوطات التاريخية التي بحوزة السريان الآشوريين النساطرة والأرثوذكس والأرمن

١- ردا على قول اوسابيوس القيصري عن مجيء أدي الرسول إلى الرها سنة ٢٩م. نقول: ان السيد المسيح رداً على رسالة الملك أبجر الخامس الذي يدعوه إلى الرها ليشفيه من علته، قال له: سأرسل إليك أحد تلاميذي ليشفيك من دائك، بعد أن أصعد إلى السماء عند أبي. إذاً مجيء أدى ـ تداوس كان سنة ٣٤م.

٢- انظر: لايور خبره ص١٢-١٥ عن ذهاب تداوس إلى مدينة الرها.

واليونان (١).

يقول ماري مجدل ان آحي هو تلميذ لأدى ومرافق لماري، وقد ورد ذكره مراراً عديدة في كتاب المجدل.

يقول: وتوجه آحي وماري بن سليمان إلى نصيبين وعمّدا أهلهما، وأنفذ ماري إلى الشرق وآحي إلى قردو وبازبدي، وآدى قصد مع آحي وماري إلى بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب.

وآحي السليخ بعد عودة أدى إلى الرها مضى إلى الجبل والأهواز وتخوم السند وما يقارب آجوج وماجوج وعاد إلى قردو وبازبدي آزخ وبين النهرين وعاد إلى الرها (٢).

بعد عودة الملك أبجر بمساعدة الرومان إلى الحكم سنة ١٣م. ملك حتى سنة ٥٠م، وكان له حروب كثيرة مع هيرودس ملك اليهود. وقد أرسل رسالة إلى السيد المسيح يدعوه لكي يأتي إلى الرها ويشفيه من دائه، أما السيد المسيح فقد أجابه قائلاً: أنا لم آتِ إلى هذا العالم لأملك، بعد أن أصعد إلى السماء عند أبي، سأرسل لك أحد تلاميذي ليشفيك من علتك. كما مرّ معنا في الصفحة السابقة.

في سنة ٣٣م بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، أرسل توما شقيقه تداوس إلى الرها وشفى الملك أبجر من دائه.

١- طالع كتاب المجدل ص٢-٣ وتاريخ الكنيسة الشرقية لألبير آبونا.

٢- عن تاريخ الكنيسة الشرقية لألبير أبونا، وماموس بن بهلول ص١٤٦.

أما المؤرخ ماري مجدل، يضع أدى في المقدمة، أرسله توما إلى المشرق وتبعه ماري تلميذه سنة ٣٤م وليس كما ورد في التعليم سنة ٣٠م.

ويكرر ماري مجدل في كتابه المجدل، بأن أدى هو الذي بنى البيَع في مملكة الرها، بعد أن نشر الإنجيل في ديار المشرق، وبنى دير برث في بازبدا (آزخ) (١) ودير يوحنا بالقرب من فنك (قسطرا دبيت زبدا) (٢).

وتقول أعمال ماري مجدل، أن أدى كان قد اختار قبل وفاته أحد تلاميذه وهو ماري بن سليمان، أرسله إلى بلاد المشرق بعد أن رسمه كاهناً " أسقفاً " وتحدد الأعمال والمنطقة التي توجه إليها ماري في بابل. انطلق مبشراً يرافقه أناسيموس وتلاميذاً آخرون منهم فيليبس وملكيشوع دادا وغيرهم، فعلّم في نصيبين ثم انطلق إلى أرزون حيث برأ ملكها من داء الملوك، فآمن هو وأهل بيته وسكان المدينة، فشيّد كنيسة وأقام كهنة وشمامسة، ثم جاء إلى بازبدا على الضفة اليمنى من دجلة غربي قردو فعمّد الكثيرين، وكذلك في منطقة باعربايا " بيت عرباي " بين الخابور ودجلة والموصل، وبلغ منطقة آثور بلاد الآشوريين وكان ملك حديات (اربيل) مصاباً بالبرص ويده مشلولة فشفاه واعتمد مع ذويه أجمعين.

١- ديربرث (ܕܝܪܐ ܕܒܪܬ) تعني: العذراء، راجع كتاب المجدل، وانظر كنيسة المشرق للدكتور يوسف حبي ص٩٥-٩٦-١٢٧-١٢٩م.

٢- راجع الآشوريون في التاريخ الجزء الثاني ص٩٨، قسطرا وبيت زبدا تقع على الضفة الشمالية من نهر دجلة ومدينة آزخ، أي: حصن بازبدا.

أما كتاب المجدل يذكر مراراً بأن ماري بن سليمان كان يرافقه آحي دائماً، وبالأخص عندما جاء إلى مدينة بيت عيناتا بازبدا برفقة أدى الرسول سنة ٣٤-٣٥م، وفي تاريخ الرها يقول المؤرخ: هذه الأمور تمّت في سنة ٣٤٠ بدء تكوين مملكة الرها سنة ١٧٠٦ من مهد ابراهيم أي ٣١٠ ق.م فتكون سنة ٣٤٠ موافقة ٢٠٤٦ أي ٣٠م مجيء أدى (١).

إن رأي أوسابيوس القيصري يوافق رأي مؤرخ تاريخ الرها بأن مجيء أدى الرسول إلى الرها سنة ٢٩م أو ٣٠م.

إن هذين الرأيين مخالفين لقول السيد المسيح، إذ يقول له المجد برسالته التي أرسلها جواباً على رسالة الملك أبجر الخامس، إذ قال: " أنا لم آتِ لهذا العالم لكي أملك بل جئت إلى جميع الأمم أدعوهم للخلاص، سأرسل لك أحد تلاميذي ليشفيك من دائك بعد أن أصعد إلى السماء عند أبي ".

فإثباتاً لقول السيد المسيح فيكون مجيء أدى الرسول تداوس إلى الرها بعد قيامة السيد المسيح وصعوده إلى السماء.

١- انظر رومانس دوفال: تاريخ أورهوي ص٨٠-١٠٢-١١٣-١١٤ والأدب السرياني ص١٠٣-١٢٠ ولابور ص١٤-١٥ والآشوريون عبر التاريخ مالك إيشو جوارو ص٧١.

يقول ابن خردازبه ان بازبدا هي من الكور الكبيرة مثل كورة آمد وماردين وسعرت وارزون (١).

أما الزبيدي محمد حسين قال: ديار ربيعة أهم مدنها الموصل أربيل العمادية نصيبين جزيرة بن عمر ماردين " بيت عيناتا " وهي بازبدا (٢).

واستمر الفرثيون في حكم العراق والجزيرة إلى أن كانت سنة ٢٢٦م ومنها قويت شوكة ملوك الفرس، وانقضّ أردشير بابك في جيوشه الجرارة على سهول ما بين النهرين وأرزون وبازبدا وبابل وغيرها وظفر بأرطبان آخر ملوك الفرثيين.

وسكن الحاكم الفارسي " المرزبان " وكان مقره في منطقة نصيبين عاصمة منطقة باعربايا، وهي لفظة أطلقها السريان الآشوريين على المنطقة الممتدة من بازبدا قرب جزيرة بن عمر وإلى بلد نصيبين (٣).

قام مؤنس سنة ٩١٦م الموافق سنة ٣٠٤ هـ بحملته المعروفة

١- ابن خردازبة: الممالك والمسالك ص٩٥ ان بيت عيناتا هي بازبدا.

٢- الزبيدي محمد حسين: العراق في العهد البويهي ص٧١-٧٣ (بيت عيناتا هي بازبدا).

٣- راجع الموجي ـ توما: كتاب الرؤساء هامش ص٦١ وبابو اسحق مدارس العراق قبل الإسلام هامش ٢٦ (بيت عيناتا تعني دار العز).

بالصائبة ومروره بالجزيرة لتأديب الحسين بن حمدان لامتناعه عن تسديد أموال الضمان عن ديار ربيعة.

وكان من بين التي ولي عليها، سنجار بلد رأس العين باعيناثا بازبدا وماردين وان لم تذكر بالاسم وفهرس البلدان والأماكن ان باعيناثا هي بازبدا نفسها (١).

وفتوح عياض بن غنم لماردين ولسائر مدن الجزيرة (ما بين النهرين) أكدها ابن الفقيه الهمداني بقوله:

قال الزهري: لم يبقَ بالجزيرة موضع قدم إلاّ وفتح على عهد عمر بن الخطاب، على يدي عياض بن غنم، فتح: حران - الرقة - قرقيسيا - نصيبين - سنجار - ميافرقين - كفرتوثا - طورعبدين - حصن كيفا - ماردين - دارا - قردى - بازبدا - أرزون سلماً.

ويقول مؤنس: وتصدى آل مروان وآل عقيل للغارات التي يقوم بها الأتراك (الغز) (٢) وقد اتصفت هذه الغارات بالعنف والشدة ونزلوا بجزيرة بن عمر ونهبوا باقردي وقرى بازبدا والحسينية إلى أن غدر سليمان بن نصير الدولة بن مروان بأمير منهم، وعاد الفقر إلى جزيرة بن عمر فحاصروها وخربوا دياربكر نهباً وقتلاً، فأذى الغز لحق بمدينة

١- راجع ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان ص ١٣٢ وحملة مؤنس سنة ٩١٦م ٣٠٤هـ لتأديب الحسين بن حمدان: ان باعيناثا هي بازبدا آزخ.

٢- الغز هم الأتراك الأتابكة بالنسبة لرئيسهم (آتابك) أي: الجد الكبير، جاءوا من مدينة الغز بأفغانستان على موجات لرعي أغنامهم ومواشيهم حتى استقروا في الأناضول.

ماردين وضياعها أسوة بسنجار ونصيبين والخابور وديار ربيعة وجزيرة بن عمر.

إلاّ أنهم لم يتمكنوا من بيت زبدا، إلى أن استلموا البساسيري الأتراك على السلطة وحبس الخليفة وأخذوه إلى اسطنبول، وهكذا توصلوا إلى فرض الهيمنة على العرب فيما بعد وحكموهم باسم الدين مدة ٤٠٢ سنة لغاية اندلاع الحرب الكونية سنة ١٩١٤-١٩٢٠.

مدينة بيت عيناتا والبشارة العظيمة

كان سكان بيت عيناتا ـ آزخ وثنيون يعبدون الآلهة الغريبة والأصنام مثل سكان ما بين النهرين وبابل، ومن هذه الآلهة التي كانوا يعبدونها إله (زبدا) وإله (مما).

ظلت مدينة بيت عيناتا ـ بيت زبدا تنمو وتزدهر وتتقدم ثقافياً واجتماعياً طيلة هذه الأحقاب المنصرمة منتصرة على أعدائها حتى سميت فيما بعد باسم بيت زبدا آزخ حيث أُهمل اسمها الأول الذي أطلقه عليها نوح عندما بنى معبد (زبدا) بالقرب من عين الماء العذب وبنى بيت عيناتا بجانبه.

حتى أهل آزخ لا يعرفون شيئاً عن اسم آزخ القديم الذي هو (بيت عيناتا) إذا ما جاز لأحدهم أن يتفحص في كتب المؤرخين الذين ذكرناهم في الحواشي في هذا البحث التاريخي الأول من نوعه، ليستقي القارئ معلومات جديدة عن مدينة بيت عيناتا ـ آزخ.

ظل سكان مدينة بيت عيناتا ـ آزخ وثنيون يعبدون آله (زبدا) وآله (مما) حتى جاء أدى الرسول (تداوس) مع آحي وماري بن سليمان إلى مدينة بيت عيناتا ـ آزخ وبشروا سكانها بقيامة السيد المسيح من بين الأموات سنة ٣٤-٣٥م.

وقد هرب الملك مانو الرابع من أخيه الملك أبجر الخامس ولحق بأدى الرسول ورفيقيه آحي وماري بن سليمان، وذلك على أثر عودة الملك أبجر الخامس إلى الحكم بواسطة الرومان سنة ١٣م.

لأن الملك مانو الرابع استولى على الحكم وطرد أخوه الملك أبجر الخامس الذي كان قد تنازل بالملك للرومان، حكم مانو الرابع من سنة ٥ إلى ١٣م.

وأول عمل قام به الملك مانو في مدينة بيت عيناتا ـ آزخ، انه جعل معبد الآله (زبدا) كنيسة باسم العذراء مريم أم المسيح.

قبلت مدينة آزخ بشارة السيد المسيح، وعمّدوا في يوم واحد أكثر من إثني عشر ألف شخص في بركة ماء موجودة بالقرب من بيت البطل شماس اسطيفو ـ القريب من دير مار اشعيا الحلبي الذي شيّد سنة ٤٠١م.

وقد وضع أدى الرسول أول أنافورة (ليتورجية) للصلاة في بيت عيناتا ـ آزخ، كما يلي:

أنت أيها الرب، برحمتك التي يتعذر التعبير عنها تقوم بتذكر كريم لكل الآباء المستقيمين المستحقين الطيبين أمامك، في إحياء ذكرى جسد ودم مسيحك الذي نقدمه لك على المذبح المقدس الطاهر كما علمتنا.

امنحنا سكونك وسلامك لكل أيام الدهر، بحيث يعرف كل سكان الأرض بأنك وحدك الله، الآب الحق، وبأنك أرسلت ربنا يسوع المسيح، ابنك وحبيبك، وهو ربنا وإلهنا، قد علمنا في إنجيله المانح الحياة نقاء

وقداسة الأنبياء والرسل، والشهداء والمعترفين بالإيمان والأساقفة والكهنة العماد المقدس (١).

وكان الرسول أدى وآحي وماري بن سليمان يقدمون الصلاة على المذبح المقدس في كنيسة السيدة العذراء ويدعون الناس إلى التوبة والإيمان بإنجيل السيد المسيح.

ومن هذه المدينة الباسلة في إيمانها، انتشر الإيمان بالإنجيل الخلاصي نحو طورعبدين وماردين وسعرت وارزون وآمد غرباً، والموصل وأربيل وكركوك (حدياب) والأهواز شرقاً (٢).

وكانت أرمينيا من الأوائل التي آمنت بإنجيل السيد المسيح، لذلك يدعي الأرمن أن الملك أبجر الخامس هو أرمني ومؤسس مدينة الرها، كما أشار إلى ذلك المؤرخ الأرمني موسيس الخوريني حيث يقول:

١- راجع الحوار السرياني، مراجعة وإعداد سيادة المطران يوحنا ابراهيم متروبوليت حلب وتوابعها ص٣٢٨-٣٢٩.

٢- راجع تاريخ طورعبدين للعلاّمة غبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول صفحة ٢٠٠-٢٠١ حيث يقول: لما كانت منطقة بازبدا مجاورة لطورعبدين فلا بد أن يكون الإيمان بالمسيح قد أشرق على الجبل نفسه وفي الوقت ذاته.

إن شام بن أرتاشيش من آل تقرات العظيم (ديكران) جلس على تخت المملكة سنة ٣٣م وجرت له حروب طويلة مع هيرودس ملك اليهود ومات. وقد ملك ثلاثون سنة ومات، وخلفه ابنه أبكار (أبجر) من بعده (١) وهو الذي نقل سرسر المملكة من ميدزين إلى الرها. وبعد موته قسمت مملكته بين ابنه وابن أخته، فوقعت أورهاي في حصة ابنه أنانو، وأرمينيا وحدياب في حكم ستاتروك ابن اخته، ثم ستاتروك استولى على كل المملكة وقتل جميع أولاد أبجر (أبكار) وعمّر نصيبين وزخرفها.

يقول المؤرخ رومانس دوفال: ان هذه الحكاية عن أبجر مزورة وقد لفقها الأرمن تلفيقاً وترويجاً لبضاعتهم (٢).

واستناداً للحقيقة ومن أوال المؤرخ رومانس دوفال، حيث وضّح أن كافة المعلومات اللازمة عن الملك أبجر الخامس والأباجرة، أولهم مؤسس الدولة الأول الملك أريو سنة ١٣٢ ق.م، ولغاية فرار الملك مانو إلى مدينة بيت عيناتا ـ آزخ سنة ٣٤-٣٥م، من أخيه الذي استلم المملكة بواسطة الرومان.

١- ان الأستاذ مروان المدور الذي ألّف كتاب الأرمن عبر التاريخ، لم يذكر اسم الملك أبجر أو أبكار بين ملوك الأرمن الذين ملكوا على أرمينيا، فلو كان الملك أبجر أرمني، لما كتب رسالته إلى السيد المسيح باللغة الآرامية الذي يتكلم بها السيد المسيح، ويدعوه إلى الرها ليشفيه من علّته.

٢- يقول رومانس دوفال: ان اسم أبجر آرامي (ܐܒܓܪ) ومعناه: الأعرج، وبهذا الاسم عرف أحد البطاركة الكلدان النساطرة في الجيل العاشر (ܡܫܝܚ ܕ: ܐܒܓܪ). يعود فيقول المؤرخ رومانس دوفال لقد لفق الأرمن قصة أبجر الخامس كما لفقوا من قبل قصة هاييك مع الملك بيل ـ BEL ــ ترويجاً لبضاعتهم.

وقد جعل معبد الآله (زبدا) أول كنيسة في ما بين النهرين وسوريا الطبيعية، ومن هذه المنارة العالية من بيت عيناتا ـ بيت زبدا آزخ انتشرت المسيحية إلى كافة المناطق شرقاً وغرباً.

وقد تأسس في بيت عيناتا ـ آزخ ثاني كلية لاهوتية وفلسفية بعد مدينة الرها، واستمرت هذه الكلية اللاهوتية والفلسفية لغاية سنة ٦٠٢م عندما ترأس هذه الكلية باباي الكبير لغاية ٦١٥م، وبالرغم من البدع الهدّامة والهرطقات، كبدعة نسطور واوطاخي ومرقيون وغيرهم، لأن هذه البدع والهرطقات جميعها تخدم مصالح اليهود ومبادئهم. فقد قاومت مدينة آزخ هذه البدع والهرطقات وطردت باباي الكبير من رئاسة الكلية اللاهوتية والفلسفية عند انحرافه نحو البدعة النسطورية ومبادئه، ظلت مدينة آزخ على المبادئ التي وضعها أدى الرسول ورفيقيه آحي وماري بن سليمان حتى الآن.

ولد باباي الكبير في بيت عيناتا بازبدا سنة ٥٣٣م وكان والده من أرباب النعم، ولما تخرج في الآداب والعلوم الفارسية، سافر إلى نصيبين وانتظم إلى المشفى لتعلم الطب، وبقي في المدرسة، فتعلم العلوم اللاهوتية والفلسفية أيضاً وبرع فيها.

ثم وزع أمواله على الفقراء، وقد رجع إلى بيت عيناتا بيت زبدا آزخ، وعمّر دير يوحنا في آزخ بازبدا (١) ومن ثم طرد باباي الكبير مع من تسعون من تلاميذه وقتل منهم أربعة رجماً بالحجارة بعد انحرافه نحو

١- عيناتا هو الاسم الأول لمدينة آزخ بيت زبدا، الذي كان أول من سكن في هذا المكان نوح وبنوه حام وسام ويافث.

النسطورية، وقد وضعوا جثث تلاميذه الأربعة في إحدى المقابر في جنوب مدينة آزخ، وسميّت مغارة الهراطقة النساطرة.

ـ من هو نسطور وما أصله وفصله ؟؟ ـ

كان نسطور أولاً قسيساً في كنيسة انطاكية، فرسم بطريركاً على القسطنطينية في ١٠ نيسان سنة ٨٢٤ لا نستطيع أن نصدقأن بطريركاً ينحدر من أصلٍ مسيحي عريق يعلم تعليماً غريباً يهدم به هكذا أركان الدين المسيحي ويقسم الشعب السرياني الآشوري إلى قسمين.

أجل، وهذا ما حدانا إلى إعادة النظر في أصل وفصل نسطور، وذلك لأننا كنا نعتبره سريانياً آشورياً جنساً ولغة، ولكننا بعد دراسة شاملة لمبادئه وتعاليمه تكونت لدينا فكرة مضادة لذلك.

فقد تبين لنا أن والديه نزحا عن بعض بلاد الفرس إلى سوريا، إذ كانا قد ارتدا حديثاً عن اليهودية، ذلك لأن تعليم نسطور إنما كان لصالح اليهود ليس إلاّ.

وقد أكّد هذا وأيّده القديس كيرلس الاسكندري، في العظة والخطبة الرنانة التي ألقاها في مجمع افسس المسكوني الثالث سنة ٤٣١ وقد فضح أهل نسطور قائلاً: فلا يقولن أحد لي بعد هذا، ما أقسى وقاحة اليهود الدنسين، إن أولئك الظالمين كانوا قد تطاولوا آنذاك على المسيح، غير أن يهود اليوم " ويقصد بهم نسطور " قد منحهم هذا المجدف دالة عند الله بقوله لهم: " إنكم صلبتم إنساناً ليس إلهاً ".

ثم أشار إلى نسطور قائلاً: وإن كنت أيها المبتدع لا تصدق الأنبياء والرسل والمبشرين وجبرائيل رئيس الملائكة. فتمثل على الأقل بالشياطين التي تشبهك، تلك ارتاعت من موته فصرخت قائلة: ما لنا ولك يا يسوع الناصري يا ابن الله أتيت لتعذبنا قبل الوقت...

ولم تقتنع بقول ابليس مضللك القائل: " إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً " يا للأمر العجيب ! إن الأرواح الشريرة مع أبيها الشيطان تدعو الذي ولد من مريم " ابن الله ".

أما هذا الجاحد فيبدّل ابن الله بالإنسان، ولأجل انحراف نسطور نحو اليهودية، لقد حرّم المجمع الأفسسي هذا التعليم، وسمّي نسطور " بيهوذا الثاني ".

وقد حاربت الكنيسة السريانية نسطور اليهودي وبدعته ببطاركتها يوحنا الأول، وبمطارنتها " ما عدا ثلاثة ".

وكان هيبا الرهاوي وثاودوريطس القورشي من أكبر المحامين عن نسطور، لكونهما من أقرب أقربائه، لأنهما يهوديان قد ارتدا عن اليهودية حديثاً نظيره. فهيبا كتب بالسريانية وكان قسيساً ورئيساً لمدرسة نصيبين اللاهوتية رسالة إلى ماري السرياني مطران فارس " ريوردشير " الذي كان زميلاً له في مدرسة الرها، وفيها تطاول على مار كيرلس الاسكندري الذي عرّى نسطور وفضح تعاليمه المضادة للإيمان القويم. لأنها مشحونة بالنفاق لصالح اليهود، وأيضاً تطاول على القديس رابولا الرهاوي وسمّاه بالطاغية، في حين انه وصف ثاودوروس المصيصي من

أتباع نسطور وأحصاه بين آباء الكنيسة المغبوطين وكاروز الحق ومعلم الكنيسة ذا الإيمان الحق.

وقد انعقد المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ الذي تم فيه حرمان نسطور ولعنه مع أتباعه أوطاخي ومرقيون وغيرهم من المارقين الذين تقلقلوا بين الشعب السرياني الآشوري لنشر تعاليم نسطور اليهودي المنحرف عن الحق والحقيقة (١).

وقد صمدت مدينة (بيت زبدا آزخ) أمام هذه الهرطقات والبدع اليهودية بالرغم من مساعدة ملوك الفرس للبدعة النسطورية حتى في زمن باباي الكبير الذي طرد من مدينة آزخ سنة ٦٠٢ مع تلاميذه التسعون.

إن موقف أهل آزخ موقف مسيحي منسجم مع التعاليم الأرثوذكسية الذي تلقوه وورثوه عن آبائهم الذين تلقوه بدورهم من الرسول أدي (تداوس) وآحي وماري بن سليمان سنة ٣٤-٣٥م الذين كانوا مع الملك مانو الرابع في مدينة بيت عيناتا - آزخ.

لذلك صمدت مدينة آزخ حتى في زمن الكاثوليك ولم تتأثر بالرغم من دعم البيزنطيين لهم ومنهم الصليبيين.

وأخيراً أولئك المبشرين البروتستانت عملاء الانكليز والأميركان المندسّين بين صفوف الشعب السرياني الآشوري، الذين كانوا يصطادون

١- انظر الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الانطاكية، لمار اغناطيوس يعقوب، محاضرة ألقاها باللغة الانكليزية في جامعة غوننتغن في المانيا ص١٤-١٥-١٦.

بالماء العكر بواسطة المال. حيث كانوا يغدقونه على خفيفي الإيمان. وبالرغم مما للمال من أثر فعال في النفوس البشرية، حتى بيع السيد المسيح بثلاثين من الفضة، لكن جميع هذه المحاولات بائت بالفشل، ولم يتمكنوا من إقناع شخص واحد ولا أرملة واحدة لقبول المذهب البروتستانتي !!

وهكذا صمدت مدينة آزخ " المنتصرة " والمؤمنة، على الأعداء بالحروب، وأيضاً تجاه جميع المحاولات التي بذلها المبشرون عملاء الانكليز والأمريكان، ليحرفوا سكان مدينة آزخ عن الحق والحقيقة.

بعد أن طرد باباي الكبير من مدينة آزخ مع تلاميذه، توفي داديشوع سنة ٦٠٤م، وله من العمر ٧٥ سنة، فتسلّم مكان داديشوع أكاديمية نصيبين (١) وقد شيّدت أديرة كثيرة منسوبة إلى تلاميذ مار أوجين.

ومن هذه الأديرة دير مار آحا ودير مار يوحنا في قرية (ديرا) (٢) التي تطل على نهر دجلة بالقرب من قلعة فنك (٣).

ويوحنا بريتكايا أصله من فنك وقد ذهب إلى دير مار كامول وعاش في أواخر الجيل السابع كما يظهر من الميمر الأخير من كتابه: (ܪܫ ܡܠܠ) - رأس الكلام.

١- عن باباي الكبير: راجع كتاب الصفة (ܚܡ)، وتوما مركايا ص١٣-١٤-٢٠ ولابور ص١٢-١٥-٦٨.

٢- ديرا - كلمة آرامية: (ܕܝܪܐ) تعني: دير - مسكن - منزل.

٣- فنك: هي قسطرا وبيت زبدا، راجع الآشوريون في التاريخ، إيشو مالك جوارو ص٩٨-٩٩.

فإنه يقول: في سنة ٦٨١ ظهر وباء شديد وهذا الوباء حدث في أيامنا (١).

فقد سجلنا هذه الوقائع والأحداث كون جميعها لها صلة مباشرة وارتباط كلّي بمدينة آزخ بيت زبدا، مما ألزمنا على توضيح وكتابة جميع ما ورد من نصوص مثيرة للاهتمام، لأن الأمكنة والقرى المذكورة في حدث جرى لها جميعها تابعة لمنطقة آزخ بازبدا.

بعدما أصبح معبد (زبدا) كنيسة باسم العذراء أم المسيح، أصبحت هذه الكنيسة مكان تقديس واحترام جزيلين، وقد ظهرت فيها العجائب الباهرة، حتى الأعداء شهدوا ويشهدون لتلك الظاهرة العجيبة أثناء حصار مدينة آزخ من قبل الجيش العثماني والعشائر الكردية التي كانت تعد بالآلاف، سنة ١٩١٥-١٩١٦م.

ظلت مدينة آزخ تقاوم وتناضل ضد الهرطقات والبدع وتبشر برسالة السيد المسيح بالرغم من الانشقاقات والبدع التي ظهرت أخيراً منذ بدعة أريوس وأوطاخي زمن مجمع نيقية سنة ٣٢٥ وتمردت على آراء مقدونيوس أثناء انعقاد المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١.

أما بدعة نسطور وانحرافه عن الإيمان القويم التي بسببها انعقد في افسس المجمع الأول سنة ٤٣١ ومن ثم المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ الذي فيه تم حرمان نسطور ولعنه مع أوطاخي ومرقيون وغيرهم من

١- راجع: المقدمة للقس ألفونس (باربنكايا) والمجلة الآسيوية مقالتنا في عام ١٩٠٧ ص١٦١-١٧٨.

المارقين المنحرفين عن الإيمان.

وفي جميع الأحوال بقيت كنيسة آزخ على العقيدة الأرثوذكسية التي زرع ثمارها الرسول أدى (تداوس) وقبلت تعاليم الانجيل بكل فخر واعتزاز.

ظلت مدينة آزخ تنافس نصيبين مركز البدعة النسطورية في حينه، ولم تتمكن النسطورية منها بالرغم من عنفوان البدعة اليهودية وقوتها بواسطة ملوك الفرس الظالمين الذين كانوا يقدمون العون ويساعدون النساطرة. إلى أن زالت دولة الفرس والبدعة النسطورية من منطقة آزخ بيت زبدا وطورعبدين وماردين، والفضل يعود لمدينة آزخ، لمقاومة نصيبين مركز بدعة نسطور.

وحسب ما رواه المؤرخ مشيخا زخّا في تاريخه يقول: وفي سنة ١٢٠م أصبح مزرا أول أسقف في مدينة آزخ بازبدا، وقد تأسست فيها مدسرة لاهوتية وعلمية، التحق بها طلاب علمانيين ولاهوتيين عديدين لغاية سنة ٦٠٤ حين ترأس هذه الأكاديمية باباي الكبير.

ولم يذكر المؤرخ مشيخا زخّا أسباب ترك باباي الكبير أكاديمية مدينة آزخ بيت زبدا، لأنه اعتنق المذهب النسطوري، وهرب مع تلاميذه من بيت عيناتا ـ آزخ.

إلا انه يقول: ذهب باباي الكبير وتسلّم رئاسة أكاديمية نصيبين(١).

١- المسعودي عن طرد باباي الكبير من بيت عيناتا ـ بيت زبدا آزخ. ولم يذكر المسعودي أسباب طرد باباي الكبير من بيت زبدا آزخ.

وقد زعم توما مركايا وكاتب قصة حياة (مرعيثا) يقول: بأنه حدث نزاع وانشقاق بين الرهبان فتفرقوا في البلدان.

يقول المسعودي عن باباي الكبير سنة ٣٨ لخسرو الثاني ٦٢٧م بعد أن دبّر ٢٤ سنة وله من العمر ٧٥ سنة، وقد طرد من آزخ بيت زبدا مع الرهبان، ولم يذكر المسعودي سبب طرده أيضاً، ويقول: أما كيرونا ولد في (حوردبنا) من أعمال بيت عرباي وترهب في دير بارطورا ثم سكن جبل بردون.

أما العالمة نينا بيفوليفسكايا تقول: أما سيرة نرساي فهي غنية وهامة جداً، لأن المدارس تعرضت في ذلك الحين إلى ملاحقة عنيفة من الكهنة الفرس الزرادشتيين والمجوس الذين حاولوا أن يحرفوا الدارسين عن الحق والحقيقة. لهذا نُقِلَ معلم المدرسة، التي كان نرساي تلميذاً فيها من تلامذة باباي الكبير (١) فتفرقوا في الجبال هرباً من كهنة المجوس.

أما نرساي فقد بقي في تلك المدرسة تسع سنوات فتعدى في تحصيله العلمي ومعارفه الكنسية ما كان لدى معلمه منها، وبعد موت أبيه رحل قاصداً عمه لأبيه عمانوئيل رئيس دير كفر ماري الواقع على حدود بازبدى، حيث كان عمانوئيل قد درس قبلاً في الرها.

وفي سنة ٤٣٥م حيث ابتدأ التدريس بعد موت رابولا (٢) وقد

١- راجع: ثقافة السريان للعالمة الروسية نينا بيفوليفسكايا ص٩٤-٣٠٢.

٢- يقول الزبيدي: ديار ربيعة أهم مدنها الموصل أربيل العمادية نصيبين جزيرة بن عمر ماردين (بيت عيناتا هي بازبدا) آزخ الذي ولد فيها باباي الكبير سنة ٥٣٣م وفي الصفحة ١٨ يقول: وكانت نصيبين عاصمة باعرابايا وهي لفظة أطلقها السريان على المنطقة الممتدة من بازبدا قرب جزيرة ابن عمر والي بلد نصيبين.

وضع كوركيس الشهيد المقتول سنة ٦١٥م المبادئ التي وضعها معاصره باباي الكبير الذي كان معلماً في مدرسة آزخ بيت زبدا، وبعد ذلك استاذاً في أكاديمية نصيبين، وقد تسلّم باباي الكبير المناطق الشمالية. وقد اتفق مع عدد من المطارنة على تسليم إدارتها الكنسيّة إلى باباي الكبير (١) الذي كان من بيت عيناتا بيت زبدا، وكان إذ ذاك رئيساً على الدير الكبير في جبل إيزلا.

وهنا لم تشر العالمة الروسية تينا بيفوليفسكايا إلى أسباب ترك باباي الكبير أكاديمية آزخ بيت زبدا، علماً أن نصيبين كانت البدعة النسطورية مسيطرة على أكاديميتها.

من هنا يتجلى الأمر بأن باباي الكبير قد انحرف وأصبح من أتباع نسطور، ومن مؤيدي بدعته، وعلى أثر انحرافه طرد من آزخ بيت زبدا، وهرب مع تلاميذه خوفاً من قتله ورجمه بالحجارة كما رجم أربعة من تلاميذه ولا زالت جثثهم موجودة في إحدى المقابر في بيت زبدا آزخ بالقرب من نهر السقلان (٢) جنوب مدينة آزخ.

أما ألبير أبونا يشير إلى أن باباي الكبير كان معلماً في أكاديمية آزخ بيت زبدا، فيقول: وقد ترك هذه الأكاديمية ومن ثم ترأس أكاديمية نصيبين، ولم يشير إلى سبب تركه أكاديمية مدينة آزخ بيت زبدا.

١- انظر المؤرخ ألبير أبونا - الجزء الأول - ص١٣ - والجزء الثالث - ص١٥.

٢- راجع ماموس بن بهلول ١٤٦.

وأشار الزبيدي بأن أبرشية بيت زبدا تابعة لأبرشية نصيبين، علماً بأن أبرشية بيت زبدا آزخ لم تتبع في يوم من الأيام أبرشية نصيبين، لأن أبرشية بيت زبدا آزخ كانت أشد الأبرشيات الأرثوذكسية كرهاً ومقتاً للبدعة النسطورية، ويشهد على ذلك طرد باباي الكبير من بيت عيناتا آزخ مسقط رأسه.

وهذا الرأي من قبل ألبير أبونا ليس إلاّ فكرة عابرة مرّت في خياله ولا تمت بصلة للحقيقة والواقع، حيث لم تتبع أبرشية آزخ بيت زبدا لأبرشية نصيبين البتّة.

يذكر بن بهلول: ان أبرشية بيت عرباي تمتد من بيت زبدا إلى بلد نصيبين، والمراعيث المتعلقة بهذه المطروبوليطية هي: بيت زبدا قرب وادي دجلة، بيت عرباي وقردو (١) التي كان الكلدان يسمونها: (ܓܙܪܬܐ ܒܝܬ ܙܒܕܝ) (٢) وقد بناها العرب أثناء الفتح وسموها جزيرة بن عمر، ولم تتبع أبرشية آزخ بيت زبدا أية أبرشية من هذه الأبرشيات (٣).

كان يرأس الحملة أثناء الفتح الاسلامي الأمير عياض بن غنم سنة

١- انظر ألبير أبونا ـ الجزء الأول ص١٣ والجزء الثالث ص٥١.

٢- انظر ماموس بن بهلول ١٤٦ ـ بذكريات أبرشية آزخ لم تتبع أية أبرشيات.

٣- كتاب الصفة وتوما مركايا ٣-١٤ وص٢٠-٤٣-٤٧-٥٢-٥٦ وكويدي ص١٧-١٩ وتاريخ السعردي (ب - هـ) ومدرسة نصيبين ٣٦-٤٠.

٦٤٠م، وقد فرض الاسلام ديناً على (جزيرة قردو دبيت زبدا) دون مقاومة.

أما الذي بناها هو الحسن بن عمر بن الخطاب الثعلبي، وقد سمّيت فيما بعد جزيرة بن عمر باسمه (١).

لما جاء الأمير عياض بن غنم وفتحها سِلماً، زحف بجيشه نحو مدينة آزخ بيت زبدا التي لا تبعد سوى ٣٠كم لاحتلالها، فلما وصل بالقرب من مدينة آزخ، خرج الجميع لاستقباله، لأن السريان الآشوريين كانوا يساعدون العرب ضد البيزنطيين والفرس لكثرة المظالم التي لاقوها منهم. ورحبوا به ترحيباً بالغاً يليق بمقامه كأمير، لكن عياض بن غنم أبى أن يترجل من على صهوة جواده، ظناً منه بأن هؤلاء القوم لا يختلفون عن أهل جزيرة قردو، فكان الفارق الوحيد هو أن هؤلاء القوم من الناس جميعهم كانوا مدججين بالسلاح عند استقبالهم له.

فقال الأمير عياض: اسمعوني يا قوم جيداً، وأصغوا إلى ما أقوله لكم، ومنا أمليه عليكم من شروطي. فأجابوه: وما هي شروطك ؟؟. فقال: الاسلام ديناً أو دفع الجزية لتسلموا. فأجابوه: نحن لنا ديننا وعقيدتنا الأرثوذكسية، ولا ندخل في دين غير ديننا، أما الجزية فلا ندفعها، إننا مسالمون، وإن فرض علينا القتال، فنحن له مستعدون دفاعاً عن ديننا وكرامتنا حتى آخر رمق من حياتنا (٢)، ونقول لك أيها الأمير: إننا معك

١- كتاب البلاذري: فتوح البلدان ص١٦٢-١٦٤.

٢- كان المسيحيون لا يدفعون الجزية، وكانت شروط عيّاض بن غنم مخالفة لهدى الرسول الذي أعطاه للمسيحيين، فقد كانت الجزية مفروضة على الوثنيين فقط.

لمحاربة المجوس الذين يعبدون النار والوثن والأصنام، أعدائنا وأعدائكم، وسنكون بجانبكم حين الضرورة، نسالم من يسالمنا، ونقاتل من يقاتلنا ويعتدي على كرامتنا، دفاعاً عن ديننا وكرامتنا.

ألقى الأمير عياض ين غنم نظرة فاحصة على هؤلاء الرجال البواسل المدججين بالسلاح وهم على أتم استعداد للقتال، لعله تذكر عهد الرسول الذي أعطاه للنصارى والمسيحيين، وانه أيضاً من قبيلة غنم السريانية الأرثوذكسية، وإن عدداً كبيراً من القبائل في العراق وسوريا كانت دينياً سريانية أرثوذكسية، ورأت هذه القبائل وجوب تأييد العرب الذين ولئن خالفوها بالدين، لكنهم يمتون بصلة الدم والقرابة واللغة والتراث والحضارة (١).

لذلك انضمت أغلبها إلى الجيش العربي المسلم الفاتح تحت إمرة المثنّى بن حارثة، وتم القضاء على دولة الفرس في سنة ٦٥١م.

وفرّ ملكهم يزدجرد آخر ملوكهم، ويذكر التاريخ ان غلاماً سريانياً من بني تغلب قتل المرزبان مهران الفارسي (٢) واستولى على فرسه وأنشد قائلاً: أنا الفتى التغلبي، أنا قتلت المرزبان (٣).

١- نظرات خاطفة في تاريخ الكنيسة السريانية المشترك مع الاسلام عبر العصور، راجع المحاضرة التي ألقاها قداسة مار اغناطيوس زكا الأول عيواظ بطريرك انطاكية وسائر المشرق في كلية اللاهوت في جامعة هوميولت ـ برلين في ٥-٥-١٩٩٥.

٢- الطبري ج٢ ص٦٤٩

٣- عصر السريان الذهبي للفيكونت فيليب دي طرازي طبعة حلب ص٢٧-٢٨.

أما الأمير عياض بن غنم عندئذٍ أكمل سيره نحو جبل طورعبدين حتى وصل ماردين الحصينة بقلعتها ذات الأسوار العالية التي شيّدت فوق جبل عال، وعندما وصل عياض بن غنم إلى ماردين اتصل فوراً مع كبار القوم ومع المطران الذي كان مطروبوليطاً وقتئذٍ، ويُعتقد أنه سرغوثا أسقف ماردين، وقد فتحها سلماً دون قتال (١) وأثناء عودته استولى على طورعبدين (٢) سنة ٦٤٠م في أيام كبرئيل القوسطي رئيس دير قرتمين وأسقف طورعبدين.

ثم قفل راجعاً إلى مدينة آزخ بيت زبدا، فلما اقترب وأراد أن يحاصرها، فوجيء بأهل مدينة آزخ خرجوا لاستقباله فرحين مرحبين بعودته أشد الترحيب وهم مدججين بالسلاح كعادتهم. فلما رأى الأمير عياض بن غنم ذلك منهم، ما كان منه إلاّ أن ترجل عن صهوة حصانه وقال: أيها الرجال الأشاوس، هل تقبلون الشروط التي قبلها مِن قبلكم مطران ماردين ؟؟. فأجابوه: وما هي الشروط ؟؟. قال عياض: أن تدفعوا الجزية وتبقوا على دينكم !!. فأجابوه: إننا لا ندفع الجزية كما قلنا لك سابقاً. فقال الأمير عياض بن غنم: والله فلأنكم هكذا، فابقوا على دينكم ولا تدفعوا الجزية أيضاً. فأكمل سيره نحو جزيرة قردو (٣).

١- انظر: زويمر مهد الإسلام ص٢٠-٣٠٨.

٢- تاريخ طورعبدين للعلاّمة غبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول الفصل ٢٤ ص٣٥٤.

٣- إن الأمير عياض بن غنم عندما تذكر فيما بعد عهد الرسول الذي أعطاه للنصارى المسيحيين، وسورة البقرة: الآية ٢٥٥ ـ لا إكراه في الدين.

وأصبح الأمير عياض بن غنم صديقاً وفياً لأهل آزخ إلى أن ذهب لبغداد، ومن ثم جاء الأمير حسن بن عمر بن الخطاب الثعلبي، وسميّت جزيرة بن عمر باسمه. وقد حارب الأكراد الذين كانوا يعبدون الأصنام والنار الزرادشتيين القاطنيني في سهول ووديان جبل جودي، وقد تم له فتح الجبل حتى وصل بحيرة وان شمالاً، وبحيرة أورمية شرقاً.

وكان الأمير حسن بن عمر بن الخطاب الثعلبي مثل سلفه الأمير عياض بن غنم صديقاً وفياً لأهل آزخ طيلة أيام حكمه في جزيرة بن عمر، وقد اتبع وصية الرسول في غزواته حيث قال: إنكم ستجدون رجالاً حبسوا أنفسهم في الصوامع فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا فتياً، ولا تقطعوا شجرة.

وقد أخضع الأمير حسن جميع العشائر الكردية إلى حدود فارس، ومن لم يعتنق الاسلام قتل. أما الذين قبلوا الاسلام وأسلموا، فقد تبوأوا المراكز العليا وبعض القيادات الهامة، مما كانت هذه المراكز والقيادات وبالاً على جميع السريان الآشوريين المسيحيين فيما بعد.

أما الشر الأعظم حصل للسريان المسيحيين عندما اعتنق الأتراك دين الإسلام، واستلموا القيادات المركزية من العرب كونهم إسلام، ثم نقلوا مركز الإمامة من بغداد إلى اسطنبول وأخضعوا الإمام لسلطتهم. وصاروا يعيثون فساداً في البلاد، وفرضوا الجزية على السريان الآشوريين المسيحيين، وأباحوا أعراضهم وهتكوا حرمة الكنائس (١)، وقتلوا الرهبان

١- سورة المائدة: الآية ٦٩ ـ الصابئون والنصارى من آمن بالله لا خوف عليهم ولا يحزنون.

والمطارنة الذين أوصى بهم القرآن الكريم، وقد أفتى الملالي والمشايخ الأتراك فتاوى باطلة بقتل الرهبان والقسوس الذين حرّم قتلهم القرآن الكريم (١).

أما البرابرة الأتراك العثمانيين لم يأبهوا لهذه الآيات الكريمة الواردة في القرآن الكريم(٢). وتناسوا عهد الرسول الذي أعطاه للنصارى والمسيحيين وتحالفه معهم:

بقي هذا التحالف سارياً بين الرسول والنصارى في نجران على أن يساعدوه ويدفعوا من المعونة المالية لكسر الأعداء حسب حسب رغباتهم وليس قسراً:

أما أهالي البحرين والمازون وعمان وغربي ووسط الجزيرة العربية، اعتنقوا الإسلام جماعات تفادياً على ممتلكاتهم وأرواحهم، بعدما نكس عمر بن الخطاب العهد الذي كان قد قطعه وأعطاه الرسول للنصارى والمسيحيين بضمانة خطبة يتعهد فيها حفظ حقوقهم ومعتقداتهم

١- سورة المائدة: الآية ٨٢ ـ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا وقالوا إننا نصارى منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون.

٢- وصية الرسول في غزواته: إنكم ستجدون رجالاً، حبسوا أنفسهم في الصوامع فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً، ولا فتياً ولا تقطعوا شجرة، وليس عليك هداهم ولكن يهدي من يشاء (سورة البقرة الآية٢٧٢) ولا إكراه في الدين: (سورة البقرة الآية ٢٥٦).

الدينية في المناطق التي تحت امرته (١).

وقد تم الاتفاق من جديد بعد الرسول من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وبين المسيحيين، فأعطاهم صكاً بعدم التعرض لمعتقداتهم الدينية.

وصية الرسول التي أعطاها للمسيحيين

نص العهد

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين رسولاً ومبشراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله في خلقه لئلا يكون للناس حجةً في الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً.

كتبه لأجل ملة النصارى ولمن ينتحل دين النصارى من مشارق الأرض ومغاربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، معروفها ومجهولها، جعل لهم عهداً، فمن نكث هذا العهد الذي فيه وخالفه إلى غيره وتعدّى أمره، كان لعهد الله ناكثاً، ولميثاقه ناقضاً، وبدينه مستهذئاً، وللعنة مستوجباً، سلطاناً كان أم غيره من المسلمين.

وان احتمى راهب أو سائح في جبل أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو بيعة، فإنا أكون من ورائهم أذب عنهم من غيرة لهم بنفسي

١- زويمر - مهد الإسلام ص٢٠ - ٣٠٨ وراجع كتاب:

MUIR ANNAL OF EARL Y GALIPHATEP. P 137- 223

وأعواني وأهلي وملتي وأتباعي لأنهم رعيتي وأهل ذمتي: أنا أعزل عنهم الأذى في المؤن، لا يحمل أهل العهد من القيام بالخراج الاّ ما طابت لهم نفوسهم وليس عليه جبر ولا إكراه على شيء من ذلك.

ولا يغيّر اسقف من اساقفته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس من صومعته ولا سائح من سياحته ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم، ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين ولا في بناء منازلهم.

فمن فعل شيئاً من ذلك نكث عهد الله ورسوله، لا يحمل على الرهبان والأساقفة، ولا من يتصيد جزية، ولا غرامة، وأنا أحفظ ذمتهم أين ما كانوا، في برٍ، أو بحرٍ، في الشرق أو في الغرب أو الجنوب أو الشمال، وهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل مكروه، وكذلك من ينفرد بالعبادة في الجبال والمواضع المباركة لا يلزم مما يزرعونه، عند إدراك الغلة، ولا يلزمون بخروج في بحر، وقيام بجزية، ولا من أصحاب الخراج وذوي الأموال والعقارات مما هو أكثر من اثني عشر درهماً بالجملة كل عام، ولا يكلف أحد منهم شططاً، ولا يجادلون إلا بالتي أحسن ويحفظونهم تحت جناح الرحمة، وتكف عنهم أذية المكروه حيثما كانوا.

وان صارت النصرانية عند المسلمين، فعليهم برضاها، ويمكنونها من الصلاة في بيعها، ولا يحال بينها وبين هوى دينها.

ومن خان عهد الله واعتمد بالضد في ذلك عصب ميثاقه ورسوله، ويعاونون على ترميم بيعهم ومواضعهم، ويكون ذلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعدد ولا يلزم أحد منهم نقل سلاح، بل المسلمون يذيدون

عنهم، ولا يخالف هذا العهد أبداً إلى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا(١).

احتظى السريان الآشوريون بالثقة والاحترام عند الخلفاء الراشدين سنة ٦٣٢- ٦٦١م والخلفاء الأمويين سنة ٦٦٢- ٧٤٦م والعباسيين سنة ٧٥٠- ١٢٥٨م.

وأول من نال القربى لديهم حين الفتح العربي هو المنصور بن يوحنا السرياني الذي أصبح وزيراً للمالية في عهد الخلفاء الراشدين.

أما ابنه سرجون وحفيده يوحنا المشهور بالقديس يوحنا الدمشقي سنة ٧٤٩م فقد توليا ديوان الأعمال والجبايات في عهد الخلفاء الأمويون(٢).

أما الخلفاء الراشدون فقد استعانوا بالسريان الآشوريين في الإدارة وتسيير الأمور المالية، حتى المقاطعات الفارسية، ولاسيّما بعد أن اجتاح جيش عمر بن الخطاب بلاد فارس، وكان السريان الآشوريون مع الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يحاصرون منطقة الأهواز وكان قد استولى عليها المثنّى بن الحارثة وسلّمها إلى الامام علي.

والفضل يعود إلى بني نمر وبني طالب السريان الآشوريون في

١- راجع تاريخ الأمم: للطبري مطبعة الاستقامة ج ٣ ص ٧ ومجلة المشرق الموصلية السنة الأولى كانون الثاني سنة ١٩٤٩ العدد ٥.

٢- عصر السريان الذهبي للفيكونت فيليب دي طرازي ص٣٨ والمعجم العربي الأساسي (لاروس) مطابع أميرنو بيروت لبنان ص - ٩٣٠.

هذه المعركة الفاصلة (١).

وفي ميثاق آخر وصف بميثاق الكنيسة السريانية الآشورية منذ أن صدر عن الخليفة عام ١١٣٧ ـ ١١٣٨م يتعهد به حماية ممتلكات وحياة النصارى.

ولم يلاقِ السريان الآشوريون من العرب أبناء عمهم سوى المعاملة الحسنة وأن بعض الخلفاء قد شيّد لهم بعض الكنائس.

ومعاوية بن أبي سفيان قام بترميم كنيسة الرها السريانية الأرثوذكسية القديمة، التي دمرها الزلزال سنة ٦٧٨م.

وقد دام التعاون بين العرب والسريان ضد الإستعمار البيزنطي والفارسي، وشاركوا في توطيد الأمن وأركان الدولة (٢).

عندما سقطت الدولة العباسية وتقلّب على الحكم سلاطين غير العرب اضطرب حبل الأمن، ضعفت ووهنت الكنيسة السريانية وخسرت عدداً من أبنائها، وزادت ضعفاً أكثر عندما استولى العثمانيون على دفّة الحكم وأخذوا يتلاعبون بمقدرات الناس، وضربوا وصية وعهد الرسول بعرض الحائط وتناسوها.

عند سقوط بغداد بيد المغول سنة ١٢٥٨م وفي سنة ١٣٢٦م قتل عدد كبير من المسيحيين السريان الآشوريين، من جراء ظلم الطاغية تيمورلنك الذي استولى على سوريا وما بين النهرين ودمّر بغداد سنة

١- راجع الآشوريون في التاريخ: ايشو مالك جوارو ص١٢٤ ـ ١٢٥

٢- راجع عشرون قرناً في موكب التاريخ لحبيب سعيد ض ـ ٨٠

١٣٩٣م وأرغم السريان الآشوريون وسائر المسيحيين على اعتناق الإسلام (١). ولم تفلت مدينة من شره وظلمه ما عدى مدينة آزخ وحصن كيفا (٢). لأن سكان مدينة آزخ رحلوا واعتصموا في قلعة الملك أبوزرد سنحاريب المطلة على وادي جهنم، حيث سكنوا المغائر والكهوف التي لا يطالها الطاغية تيمورلنك.

لم يذكر التاريخ منذ الفتح العربي بأن أي قائد عربي قد اتبع هذه الأعمال البربرية تجاه السريان الآشوريين، غير المحبة والاحترام، لكن هؤلاء الحكام غير العرب، بالرغم من إسلامهم لم يراعوا عهد الرسول للمسيحيين ومن بعده الخلفاء الذين حافظوا على الوصية وصيانة حقوق المسيحيين.

أما هؤلاء الطغاة الظالمين خانوا الوصية وآمروا بهدم الأديرة والمدارس، أما في عهد تيمورلنك لم يفلت أحد من شره، ومن لم يعتنق الإسلام قتل، فلم يبقى من السريان المسيحيين سوى ١٠٪ مختبئين ومتخفين في الدهاليز تحت الأرض أو في المغاير في الجبال التي لا يطالها الطاغية تيمورلنك.

اجتاح في المرة الثانية جزيرة بن عمر، وأراد تدمير مدينة آزخ فعصوه، احتل طور عبدين وأشعل النار في دير (العمر) مار كبرييل وقتل

١- راجع كنيسة السريان عقيدة وإيمان للدكتور PROF. DR. WOLOUG HAGE المحاضرة التي ألقاها في الأكادمية الانجيلية في مدينة هوفيسمار عام ١٩٩١ HOFGEISMAR

٢- تاريخ طور عبدين للعلامة غبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص ـ ٣٠٢

خمسمائة راهب وأحرقهم في المغاير.

وأشعل النار داخل الدير حتى أذاب الذهب الذي كان مطلي على حيطانه، ثم جمعه وأستولى عليه.

ثم ذهب إلى حصن كيفا لكنه لم يفلح في الإستيلاء عليها وعلى حصنها المنيع (١). فلم ينجو في طور عبدين ومديات وغيرها من المدن من ظلم الطاغية تيمورلنك سوى حصن كيفا ومدينة آزخ بيت زبدا لصمودها بوجه الطاغية.

ـ رجوع تيمورلنك للمرة الثانية ـ

جاء هذا الطاغية للمرة الثانية سنة ١٤٠١م واجتاح مخرباً جميع بلاد بابل (بغداد) وأربيل والموصل وجزيرة بن عمر وماردين، ويخنق السكان بالدخان، وفي دير مار كبرييل هذه المرة أيضاً خنق ثلاثمائة نفس، واثنين وثلاثون راهباً ومطرانهم يوحنا.

وفي مغارة برسيفي الكائنة تحت الأرض اختنق خمسمائة نفس بالدخان ومعهم أربعون راهباً.

أما قرية أريو وقرية بيت ريشا التي لا تبعد كثيراً عن مدينة آزخ غرباً، لم تصب بأذى، وذلك بدعاء المطران برهان شتيّ لأنه خاطر بنفسه

١- تاريخ طور عبدين لغبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص ـ ٣٠٢

وتقدم من الطاغية تيمورلنك متواضعاً، وطلب منه أن يعطف على بني قريته، فأعطاه الطاغية منديلاً كإشارة للعفو، وهكذا نجا الجميع.

وفي هذه المرة التي اجتاح فيها جميع المناطق إعتباراً من مدينة بابل (بغداد) حتى وصل جزيرة بني عمر مروراً إلى طورعبدين إلاّ أنه لم يهاجم حصن كيفا ومدينة آزخ، وقد حماهما الله من شره وطغيانه.

ـ ظهور المهدي الكردي ـ

في حديث للمؤرخ الرهاوي المجهول إسمه قال: في عهد الخليفة المأمون، اعتقد الأكراد الذين كانوا في حصن كيفا أن المهدي ظهر.

لكن الذين تبعوه معظمهم كانت غايته السلب والنهب فقط، وجعل المهدي المزعوم مقره في الجبال الكردية الحصينة، وشرع أتباعه يعيثون في المدن والقرى هدماً وتخريباً وسلباً، فخرب بعض القرى في منطقة بازبدا آزخ وطورعبدين، حتى سكرت الحراب من شرب الدماء، إذ لم يكن إشفاق على أي بشر، حتى خشي بأسه الخليفة المأمون.

ولما كان المهدي وأتباعه ينشرون الزعر والموت والتخريب في جبل طور عبدين ودير قرتمين والقرى الكردية المحيطة به، هاجم الحسن حاكم هذه المنطقة، وخاصةً لما رأى بما اقترفه بحق المسيحيين والرهبان بصورة خاصة.

فانهزم الأكراد أعوان المهدي ومن معه من المرتزقة شرّ هزيمة سنة ٨٢٩م.

لم يذكر المؤرخ الرهاوي سوى دير قرتمين بالاسم، بل إنه ذكر انه خرّب ودمّر بعض القرى الكردية في طورعبدين ومنطقة آزخ بيت زبدا.

فيقول: بعد أن تحصن في الجبال الكردية أرسل أتباعه وأعوانه للسطو على القرى الآمنة القريبة من مكان تحصّنه، مما يدل على أن المهدي المزعوم لم يرسل أعوانه لنهب وسلب قرى منطقة آزخ بيت زبدا لبعدها عن الجبال التي تحصن فيها.

لقد استقى الأخبار من أولائك الذين هربوا من القرى المنبوذة في طورعبدين، دوّن هذه الأخبار ألماً على ما أصاب هذه القرى من تخريب ودمار، وأضاف كذلك قرى منطقة آزخ بيت زبدا إلى معلوماته، لأن منطقة آزخ لها شهرة عظيمة بين المناطق حتى تشاع هذه الأخبار الأليمة فيكون لها صدى كبير لدى سكان المناطق البعيدة مثل مدينة الرها ودياربكر.

لأن المعلومات التي دونها المؤرخ الرهاوي المجهول، يجب عدم أخذها بعين الاعتبار كحدث تاريخي ذات أهمية، بالرغم من أن هذا الحدث ليس له أهمية بهذا المقدار الذي دونه المؤرخ الرهاوي الذي حتي لم يذكر اسمه واسم المهدي المزعوم حتى أدت أعماله إلى قطع رأسه جزاء ما اقترفه من أعمال مشينة بحق الأكراد والسريان الآشوريين.

لقد أضفنا هذه القصة التي رواها المؤرخ الرهاوي المجهول كون لها علاقة وطيدة بمدينة آزخ بازبدا وقراها.

وهكذا كان الوضع مع الأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام ولم يكترثوا بنصوص القرآن، وأمروا بقتل المسيحيين.

أما العرب منذ الفتح سنة ٦٤٠م على يد الأمير عياض بن غنم، ظلّت مدينة آزخ بيت زبدا تنعم بالحرية والأمن والسلام مدة حكم العرب في هذه المنطقة، وقد تعاونت مع العرب لمحاربة الوثنيين ومن يعبد النار الزرادشتيين إلى أن تم القضاء عليهم (١).

فالآراميون السريان وحدهم عبر كل المراحل التاريخية الجائرة التي تعاقبت على الشرق، وبالأخص في منطقة آزخ بيت زبدا وجبل طورعبدين والموصل وحدياب (كركوك) حافظوا على التراث المشرقي حتى ظهور بشارة المخلص يسوع المسيح، الذي اجتاح بالكلمة الحكيمة الامبراطوريات والممالك، وقضى على معتقداتها القديمة البالة، وحطّم الأصنام وساد المشرق كله مدة أربعة قرون، وذلك انطلاقاً من مدينة بيت (عيناتا) بيت زبدا آزخ على يد الرسول أدى " تداوس " وآحي وماري بنت سليمان عندما وفدوا إلى آزخ مع الملك مانو (٢) الرابع كومو سنة ٣٤ ـ ٣٥م حيث بشروا وعمدوا الكثيرين.

١- قصة المؤرخ المجهول وردت في تاريخ طور عبدين الفصل الرابع والعشرون ص ٢٨٨.

٢- الملك مانو كومو، إنه شقيق الملك أبجر الخامس، هرب إلى آزخ بعد أن استلم أبجر الحكم بواسطة الرومان، والملك مانو الرابع هو الذي آمر معبد زبدا أول كنيسة باسم العذراء مريم أم المسيح.

ولم يقصر التبشير برسالة السيد المسيح على سكان مدينة آزخ فحسب، بل تعداها وانطلق منها وانتشر نحو طورعبدين والمدن الأخرى غرباً، ثم ذهب ادى مع آحي نحو الشرق، حتى وصل الأهواز وبلاد فارس وبحيرة أورمية، وعاد إلى مدينة آزخ، ثم انطلق نحو الغرب واجتاح ما بين النهرين عائداً إلى الرها.

اجتاحت بشارة السيد المسيح انطاكية وحوض البحر الأبيض المتوسط حتى روما عاصمة الرومان.

فلمدينة آزخ وشعبها الباسل اعظم الفخر والاعتزاز، لأنها أول مدينة في ما بين النهرين وسوريا نالت بشارة السيد المسيح، ومن معبد (زبدا) الذي أصبح أول كنيسة باسم العذراء أم المسيح انطلقت شرارة الإيمان القويم وقد تأسست ثاني أكاديمية لاهوتية وعلمية وفلسفية في مدينة آزخ بيت زبدا، ومن هذه الاكاديمية تخرج العلماء اللاهوتيون من القسوس والهبان والاساقفة والبطاركة، منهم:

باباي برنصيبينا، باباي الكبير، ويوحنا يرنيكايا، والبطريرك اسحق الآزخي، وديوسقوروس عبد المسيح الآزخي ومزرا اسحق آزخ سنة ١٢٠م وشوبحا ليشوع القرن الثالث، ومار قورلس برصوم بن لحدو الآزخي سنة /١٨٥١ ـ ١٨٧٢/ والاسقف قورلس كوركيس بن عبد الله الآزخي الذي قتله الأمير عز الدين شيد في جزيرة بن عمر سنة ١٨٥٤م على أثر وشاية مغرضة من شخص من آل بهنو من جزيرة بن عمر.

أما يوحنا بربنكايا أصله من قلعة فتك (قسطرا دبيت زبدا) (١)، ديره في مدينة آزخ، وباباي برنصيبينايا ديره في جبل سنجار (٢)، وقد شيّدت أديرة كثيرة منسوبة إلى تلاميذ مار أوجين، ومنهم دير مار يوحنا ودير مار اشعيا الحلبي في مدينة آزخ، الذي كان أحد تلاميذ مار اوجين (٣).

كان الإيمان بالسيد المسيح ينمو بتقوى وبجديّة نحو التقدم بواسطة العلماء الروحيين وانتشر نحو الغرب والشرق دون أن يلاقي هؤلاء المبشرين أي ضغط أو إكراه حتى مجيء العرب المسلمون الذين عاملوا السريان الآشوريين المعاملة الحسنة.

فلما اعتنق الغرباء الأعاجم الإسلام، ضيّقوا على السريان المسيحيين وفرضوا الجزية عليهم في مناطق حكمهم.

أما العشائر الكردية التي اعتنقت الإسلام عن خاطر أو بالضغط والإكراه ظلّت على ولائها وصداقتها مع أهل آزخ في جميع الأحوال.

وتوضيحاً للحوادث الجارية والتي جرت في هذه المنطقة الحساسة بموجب موقعها الجغرافي والاجتماعي بين العشائر الكردية وبين شعب مدينة آزخ، بالرغم من الجهل والأمية التي تعم الأكراد في هذه المنطقة، لم تتقطع صلة الارتباط فيما بينهم.

عندما اجتاحت الجيوش الفارسية المناطق المحاذية لمدينة آزخ، لم تؤثر على إيمانهم وعقيدتهم الأرثوذكسية ولم يتزحزحوا عن إيمانهم،

١- راجع كتاب الصفه ـ نوما مركايا: يقول ديره في آزخ.

٢- انظر: تاريخ كلدو وآشور لأدي شير ص٢٦٨.

٣- انظر: ماموس بن بهلول ص١٦٤ يقول: ([illegible]).

بالرغم من مساعدة الفرس للسريان الآشوريين النساطرة، حتى مجيء الأمير عياش بن غنم وفتح جزيرة (قردو دبيت زبدا) (١).

وعلى أثر مجيء العرب إلى منطقة بيت زبدا، قضوا على الجيوش الفارسية، وقد نعم المسيحيون بالهدوء والاستقرار مدة حكم العرب.

إن الأمير عياض بن غنم من قبيلة غنم كانت سريانية أرثوذكسية، وكان أغلب جيشه من قبيلة غنم السريانية الأرثوذكسية.

وقد فتح عياض الرقة وآمد ونصيبين وشمال وغرب ما بين النهرين، حتى ماردين (٢) سلماً.

وبذلك وضع الأسس الأولى لتاريخنا الحديث، ومعدّاً بأكمله لظهور الإسلام واجتياحه العالم على يد شعب آرامي بدوي عرفه الآراميون بالعربي، أي شعب غربي الفرات من أرض المشرق، وأمده بأسباب قوّته ونجاحه لينهض المشرق مجدداً ويكون شعب سيد نفسه (٣).

وقد أتم عياض بن غنم فتوحاته سلماً لأن جميع المناطق التي فتحها معظمها كانت سريانية آشورية تدين بالمسيحية، وتحت الاستعمار

١- اشعيا كان ابن ملك حلب، زوّجه والده الوثني، أما اشعيا كان قد اعتنق المسيحية عن إيمان وعقيدة، بعد زواجه لم يدخل على زوجته، ترك حلب والتحق بتلاميذ مار اوجين في جبل ايزلا وأصبح مبشراً في قرى طورعبدين.

٢- تاريخ المشرق لزكريا كايا ص٥٦.

٣- انظر: تاريخ فتوح البلدان للبلاذري.

البيزنطي الظالم. ولما علموا عن هذا البطل وبأنه ينتمي إلى قبيلة غنم السريانية التي تدين بالأرثوذكسية ومن أقربائهم السريان الآشوريين، قدموا له كافة الإمكانيات المادية والمعنوية من مقاتلين ومواد تموينية لجيشه لدحر البيزنطيين المستعمرين، ولكي يتحدروا من قساوة الظلم الفارسي الذي لاقوه منهم أسوء من البيزنطيين.

وهكذا تخلصوا من الاستعمارين البيزنطي والفارسي بآن واحد (١)، وقد تنفس الصعداء السريان النساطرة والأرثوذكس، وتحرروا من هول الاستعمارين البيزنطي المسيحي والفارسي المجوسي، بمعاونة العرب أبناء عمهم.

وقد تسلّم السريان الآشوريين كافة الإدارات والشؤون المالية والرسائل وغيرها من الأمور الإدارية في عهد الأمويين والعباسيين والراشدين.

وكان أحد عمال الخليفة هارون الرشيد قد هدم بعض الكنائس في مصر، فلما أفضت الخلافة إلى الرشيد أمر بإعادة بنائها (٢). حتى صاروا وزراء وتعاظموا في الاتساع، وفي عهد الحاكم بالله سنة ١٠٠٤م زادت وعظمت أموالهم وكثرت، ولكثرتها حسدهم المسلمون، بعدما دخل الغرباء الأعاجم في الإسلام.

١- راجع خططه ـ كتابه عن المسيحيين أيام الخلافة.

٢- حقيقة تاريخ المشرق زكريا كايا ص٣٤٠.

ولما استلموا المسؤولية، ضيّق على المسيحيين هؤلاء الحكام كثيراً وجاروا عليهم (١)، وقد تعرضت بعض المناطق البعيدة عن منطقة آزخ لبعض المساوئ الضارة، مثل دياربكر وماردين وسعرت وأرزون غرباً وكركوك وأربيل والموصل شرقاً، وصارت الضغوطات والاضطهادات المريرة (٢).

وقد نسوا أو تناسوا بأن هؤلاء السريان الآشوريين المسيحيين هم الذين ساعدوا العرب المسلمين بفتوحاتهم.

وأكبر مثال على ذلك عندما قام ماموس المسيحي الثعلبي بقتل القائد الفارسي مهران (٣) واستولى على فرسه.

فالمسيحيون ولاسيما رؤسائهم عضدوا المسلمين في التحرير الاسلامي وأرسلوا المدد والتموين إلى جيوشهم الباسلة التي كانت تقاتل البيزنطيين والفرس، لأن المسيحيين ملّوا من ظلم الفرس والرومان الذي تعرضوا له في عهود طويلة.

وقد رحّب السريان بمجيء العرب لصلة القربة الموجودة بينهم حيث هم أبناء عمومه، إضافة للتقارب بين لغتهم السريانية ولغة المحررين العربية، لكون اللغتين تنتميان إلى دوحة واحدة هي الآرامية (٤).

١- حقيقة تاريخ المشرق زكريا كايا ص٣٤٠.

٢- تاريخ تكريت حاضرة الكنيسة السريانية، تأليف سهيل قاشا ص١٣٧-١٥٣.

٣- راجع السريان حضارة وإيمان لسيادة المطران اسحق ساكا ص٢٤٢.

٤- روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات ص١٢٠-١٢١.

وأيضاً العرب ساعدوا السريان الآشوريين المسيحيين وأنقذوهم من ظلم الرومان والبيزنطيين، ومن هنا أطلق السريان بلغتهم الآرامية على عمر بن الخطاب ثاني خلفاء الراشدين (فاروق) لأنه أنقذ هذه البلاد من حكم الرومان (١).

وقد عبر عن المشاهد الفئة الأولى من الفلاحين ميخائيل السرياني بقوله:

إن الله المنتقم قد أرسل إلينا العرب لينقذونا من الرومان، إن كنائسنا لم ترجع إلينا فحسب، فقد احتفظ كل منّا بما يملك، ولكن العرب حررونا من وحشية البيزنطيين وحقدهم علينا (٢).

وقد كتب أبو عبيدة إلى أمراء الألوية بأن يعيدوا إلى السريان المسيحيين التي جمعوها منهم، وبعد أن اتفق ملك الفرنج جوسلين مع الاراتقة الترك، جهز جيوشه وسار لاحتلال مدينة الرها.

وفي هذا الوقت بالذات كان الخبر وصل إلى نور الدين زنكي فوراً، غادر حلب إلى الرها، ووصلها يوم الثلاثاء فخرج لاستقباله المطران مع رجال الاكليروس السريان الأرثوذكس حاملين الصليب والإنجيل، وخرج المسلمون معهم (٣).

١- معجم البلدان ج٢ ص٣٠٣ (ܦܪܘܩܐ) تعني: المنقذ أطلقها السريان على عمر.

٢- الحرب الصليبية في الآثار السريانية للقس اسحق أرملة ص٩٨-١١٠-١١١.

٣- الحرب الصليبية في الآثار السريانية للقس اسحق أرملة ص١١١.

فرحب نور الدين زنكي بالنصارى، وأخذ الانجيل وقبّله، وحيّا المطران يستفسر عن صحته، وقال له: ما جئت إلا لأجلكم وحباً بكم، وعطفاً عليكم وسداً لحاجاتكم، ثم قصد الباب الشرقي متوجهاً إلى الباب الشمالي، حيث كان الترك محاصرين.

➢ السريان المسيحيين وظهور الصليبيين ➣

ابتدأ ظهور الصليبيين في بلادنا سنة ١٠٧٩-١٢٤٢م، قاست البلاد الأهوال أثنائها، كان وجودهم نقمة ووبالاً على السريان الوطنيين بنوع خاص، فقط اضطهدوهم بقسوة شديدة وأذاقوهم الأمرَّين، وقد انتزعوا الأماكن المقدسة منهم، واستلموا الأديرة من السريان الأرثوذكس، واحتقروا حتى لغتهم القومية الآرامية، الأمر الذي لم يخفى على البطل صلاح الدين الأيوبي، فاستعان بالسراين الأرثوذكس على فتح بيت المقدس عندما علم ما يكنونه من كراهية وحقد للفرنج الصليبيين والميل إلى مواطنيهم العرب.

فساعده السريان واحتل بيت المقدس وطرد هؤلاء الغزاة، وهكذا ظلت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية تعيش بأمن وسلام واطمئنان في ظل الحكومات العربية الاسلامية.

وهي بحق وجدارة، إنها الكنيسة الوطنية التي تعشق الحرية، ولم تتعلم أن تستعبد لا للشرق ولا للغرب، وحافظت على استقلاليتها.

وقد برز من أبنائها علماء كثيرون وفلاسفة وشعراء كبار إلى أن استلم الأتراك العثمانيين زمام السلطة، تقلص نفوذ السريان المسيحيين، وكثرت المظالم والضيقات والتعديات عليهم في جميع المناطق،

أما مدينة آزخ كان لها وضع خاص في المنطقة مع العشائر الكردية، حيث كانت على وفاق تام واحترام متبادل في كل دور وزمان،

قبل المسيحية والإسلام، لم يذكر المؤرخون ولا الحكايات الشعبية بأنه حصل أي خلاف جوهري فيما بين هذه العشائر الكردية وبين أهل آزخ.

عندما كان يحصل أي خلاف ما بين هذه العشائر الكردية نفسها، كان أهل آزخ هم الذين يتوسطون فيما بينهم لحل كافة المشاكل المستعصية وتنتهي هذه الخلافات ان كانت على الأراضي أو القتل أو خطف النساء أو أية حادثة حصلت لسبب من الأسباب، وكانت هذه المشاكل تحل كلها بالطرق السلمية.

وهكذا كان الوئام والاحترام متبادل بين هذه العشائر الكردية القاطنة في منطقة آزخ وبين أهل آخ على مرّ الزمان، وحتى في زمان سلطة الحكام العثمانيين، وقد تعاقب على السلطة قادة ظالمون وأصبحت امبراطورية مترامية الأطراف ظالمة بحق المسيحيين.

فلم تتمكن هذه القوى الغاشمة في أدوارها التعسفية من التفريق بين أهل آزخ والعشائر الكردية القاطنة في هذه المنطقة الحساسة في ما بين النهرين، بالرغم من تحريضها وترغيبها بالمال وإباحة النساء وتحليل قتل المسيحيين حسب الفتاوي التي كان يصدرها الملالي المتزمتين من الأكراد المتعاونين مع السلطات العثمانية، الذين كانوا يخالفون تعاليم القرآن الكريم، حيث ارتكبوا حماقات جمّة لم تغتفر لأولئك الآغاوات والإقطاعيين الذين أمروا فلاحيهم بإرتكاب أبشع الأعمال الوحشية بحق المسيحيين باسم الدين الإسلامي، والدين منهم بريء.

وهذه الأعمال القبيحة والمجازر التي ارتكبها بعض العشائر الكردية في منطقة طور عبدين وماردين وسعرت وغيرها من المناطق مثل عشائر بوتكا - جيلكة - دكتورية محلمية - أومريان - حورانية.

ان رؤساء هذه العشائر كانوا من الأميين الذين لا يفقهون تعاليم القرآن الكريم، إلاّ ما يشرحه لهم الملالي والمشايخ خلافاً لنصوص القرآن وتعاليم الإسلام، وهذه الحماقة أدت إلى قتل وإبادة السريان المسيحيين والأرمن.

أما عشيرتي المحلمية والأمريان ليست من العشائر الكردية بل إنهما من أصل سرياني آرامي، وقد اسلموا سنة ١٦٠٩م لأجل الصيام، ويتكلمون اللغة العربية، بسنهما الناس للأكراد ظلماً، ولا زال ينطقون بعض الكلمات في أحاديثهم من اللغة الآرامية.

وهاتين العشيرتين قامتا بمجازر بأبناء جلدتهم السريان ما قام بها أي عشيرة كردية، وقد حسبوهم الناس على الأكراد ظلماً وعدواناً.

➢ نبذة عن المحلمية - الأومريان ➣

ان المحلمية ولأومريان متواجدين في منطقة واسعة، والقرى هي: استل - كفر حور - دير أوسبينا - كفر عرق - كفر شع - كنديريب - أبشاي - شور صفح - دير لريب - طافو - كفر علاب - تونيب - عينكاف - كفر جوزة - كفر سلطان وغيرها من القرى حوالي ثلاثمائة وستون قرية، معظم سكانها كانوا سريان آراميين، وكان يسكن معهم بعض الأكراد من

المسلمين، وكان في هذه القرى كنائس كثيرة، وكبريات هذه القرى استل بالقرب من مديات وشور صفح ودير أوسبينا وأبشاي وكفر جوزة.

كثرت المظالم والضغوطات على المسيحيين من قبل حكام الاتراك حوالي سنة ١٥٨٣ ـ ١٦٠٦م اضطرت قبائل الأومريان والمحلمية ومنها استل والراشدة والمكانشية وحورا والأحمدية ورشمل وقبالا ولاشنية باعتناق الإسلام تخلصاً من الظلم، وهذا رأي من أحد الآراء عن المحلمية والأومريان.

أما الرأي الثاني يقول: لقد حدث هذا الحادث الهام في عهد بطريرك طور عبدين، وفي رواية أُخرى حقيقية ان ذلك جرى في عهد عيدو الهوزي الذي يجهل اسمه وحتى اسرته.

أما التقليد الشعبي الذي يتناقله الناس في طور عبدين ومدينة آزخ بيت زبدا، والذي مردّه ان هذا الحدث كان في عهد البطريرك اسماعيل في ماردين، ويعتبرها الناس رواية اسطورية خيالية، والسبب هو أن اسماعيل غير ذا قيمة في طور عبدين للشقاق الذي أثاره في الكنيسة بسوء إدارتها فحسب له أعداؤه هذا الحدث أيضاً وادعوا ان ذلك إنما جرى وحدث عندما منع هذا البطريرك أبناء هذا الشعب من تناول الطعام المحرم أثناء الصوم، مثل اللحم والبيض والحليب واللبن، لسبب المجاعة الضارية أطنابها بينهم، عندئذ عندئذ فحرمهم ورفض قبولهم لديه، فاسلموا على أثر عناده للسماح لهم الأكل المحرم بالصوم، إلا أن الجوع كان قاسياً(١).

١- تاريخ طور عبدين لغبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص ٣٥٤

أما التقليد الشعبي بين المجتمع السرياني يقول: ان المطران الجاهل في ماردين لم يسمح لشعب المحلمية ـ الأومريان بأكل اللحم الممنوع في الصوم، وكانت المجاعة مستفحلة وشديدة جداً فلم يكن مناص لديهم إلاّ أن ياكلوا ليعيشوا فحرمهم هذا المطران الجاهل ولم يستقبلهم، فعلى أثر عناده أعلنوا اسلامهم، ولهذا السبب حقدوا على السريان المسيحيين أقربائهم في ذلك الحين.

وفي سنة ١٦٠٦ ـ ١٦١١م استوزر أحد المحلمية في حلب وأصبح صالحاً إلى حدٍ ما، وهو من قرية كوملخو اسمه نصوح باشا، وفي سنة ١٥٥٩م كان قد أثار حرباً ضد محمد باشا بن أحمد الطويل واندحر، وصار حاكماً في ديار بكر (آمد) ثلاث سنوات إلى سنة ١٦٠٩م وهذا وإن كان عاقلاً وعمّد قرى كثيرة في منطقة ماردين، إلاّ أنه كان طماعاً، فجمع ذهباً كثيراً.

وتزوج من بنت شرف بك الكردي، وفي سنة ١٦١١م صار رئيساً للوزراء وذهب إلى ديار بكر لمدة سنة واحدة لكي يتوسط في الصلح بين الأتراك والأكراد في كردستان البوطان.

أما أتباعه كانوا أشراراً ولذلك قتله السلطان سنة ١٦١٤م، والمحلمية ـ والأومريان يعدون بالألوف الكثيرة ، وقد أسلموا حسب ما بحديث الرواة.

وقع الشعب السرياني الآشوري تحت المظالم وكانت تتحكم فيه قوى اقطاعية باغية غبيّة من آغاوات الأكراد الذين كانت تنصبهم الدولة العثمانية، وتوليهم على مقدرات الشعب الكردي التعيس.

وكانت الحكومة العثمانية تسخّر هذه الفئة التي أقامتها لخدمتها لضرب المسيحيين، وتحرضهم على نهب وسلب أموالهم وقتلهم مع النساء والأطفال باسم الدين، باعتبارهم كفار مشركين.

وبعملها هذا كانت الحكومة العثمانية تضرب عصفورين بحجر واحد، ليستمر العداء بين الأكراد والسريان الآشوريين.

وكانوا يشجعون الطبقة الفقيرة المستعبدة من الأكراد ويستغلونها باسم الدين والجهاد المقدس لنهب وقتل المشركين الكفار المسيحيين، كان الملالي والمشايخ يصدرون الفتاوي لإلهاء هذه الطبقة الفقيرة المعدومة من الشعب الكردي الذي يجهل تعاليم القرآن الكريم.

وقد استعملوا هذا الأفيون لكي لا تتحرك هذه القوى ضد الحكومة العثمانية والإقطاع الذي يقوم بنهب وسلب أموالهم بالذات، وصرف النظر عن واقع هذا الاستقلال وتبديد طاقات هذه الفئة المستعبدة.

كان على هؤلاء الآغاوات والاقطاعيين أن يوجهوا نضالهم ضد الأتراك العثمانيين لتحرير أنفسهم من الذل والعبودية والاستقلال بدلاً من أن يقتلوا الناس الأبرياء، لكن الحكومة العثمانية عرفت كيف تلهي الملالي والمشايخ بغية إسكاتهم، وهم لا يعلمون بأن عملهم هذا يخدم بقاء ودوام الامبراطورية العثمانية.

لأن جميع المجازر والظلم والتشتت التي عانى منها الشعب الآشوري السرياني المسيحي هي من صنع الاقطاعيين ورجال الدين الأكراد مسؤلين عنها أولاً وآخراً.

لأن الجهل المطبق على الشعب الكردي الأمّي من الفلاحين والعبيد الفقراء الذين لا يفقهون شيئاً عن تعاليم الإسلام والقرآن الكريم إلاّ ما يصدره لهم الملالي من الفتاوي المنافية للدين الإسلامي ونصوص القرآن الكريم، حتى أصدرت الحكومة العثمانية أمراً قبيحاً وهو: كل من يأوي أو يستر على أحد المسيحيين، يُقتل هو وأولاده مع المسيحي المختبئ لديه، فقتل كثيرون من الأكراد لإيوائهم بعض المسيحيين.

وبهذا العمل الشائن أصبحت أصابع الإتهام تشار إلى الأكراد، وصار الحقد يَنصَب عليهم من جميع الجهات، وأنهم لا يعلمون أن عملهم هذا سيكون وبالاً عليهم، واسلامهم لا ينقذهم من براثن الأتراك الظالمين.

وهكذا خانهم الأتراك ومنعوا عنهم حتى التكلم بلغتهم الكردية، ونقضوا المعاهدات الدولية التي تعطيهم الاستقلال.

لكن كانت هناك أحداث كردية شريفة ضد المذابح، لقد حاول عدد من الأكراد المتنورين تنبيه الشعب الكردي، والفرق الحميدية عدم ممارسة هذه الأعمال الإجرامية التي تدفعهم وتحرضهم عليها الحكومة العثمانية.

إلاّ أن أصواتهم اختفت أمام صرخات الجهل والإثارة، وفي مقدمة هؤلاء الكورد الشيخ عبد الله النائيري النقشبندي، الذي قال:

نحن الأكراد يحتاج إلينا الأتراك الآن للقضاء على المسيحيين، وإذا ما بدأنا بالمسيحيين سيقضي علينا الأتراك، أما الشيخ عبد الله عين كافي الذي كان ينهي ويمانع بجدية بعدم الاعتداء وقتل المسيحيين، وعلى أثر ذاك المنع قتل الأتراك شقيقه يوسف عين كافي.

أما الشيخ نوري سردحلي الذي فرض الصلح بين أهل آزخ والعشائر الكردية، حيث قال:

كل من يمانع عن عقد الصلح تكون زوجته طالق، وبالأخص ذلك الشهم الشيخ محمد حسن فندكي الذي حارب الأتراك وعملائهم ودافع عن المسيحيين وحماهم في قريتي (فندك وباسا) وأنقذهم من القتل والإبادة، وعمل مقره وسكن في قرية فندك ليحمي سكانها السريان الآشوريين.

وقد استغل السلطان العثماني رجال الدين الأكراد ضد بعضهم البعض، لإخماد ثورة الأمير بدرخان بك أمير جزيرة بن عمر والبوطان، حيث خطورة هذه الثورة على الباب العالي، بسبب التفاف الكورد والأرمن والسريان الآشوريين حوله.

فدعا السلطان العثماني كل من ملا محمود بيازيدي من سعرت والملا محمد البوطي الكرديان، حتى أصدرا فتوى: إن من يحارب جيش الخليفة السلطان غير مؤمن بالإسلام وزوجته طالق، على أثر هذه الفتوى ترك الجنود الأكراد أميرهم يلاقي مصيره المشؤوم أمام السلطان وأعدم بسبب هذه الفتوى، وقضي على الدولة الكردية الفتية التي كان قد أسّسها الأمير بدرخان بك.

المعاهدات الدولية التي بحثت القضية الكردية

أثناء الحرب العالمية الأولى دغدغ الحلفاء الكورد من خلال إعطائهم وعوداً في تحقيق أمانيهم ومطامحهم لإقامة دولة كردية بعد الحرب على أنقاض السلطة العثمانية. وذلك بأن يقوم الأكراد بالتمدّد والثورة على الأتراك أثناء الحرب والعمل على زعزعة الوضع الداخلي لديهم مما يؤثر في وضعهم العسكري في الحرب ويؤدي إلى هزيمة الأتراك.

وفعلاً قدّم بض الأكراد المساعدات للحلفاء، واستجاب قسم منهم لطلباتهم أملاً في بتنفيذ الوعود التي قطعها الحلفاء لهم، لكن الأتراك كعادتهم استعملوا الدين ستاراً ضد هذه الحركات الكردية بواسطة الملالي والمشايخ من الأكراد.

وما أن انتهت الحرب حتى بدأت سياسة المراوغة من قبل الأتراك، بأن اقتصرت أماني الاستقلال إلى حكم ذاتي ترعاه تركيا، ثم تطور إلى إسقاط الحكم الذاتي، ثم سحق الأتراك كل المواثيق التي وقعوا عليها ونذكر منها:

معاهدة سيفر

وقعت هذه المعاهدة في ١٠/آب/١٩٢٠ ، بين الأتراك والحلفاء، وتضمنت بنوداً عدة، تم الاتفاق عليها بين الطرفين، وأهم ما يخص القضية الكردية جاء في البنود التالية:

المادة ـ ٦٢ ـ تشكل لجنة مقرها القسطنطينية وتتألف من أعضاء ثلاثة تعينهم الحكومة البريطانية والفرنسية والإيطالية كل من جهتها، وعلى هذه اللجنة أن تضع في غضون ستة أشهر من التوقيع على هذه المعاهدة مشروعاً للحكم الذاتي المحلي للمناطق التي يسكنها الأكراد والواقعة شرقي الفرات وجنوب الحدود الأرمنية. كما ستقرر فيما بعد " شمال حدود تركيا مع سوريا وما بين النهرين ".

المادة ـ ٦٣ ـ في غضون سنة واحدة من هذا التاريخ إذا ظهر الشعب الكردي القاطن ضمن المناطق المحدودة في المادة (٦٢) إن أغلبية سكان تلك المناطق ترغب في الاستقلال، وإذا رأى مجلس عصبة الأمم أن هؤلاء جديرون بهذا الاستقلال، وإذا أوصى بأن تمنح لهم، فعلة تركيا أن توافق فوراً على تنفيذ التوصية، وأن تتنازل عن كل حقوقها وامتيازاتها في هذه المناطق.

لكن الحكومة التركية التي كانت بأمس الحاجة إلى وقف الحرب وإنهاء الاحتلال، وافقت مرغمة على تلك البنود، إلاّ أنها بعد رحيل الحلفاء من أراضيها لم تنفذ أي بند من بنود الاتفاق، وكانت بنود أخرى في تلك المعاهدة تخص الأماني القومية الأرمنية.

بدهاء من أتاتورك أن يلعب على الأكراد بتأجيل القضية مع الأكراد حتى إنهاء حربه المقدسة مع الكفار اليونان، فاستمال الأكراد بواسطة المشايخ والملالي، أولاً بتحقيق آمالهم ومطالبهم، فسمح لهم بالتحدث والكتابة باللغة الكردية. وحثّ الأكراد بواطسة رجال الدين الأكراد بأن يساعدوه على الكفار اليونان !! لإنقاذ دين الاسلام منهم أولاً، ويتركوا قضيتهم في الوقت الحاضر الذي لا يسمح لهم بالانفصال عن دينهم.

عند ذاك نفض أتاتورك يده من كل اتفاق، وحلّ تركيا من العهود والمواثيق التي قطعها مع الأكراد، وبدأ بسحق الأكراد سحقاً لا مثيل له، وبدأ بتهجيرهم خارج مناطقهم، كما فعل بالأرمن من قبلهم، حيث حرضهم عليهم لقتلهم وإبادتهم باسم الدين، فلاقى الأكراد ما لاقاه الأرمن.

معاهدة لوزان والأماني الكردية

في هذه المعاهدة نسقت مواد معاهدة سيفر التي نصت صراحةً على الحكم الذاتي للأكراد داخل تركيا، وغيّرت خط السير الذي اتفق فيه

الأكراد مع الحلفاء، فقد نصت على مادتين فقط من القسم الثالث للمعاهدة حول القضية الكردية فجاء ما يلي:

المادة ـ ٣٩ ـ لن يشرع أي قيد ضد حرية أحد ممن لهم الرعوية التركية في التعبير واللغة التي يردونها سواء أكانت في المعاملات الخاصة والتجارة والشعائر الدينية والصحافة والمطبوعات بكافة أنواعها أو كانت في الاجتماعات السياسية.

وبذلك سقط الحكم الذاتي وأصبح بدلاً عنه حرية التعبير والحماية للأرواح وبعدم التمييز بينهم وبين الأتراك، فكانت معاهدة لوزان إسقاطاً تاماً للقضية الكردية التي وردت في معاهدة سيفر.

وبعد ذلك صارت الحكومة الكمالية، وأسكتت كل صوت يرتفع ويطالب بالحقوق الكردية، وبدأت بسحق المدن والقرى الكردية وتهجيرهم من مناطقهم ومساكنهم، وبقي الحال هكذا ما بين الأتراك والأكراد إلى الآن " وهذا ما جنته براقش على نفسها ".

وأصبح قتل الكردي جهاداً مقدساً، كما كان في الماضي القريب قتل وإبادة الأرمن ومن بعدهم السريان الآشوريين جهاداً مقدساً.

فالعقاب الذي يناله اليوم الشعب الكردي ليس إلاّ ما قام به من حماقة أولئك الآغاوات والاقطاعيين والصوافي الأغبياء وفتاوي ملاليهم التي أصدروها بين الشعب الكردي وحلّلوا فيها قتل الشعب الأرمني ومن ثم الشعب السرياني الآشوري، وأباحوا لهم هتك أعراض النساء ونهب

وحرق البيوت على رؤوس أصحابها خلافاً لنصوص القرآن الكريم التي كان يجهلها الغالبية العظمى من الشعب الكردي الأمّي المستعبد.

وكانت هذه الفتاوي بحق المسيحيين باعتبارهم مشركين، ترضة وتزلف لحكام الأتراك، وخدمة جليلة لدوام السلطة العثمانية.

أما الأكراد في الوقت الحالي فقد دبّ الوعي القومي والفكري بينهم، وقد تثقفوا تثقيفاً وإدراكاً تاماً، وأحسوا بواجبهم الإنساني، ولا يلاقونه اليوم من تعسف وقتل وحرق البيوت على رؤوس ساكنيها من قبل الأتراك الظالمين، كما جرى للأرمن والسريان الآشوريين حتى ملأوا الوديان من جثثهم.

لأن مصلحة الحكومة التركية هي فوق الدين الإسلامي، وعرفوا كيف يستغلون الدين لصالحهم، وحكموا العرب وغير العرب من شعوب المنطقة باسم الذين مدة ٤٠٢ سنة، إلى أن دبّ الوعي القومي بين الشعب العربي، فقام بالثورات المتتالية، إلى أن تخلص من نير الاستعمار التركي البغيض، وقد قدم من الشهداء الأبرار في سوريا ولبنان على أعزاد المشانق في دمشق وبيروت، وذاق الشعب العربي الأمرَّين حتى اندحر الأتراك من سوريا ولبنان وبقية البلاد العربية.

ولم يفرق الأتراك ما بين العرب المسلمين والمسيحيين، وأكبر دليل على ذلك شهداء السادس من أيار عام ١٩١٦-١٩١٧م، من قبل السفاح جمال باشا، حيث كان همهم الوحيد هو القضاء على الثورة العربية مهما كثرت الضحايا من الشعب العربي من إسلام ومسيحيين. وقد

استعملوا كل قساوة وشراسة ممكنة لهذه الغاية لدوام حكمهم وسلطتهم على العرب، وكانوا ينعتون العرب بقولهم:

(عرب بيس ملّت) (١) " ARAB PIS MILLET " (١)

لكن العشب العربي في سوريا لم يسكت أبداً بالرغم من الضحايا البريئة التي قدمها على مذبح الاستقلال من خيرة أبنائه.

فانتصر الشعب العربي على الأتراك ولقنهم درساً لم ينسوه، وأكبر دليل على ذلك تشهد وديان دمّر والهامة غربي دمشق التي امتلأت وديانها من جثث جنود الأتراك في هذه المعركة الشهيرة " معركة دمّر والهامة " (٢).

وقد كتبوا بعد الهزيمة على أزرار معاطف الجنود كلمة: (دمر هامة) لكي تبقى ذكرى أليمة بما أصاب جنود الأتراك من إبادة جماعية في هذه المعركة الفاصلة، لينتقموا من أهل دمشق فيما إذا عاد الأتراك ثانية.

وقد تخلص الشعب السوري نهائياً من الاستعمار التركي الأثيم إلى الأبد، وهكذ توحد العرب الإسلام والسريان المسيحيين من أجل تحرير البلاد من المستعمرين الأتراك، كما توحدوا في الماضي أثناء الفتح العربي، وقضوا على البيزنطيين المسيحيين، والفرس المجوس عابدي النار.

١- كلمة: (عرب بيس ملت) كلمة تركية: تعني: الشعب العربي القذر، أو العرب شعب قذر - ARAB PIS MILLET -

٢- معركة دمّر والهامة: راجع لمحات عن تاريخ سوريا منذ مطلع القرن العشرين.

- وصية الملك حسين بن علي -

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي ملك العرب وشريف مكة وأميرها إلى الأمراء الأجلاء الأماجد الأمير فيصل والأمير عبد العزيز الجرباء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد .. صدرت الأحرف من أم القرى بتاريخ: ١٨ رجب ١٣٣٦هـ، نحمد الله الذي لا إله إلا هو إليكم، ثم نصلي على بنيه وآله وصحبه وسلّم.

نخبركم بأنه والثناء له وتبارك وتعالى بصحبه وعافية ونعمة من فضله ضافية وافية، أسبل الله علينا وإياكم سوايغ نعمه.

وان المرغوب بتحريره، المحافظة على كل من تخلف بأطرافكم وجهاتكم وبين عشائركم من الطائفة اليعقوبية والأرمنية تساعدوهم على كل أمورهم وتحافظون عليهم كما تحافظون على أنفسكم واموالكم وأبنائكم وتسهلون لهم كل ما يحتاجون إليه في طعامهم وإقامتهم فإنهم أهل ذمة المسلمين والذي قال فيهم صلوات الله عليه وسلامه.

• ورد خطأ بنص الرسالة: إذ يقول (الطائفة الأرمنية اليعقوبية) إن الأرمن ليسوا يعقوبيين، بل إن طقوس الأرمن الكنسية شبيهة بطقوس الكنيسة اليعقوبية السريانية الأرثوذكسية، وانه يخص بذلك السريان اليعقوبيين الأرثوذكس.

من أخذ عليهم عقال بعير كنت خصمه يوم القيامة، وهذا من أهم ما نكلّفكم به وننتظر من شيمكم وهممكم والله يتولانا وإياكم بتوفيقه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حكم الأمراء البختيون وعلاقاتهم بمدينة آزخ

كان الأمراء البختيون يحكمون منطقة البوطان أما مقر حكمهم كان في جزيرة بن عمر، أولهم الأمير عبد العزيز سنة ١٣٠٠م آخرهم عز الدين شير الرابع ومسور بك الثاني بن سيف الدين بك الثاني اللذان قبض عليهما سنة ١٨٥٥م وسيقا إلى القسطنطينية، كما كان قد سيق قبلهما ابن عم أبيهما بدرخان بك بن محمد الثاني، وزال مُلكهم فتخلص سكان الجزيرة وطورعبدين من ظلمهم وعفا أثرهم (١).

فقد أحصي سبعة وثلاثين أميراً من هؤلاء الأمراء في تاريخ البوطان من سنة ١٣٠٠ إلى سنة ١٨٥٥م أي خمسمائة وخمسون سنة.

أما الذين خلفوا الدمار وسببوا القتل والنهب والظلم في طورعبدين فهم:

١- تاريخ طورعبدين لغبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص٣٦٠-٣٦١.

شرف الثاني ١٥٠٥-١٥١٣م، وشمدين "شمس الدين" ١٧١١-١٧١٤م، وبدرخان بك ١٨٣٣--١٨٤٦م، وعشر الدين شير وأخوه مسعود ١٨٥٤-١٨٥٥م.

يذكر كتاب الشرفنامة، ان أول هؤلاء الأمراء هو عبد العزيز والد سيف الدين، وورد أسماء واحد وعشرين أميراً ومملوكاً، إلى عهد الأمير شرف بن خان عبدال. أما بقية الأسماء جمعت من المصادر السريانية وصبحي الأعشى والقلقشندي الكاتب المصري.

وقد ورد عن القلقشندي ثلاث أسماء وهم: سيف الدين الأول، وعز الدين الأول، أحمد وعيسى من سنة ١٣٢٠ إلى نهاية تشرين الثاني سنة ١٣٦٢م.

ذكر شرفخان في كتابه إن بدر الثاني بن شاه علي بك الذي ملك سنة ١٥١٤-١٥٦٨-١٥٧٠، أعاد إليه السلطان التركي إمارة الجزيرة ما عدا طورعبدين (١) ومنطقة هيثم، وقد خلفه ابنه محمد الأول، وقُتل سنة ١٥٧٨م.

عند موت ناصر بك رغب ابنه خان عبدال بجميع ملكه، بما فيه طورعبدين وقلعة هيثم، وقد قصد السلطان سليم الثاني في الأستانة سنة ١٥٦٦-١٥٧٤م وحال دون وصول بغيته رئيس الوزراء فطرده، وبعد ذلك قتله وكل الذين معه بأمر السلطان (٢).

١- تاريخ طورعبدين لغبطة البطريرك اغناطيوس افرام الأول ص٣٦٠.

٢- ذكريات شرفخان من كتابه: ص١٦٠-١٦٢

وقال شرفخان أيضاً: ان منطقة هيثم ومعظم سكانها مسيحيين وغنية جداً بالحاصلات الزراعية، وكل حاجات أمراء الجزيرة تردهم منها، والقبيلة الكردية التي تسكنها هي قبيلة جيلكا، فكانوا يجلبون هذه الحاصلات الزراعية بواسطة الأكلاك فوق نهر دجلة لتوصيلها إلى جزيرة بن عمر.

منذ استلام إمارة البوطان لأول مرة سنة ١٣٠٠م من قبل الأمير عبد العزيز إلى آخر أمير بختي هما عز الدين شير وأخوه مسعود (مسور بك) ابني سيف الدين الثاني، جميع هؤلاء الأمراء كانوا ظالمين بحق الشعب الكردي والشعب السرياني الآشوري المسيحي، يفرضون الجزية والأتاوات على الشعب دون استثناء في إدارة حكمهم في منطقة البوطان، يرسلون عبيدهم الأجلاف الذين لا يعرفون الرحمة والشفقة على أحد.

كانوا يضعون في كل قرية رجل من عبيدهم ليراقب المحصولات الزراعية ويشقل كومة الحبوب في البيدر وأسموه (الشحنة) (١) الذي يشقل (٢) يجبي.

١- الشحنة: كلمة آرامية (ܫܚܢ - ܫܘܚܢܐ) تعني: مبتلي بالقروح، كان يسكن رجل الأمير في القرية ريثما ينتهي موسم الحصاد ويدرس بالجرجر (ܓܪܓܪܐ) فوجود هذا الشحنة طيلة هذه المدة في القرية، كان سكان القرية قد ابتلوا بالقروح لوجود رجل الأمير (لذلك أطلقوا عليه اسم الشحنة).

٢- شقل: كلمة آرامية (ܫܩܠܐ) تعني: جزية، ضريبة: انه الشخص الذي يجبي الضرائب.

فكان الشحنة هذا يشقل كومات حبوب الفلاحين لينتظروا إلى حين انتهاء آخر فلاح من القرية، ومن ثم يجمع الشقال الضرائب ويأخذ ما يرغب من كل كومة من كومات الحبوب (١).

أما مدينة آزخ كانت مستثناة من دفع الجزية والضرائب مدة حكم الأمراء البختيون، وأكبر مثال على ذلك حادثة البطل موسى ملكا الذي عصى على الأمير شمس الدين (شمدين) ولم يدفع له الجزية التي طلبها منه، وقد طرد رجال الأمير الذين جاءوا لجمع الضرائب والجزية من سكان مدينة آزخ.

قصة البطل موسى ملكا والأمير شمس الدين

في عهد حكم الأمير شمس الدين (شمدين) سنة ١٧١١-١٧١٤م، كان البطل موسى ملكا قائداً لمدينة آزخ وبطلاً من أبطالها العظام.

استلم قيادة مدينة آزخ، فأرسل الأمير شمس الدين رجاله إلى مدينة آزخ، ليأخذوا الجزية المفروضة على أهل آزخ إسوة ببقية المدن

١- شقل: كلمة آرامية (ܫܩܠ ܓܒܝܐ) تعني: جاب ـ جامع الخراج. كان الجابي يجلب معه خشبة مستطيلة شبيهة بمكواة، محفورة من تحتها بعمق ٢سم مكتوب عليها كلمة (شقل) أي: الجابي، يؤشر بها كومات القمح والحبوب من قبل الشحنة الموجود في القرية يقبع في بيت المختار ريثما يأتي رجال الأمير فيأخذون ما طابت نفسهم من كومات الحبوب و (ܡܕܐܬܐ) جزية ـ خراج.

والقرى التي تحت حكم الأمير، وعند وصولهم طلبوا من البطل موسى ملكا تنفيذ أوامر الأمير، فرفض طلبهم وأهان رجال الأمير وطردهم وهددهم إن عادوا ثانية، فذهبوا وأخبروا الأمير بما جرى لهم من إهانة وتحقير من قِبل البطل موسى ملكا. فاستدعاه الأمير إلى جزيرة بن عمر، فلما ذهب وقابله طلب منه الخضوع وتقديم تنازلات والانصياع لأوامر الأمير، وأهانه أمام جمع من الحضور، فقدم للأمير الاعتذار وقسم اليمين على أن لا يفعل ما فعله وأن يتراجع بكل خضوع وألا يغضب الأمير شمس الدين.

رجع موسى ملكا إلى آزخ وأصبح في مأمن من شرّ الأمير، وأرسل من جديد رجاله إلى آزخ ثلاث مرات وكل مرة كانوا يعودون إلى جزيرة بن عمر يخبرون الأمير بما لحقهم من إهانة وتحقير من قبل موسى ملكا.

فاستغرب الأمير شمس الدين من ذلك، وكيف أن موسى ملكا عندما حضر لعنده قدّم له الخضوع والطاعة كلياً، وكيف أنه عصى أوامره لما عاد إلى مدينة آزخ.

فأجابه أحد مستشاريه المحنكين، وقال: يا أميري !! إذا جلبت حفنة تراب من آزخ ووضعتها تحت البساط وأجلست عليها آزخياً، ستراه لا يرضخ ولا يلين بأي شكل من الأشكال ومهما كان التهديد والوعيد.

فاستغرب الأمير من ذلك، وقال: لنجرب ونتأكد من ذلك، مما سمعه من مستشاره، فجلب تراباً من آزخ ووضعه تحت البساط، وأرسل باستدعاء موسى ملكا إلى جزيرة بن عمر. فلما حضر أجلسه على البساط

الذي وضع تحت التراب الذي جلبه من آزخ، فعندما جلس موسى ملكا فوق البساط، أراد الأمير فرض شروطه السابقة عليه. فهبّ موسى ملكا بوجه الأمير وقال له: من أنت حتى أنصاع لأوامرك أو أوامر غيرك من الناس !! وهدد الأمير أمام مجلسه ورجاله، فما كان من رئيس حرس الأمير الواقف وراءه إلاّ أنّ استل خنجره وطعن به موسى ملكا من الخلف حتى برز من صدره، وقبل أن يفارق الحياة، سحب موسى ملكا خنجره المخبأ تحت قميصه وطعن به رئيس الحرس، فدلق مصارينه من بطنه على الأرض. وهمّ يقتل الأمير شمس الدين، لكنه هرب من وجهه تاركاً مجلسه، فوقع البطل موسى ملكا على الأرض، فتأسف الأمير على قتل هذا البطل، وعنّف رئيس الحرس على فعلته.

وتحققت صحة كلام مستشاره عن صحة غيرة أبناء مدينة آزخ وجرأتهم وتمكسهم بعرى الإيمان والتقوى، الأمر الذي يعطيهم القوة والنصر، وخاصة في الأيام القاسية والمحن الصعاب، وهذا نعمة من فضل إيمانهم بتراب الآباء والجدود، يستمدون منه كل معاني العز والفخر والشهامة والقوة.

وبهذا العنفوان استشهد البطل موسى ملكا، ليكون عبرة للرجولة والصمود لأهل آزخ على مر العصور، وهكذا لم يدفع أهل آزخ الجزية حتى الآن.

كان الأمراء البختيون بحاجة ماسة إلى مساعدة أهل آزخ لهم، فلما كانت بعض المدن والقرى تقوم بالعصيان والتمرد على حكم هؤلاء الأمراء كانوا يستعينون بأهل آزخ لإسكاتهم وتأديبهم، فكانت مدينة آزخ قضيب تأديب لهذه الفئة المتمردة على حكم الأمراء.

ظلت مدينة آزخ مسيطرة على المنطقة بأكملها وأكبر مثال على ذلك، حادثة كاتو العلوي، ويوسف آغا زناوري، ومدينة (شرنخ).

وللشهرة التي امتازت بها مدينة آزخ، والبطولات التي أحرزتها، كانوا ينشدون الأناشيد والأغاني الملحمية أثناء الاحتفالات الشعبية باسم آزخ، وهذه إحدى الأغنيات المشهورة التي كانوا ينشدونها سكان المنطقة في المناسبات القومية والاحتفالات الشعبية وفي الأعراس، نقدم أول مقطع من هذه الأغنية الملحمية:

هفراخ خوش هفراخي(١) **ازدين شير ميري بوطانا**

عسكر رابو زهازخي **ازدين شير ميري بوطانا**

جون كرتن سر شرنخي **ازدين شير ميري بوطانا**

وهذه ترجمتها:

هفراخ يا أجمل هفراخ عز الدين شير أمير البوطان

جاء العسكر من آزخ عز الدين شير أمير البوطان

ذهب وحاصر شرنخ عز الدين شير أمير البوطان

ولا زالت هذه الأنشودة تقال في الأعياد والمناسبات الشعبية والأعراس حتى الآن.

١- هفراخ: كلمة آرامية (ܗܘܦܪܟ) تعني: القرية ذات الفخر والعز أي قرية القائد الآغا المفتخر.

وبالرغم من جميع الظروف القاسية التي مرّت على المنطقة فإن العشائر الكردية ظلت صديقة وفية للشعب الآزخي طيلة حكم الأمراء البختيين في جزيرة بن عمر والبوطان.

فلكثرة الظلم وقساوة حكم الأمراء البختيين، كانت مدينة شرنخ وهفراخ تقومان بالعصيان أكثر من مرة. وكان الأمير يطلب من أهل آزخ بإسكات هذا التمرد والعصيان، فيذهب أهل آزخ إلى شرنخ وهفراخ لتهدئتهما بالطرق السلمية دون قتال.

وهكذا كانت جميع العشائر تحل مشاكلها بالتفاهم وبالطرق السلمية دون قتال ما عدا حادثتي كاتو العلوي ويوسف آغا زناوري، مع الشماس اسطيفو، حين أخضعهما بالقوة.

وبالرغم من هذه الخدمات الجليلة التي قدمتها مدينة آزخ للأمراء البختيين، فقد غدروا ببعض الأشخاص من أهل آزخ على أثر وشاية كاذبة من أشخاص مغرضين، كما حدث مع البطل موسى ملكا والأسقف كوركيس لحدو عبدالا الشهيد.

كان الأمير يطلب الأشخاص بحجة التشاور والتداول في بعض الأمور والمسائل الهامة، التي تخص المصلحة العامة لأخذ الرأي والمشورة، وعندما يحضر الشخص المطلوب لمقابلة الأمير، فوراً كان يصدر الأمر بقتله دون سؤال أو جواب.

فقد استدعا الأمير عز الدين شير الأسقف كوركيس على أثر وشاية كاذبة من قِبل بهتو الحيزراوي، فلما حضر لمقابلة الأمير عز الدين شير، فوراً أمر بقتله ورمي جثته في الاسطبل بين الخيول.

وقد ظهر على جثته النور الذي يبهر العيون، وقد سجّل اسم الأسقف كوركيس من بين الشهداء الأبرار من رجال الكنيسة السريانية الأرثوذكسية. وقد ابتلي الواشي بمرض البرص العضال الذي ليس له دواء ولا شفاء على أثر هذه الوشاية الكاذبة بحق الأسقف كوركيس الشهيد سنة ١٨٥٤م.

◀ حياة الأسقف كوركيس ◀

كان قسيساً لكنيسة العذراء أم المسيح في مدينة آزخ مسقط رأسه، بعد أن ترمل لزم دير الزعفران وترهب فيه، وترك ابنته الوحيدة المدعوة (ستّو) التي تزوجت فيما بعد من مقدسي مراد بن أوسو السكة (١) من آل كومو.

وفي عام ١٨٤٢م رسم أسقفاً على أبرشية آزخ بيت زبدا زجزيرة بن عمر، لمعاونة أخيه المطران ايشوع رئيس الأبرشية، لأنه كان مريضاً طريح الفراش، وقد قتله الأمير عز الدين شير سنة ١٨٥٥م.

كان يجيد اللغتين السريانية والعربية، وله آثار كتابية وقصائد كثيرة، وبإحدى قصائده المراثية كما رأى بأم عينيه ما جرى لمدينة آزخ من حرق ودمار بعض البيوت في الحارة الشرقية من قبل الأمير محمد

١- أوسو السكة: اسمه يوسف من آل كومو لقب بالسكة لكثرة أمواله وأملاكه الشاسعة، ومن كثرة غناه لقبوه بأوسو السكة، وكأنه يسك الدراهم سكاً.

باشا كور الراوندزي الذي جاء على أثر استنجاد الأمير بدرخان الذي التجأ إليه على أثر تمرّد اسحق بازو عليه وإهانته في صميم شرفه. فسمع الأمير كور شكواه، وجلب معه عشرين ألف خيال وعدداً من المشاة وعلى غرّة هاجم مدينة آزخ، فقتل مئة وثمانون شخصاً وقسيساً، وأخذ معه بعض النسوة اللواتي كن يجمعن الكرسبان (١) من كروم الجبل، وذلك على أثر حماقة اسحق بازو الذي تهجم على الأمير بدرخان بك وأهانه في صميم شرفه، وانحيازه إلى جانب غريمه عز الدين شير.

➢ حياة الشماس اسطيفو ➣

ولد الشماس اسطيفو بن لحدو بن اسحق بازو سنة ١٧٧٠م، ومات سنة ١٨٣٤م في مدينة آزخ.

رسم شماساً لخدمة كنيسة العذراء مريم أم المسيح، وقد توفيت زوجته دون أن تنجب له أولاداً، نذر نفسه لخدمة كنيسة آزخ، وقد تثقف بالعلم جيداً، وكانت له علاقة جيدة مع العشائر الكردية في المنطقة.

وكان يحلّ جميع المشاكل التي كانت تحصل فيما بين هذه العشائر بالطرق السلمية، وكانت هذه الخلافات إما على حدود الأراضي أو المراعي وغيرها من الخلافات العائلية المستعصية، كانت تحل جميعها بالطرق السلمية، وكان صادقاً وفياً شريفاً لا ينحاز لأي طرف من

١- كرسبان: كلمة آرامية (ܟܪܣܒܐ) تعني: أغصان الكروم.

الأطراف، وكان عادلاً بحكمه، لذلك اختاره الشعب ليكون قائداً ومرشداً لهم، وكان شجاعاً لا يخاف الموت ولا يهاب أحداً، وكان دائماً يقاوم الظلم والغدر بحق أبناء المنطقة أكراداً كانوا أم سريان، وكان كالأب العادل للجميع.

لذلك أجلّه الجميع واحترمه أهل آزخ، وجميع العشائر الكردية في المنطقة الممتدة من طورعبدين إلى جبال البوطان.

صادقه الأمير بدرخان بك، وكان مستشاره الأول في أصعب الأوقات والأزمات، وكان عوناً وشنداً ومرشداً له، وكان يرسل أسبوعياً خمسين رجلاً من آزخ لحمايته وحراسته والقيام بخدمته الخاصة، خوفاً من الاغتيال والغدر به من قبل أعدائه الذين كانوا يتربصون له بالخفاء من أقربائه وأولاد ابن عمه لاستلام الحكم في جزيرة بن عمر ومنطقة البوطان. وبالأخص الأمير عز الدين شير بمساعدة الملا محمود بيازيدي، العميل للدولة العثمانية، وهو من الأكراد المتزمتين، الذي كان يفضل الحكم العثماني الاسلامي على القضية الكردية، وكانت الحكومة العثمانية تغدق عليه الأموال الوفيرة لهذه الغاية، ولتحريض الأكراد في منطقة وان - بدليس - سعرت - أرزون وجبال البوطان، وكان مقره في مدينة سعرت مع الأمير عز الدين شير.

وكان يحبك المؤامرات والدسائس باسم الدين ضد الأمير بدرخان، وقد اتهمه بأنه يُزوج نساء كرديات على رجال أرمن كفار، لتشويه سمعة الأمير بدرخان بك.

أما الأمير بدرخان كان راضياً على هؤلاء الحراس المخلصين الذين كان يرسلهم إليه الشماس اسطيفو اسبوعياً لحمايته، فكان يغدق عليهم المال ويوزع عليهم خمسون ثوباً جديداً في الأسبوع، وينقدهم من الدراهم الذي قام هو بسكها باسم (أمير البوطا).

وقد استمر هذا التعاون مع الأمير بدرخان طيلة حياة الشماس اسطيفو، ونظراً للقدرة القتالية والفنون المحربية التي اكتسبها أهل آزخ، حيث ظهرت بطولة رجالها في كثير من المعارك والملاحم الحربية التي خاضوها ببسالة فائقة، زادتهم مكانة واحتراماً بين كافة العشائر الكردية في المنطقة.

وكان الأمير بدرخان بك يطلب من الشماس اسطيفو القيام بحملات تأديبية على المتمردين من العشائر الكردية المجاورة لمنطقة آزخ، وذلك بتحريض من الملا محمود بيازيدي ومحمد البوطي الرأس المدير لهذا التمرد والعصيان.

ومن هذه الحملات التأديبية، حادثة كاتو العلوي ويوسف آغا زناوري، وغيرها من الحملات التأديبية، وكان دائماً النصر حليف الشكاس اسطيفو.

كان الشماس اسطيفو سيفاً للعدالة، ومحترماً من أعدائه، لأخلاقه ونبله بعمله، وعدله ومساواته بين الجميع، لم يفرق يوماً بين الغني والفقير، أو القريب والبعيد، وقد حصل على سمعة طيبة لدى الأمير بدرخان بك، لذلك فلّه على جميع مستشاريه، وكانت جميع المشاكل المستعصية التي تحصل بين العشائر تحل ولا يرد له طلب في مجال

الصلح والمصالحة، مهما كانت صعوبة هذه المشكلة، لأنه كان يطلب من هذه العشائر التآلف والمحبة ونبذ الخصام، لأن البغضاء لا تفيد، بل تصعد الأمور الجيدة. أما المحبة تجمع القلوب، هكذا كان شعار الشماس اسطيفو دائماً.

ذات مرة أرسل الأمير بدرخان بك رجاله بمهمة لدى الشماس، أثناء أوقات فراغهم ذهبوا إلى عين الماء العذب، الموجودة في قلب المدينة التي يرتوي منها جميع أهل آزخ. كانت النسوة هناك على العين تملأن جرارهن من الماء لحاجة الشرب، فتحرش رجال الأمير ببعضهن بكلام بذيء وغير لائق، مما أثار حقد النساء، فرددن عليهم بكلام قاسٍ أشد قسوة مما سمعن من رجال الأمير، وعلى أثر ذلك انقطعن النساء عن جلب الماء من العين، لأن هؤلاء الرجال نزلوا وغسلوا أرجلهم وتوضؤا في العين.

وصل الخبر للشماس اسطيفو، على أثرها أخذ الشماس عصاً غليظة لضربهم، لكنهم كانوا قد تركوا المكان قاصدين جزيرة بن عمر، فتبعهم الشماس وحده دون أن يأخذ معه أحد لمرافقته.

فوجدهم جالسين على الأرض بين خرائب قصر (كوكو) (١) يضحكون ويتمازحون وخيلهم مربوطة بالقرب من بئر (كوكو) فلم

١- كوكو: كلمة آرامية (ܟܘܟܐ - ܟܘܟܐ̈) انه اسم بابل القديمة (ܒܳܒ ܐܝܠ) فليس من المستبعد أن نوح بنى هذا القصر، وأطلق اسم (ܒܳܒ ܐܝܠ ܙܒܕܐ) أي: باب الإله زبدا، إله الطوفان والعواصف، راجع معجم الحضارات السامية لهنري عبودي ص٧٥-٨١٢-٨١٣.

يكترثوا بـه وهو يدنو منهم، فباغتهم الشماس بضربـة عصـاه لأولهـم وبسرعة فائقة أكمل بـالضرب الشديد علـى الآخريـن، حيث أفقدتهم هـذه المفاجئة صوابهم وعدم القدرة على الحركة والمقاومة للدفاع عـن أنفسـهم، فجردهم من أسلحتهم وحملها عائداً إلى آزخ.

ذهب رجال الأمير الثلاثة إلى جزيرة بـن عمر وأخبروا الأمـير بدرخان بما جرى لهم من قبل الشماس اسطيفو، لكنهم أخفوا عن الأمير ما قاموا به من تحرش بالنسوة على العيـن، وكيف غسلوا أرجلهم وتوضوا في العين، مما سبّب انقطاع النسوة عن جلب الماء من العين.

فأرسل الأمـير بعـض رجالـه لاسـتدعاء الشـماس لكـي يحقـق بالموضوع ويستفسر عن سـبب ضـرب رجالـه وأخـذ أسـلحتهم، ممـا أثـار حنق الأمـير بدرخـان، لأن ضـرب وإهانـة رجالـه، تعتـبر إهانـة لشـخصه بالذات.

ذهب الشماس مع رجال الأمير وفي الطريق أفهمهم بأنه لوحده قام بضرب الرجال الثلاثة دون مساعدة أحد، وسلمهم تلك الأسلحة ورافقهم إلى جزيرة بن عمر. وعندما دخل لمقابلة الأمير بدرخان بك، فما أن رآه، امتعض الأمير من رؤية الشماس عند دخولـه، وقبـل أن يـأمره بـالجلوس، قال له: كيف تجرؤ على ضرب رجالي وتأخذ منهم أسلحتهم، وقد أرسلتهم بمهمة لعندك !!

فأجابـه الشماس بجرأة قـائلاً: حاشـا وكـلا أن أكـون قد اعتديـت عليهم، لكني عندما وجدت رجالك قد اعتـدوا علـى النسـاء وتحرشـوا بهنّ ولم يحافظوا على كرامة الأمير بدرخـان بـك، اضطـررت أن أنفّذ حكمك

وعدالتك بضربهم لأصون سمعتك وكرامتك ولقنتهم درساً لن ينسوه، لكي لا يعتدوا مرة ثانية على النساء من رعية الأمير بدرخان بك، وقصّ على الأمير كيف لحقهم لوحده، وضرب الرجال الثلاثة وأخذ منهم أسلحتهم وطردهم، فاستحسن الأمير كلام الشماس بحرارة وضمّه إلى صدره، وقدّم له سيفاً مُذهباً وقال:

خذ هذا السيف ليكون عربون صداقتنا ومحبتي لك أيها البطل، أما أهل آزخ كانوا قلقين على الشماس لسبب تأخره فليس من عادته أن يتأخر، وكانوا ينتظرون عودته بشوق عظيم، وليس من عادة الأمير أن يستدعي الشماس على هذا الشكل، وتأخره عن العودة أقلقهم كثيراً، وهم لا يعلمون بأن الأمير استضافه وأكرمه واحترمه إجلالاً وتقديراً لما قام به من رجولة ومروءة على هذا النحو من الشجاعة.

قضى الشماس اسطيفو واحد وأربعون سنة بخدمة شعب آزخ وظل صديقاً وفياً للأمير بدرخان بك، وكان مثالاً للتقوى والمحبة، وبحكمة ودراية كان يدير شعب آزخ، وقد فرض احترامه على الجميع من صغيرهم إلى كبيرهم، ولم يعارضه أحد مدة أيام حياته، ولم يتدخل أحد بشؤونه أبداً، وكان يرعى الكل بمودة، ويتفانى بالدفاع عن مدينة آزخ (المنتصرة) وعلو شأنها بين العشائر وقد خاطر بنفسه مراراً لهذا الغاية النبيلة.

وأكبر مثال على ذلك حادثتي (كاتو العلوي ويوسف آغا زناوري) (١).

وقد انتصر على هذين العدوين اللدودين، حيث كانا يعيثان فساداً وظلماً بين الشعب الكردي الفقير المستعبدْ في منطقتيهما.

١- زناور: كلمة آرامية (اسـ امـوا) تعني: زنار ـ حزام. تقع تل زناور شرقي مدينة القامشلي، شيدوا بيوتها بشكل حزام (زنار) فوق التل، أصبحت تشبه القلعة، أطلقوا على هذا التل قديماً اسم: تل زناور، أي: تل الزنار.

≺ حادثة عمر فرج ويوسف آغا زناوري ≻

في ذات يوم من صباح يوم الأحد، كان الشماس اسطيفو يقوم كعادته منذ الفجر يذهب لخدمة الكنيسة لإنارة الشموع وتجهيز الكتب الدينية بصفته خادماً وشماساً لأنه نذر نفسه لهذه الغاية النبيلة، بعد أن توفيت زوجته، وبقي عازباً طول مدة حياته، وبعد أن رتب الكتب استعدوا لقدوم رجال الاكليروس لتأدية الصلاة حسب العادة.

عند الفجر صباحاً وجد فجأة امرأة داخلة إلى الكنيسة وفي حضنها صغير وهي تبكي وتذرف الدموع، وهي متعبة جداً، ومنهوكة القوى، فلما رآها الشماس على هذه الحالة البائسة سألها: ماذا تريدين يا امرأة ؟؟ قالت له: أأنت الشماس اسطيفو ؟؟ أجابها: نعم أنا هو. أجابت المرأة: لقد علمت من الناس بأنك ستكون في الكنيسة صباح كل يوم أحد، لذلك قررت أن آتي وألتجئ إليك في هذا الصباح الباكر وإلى الكنيسة بيت الله، لأجدك هنا فأطلب منك وأستنجد بهذه الكنيسة لكي تساعدني على محنتي وبليتي القاسية، وإنني دخيلة على عيسى بن مريم وعلى عرضك وشرفك لكي تنقذ زوجي من براثن يوسف آغا زناوري الظالم، لأنني لم أترك رئيس عشيرة من العشائر الكردية في المنطقة إلاّ وذهبت أطلب منهم المساعدة لإطلاق سراح زوجي عمر فرج، لكنهم رفضوا طلبي وتضرعاتي لهم، لكن جميعهم أرشدوني إليك، وقالوا لي ليس لك غير الشماس اسطيفو، إنه الوحيد الذي يمكنه تلبية طلبك وإنقاذ زوجك من الأسر. لأن يوسف آغا

قيّده من رجليه ويديه، ويقدم له الماء مع الملح يقسه من يومياً، وقد رماه في الاسطبل مع الحيوانات.

وبعد أن انتهت من سرد قصتها الأليمة، ذهبت وطفلها بحضنها ورمت بنفسها أمام المذبح المقدس ساجدة تبكي بحرقة وألم وتتضرع إلى الله، فأشفق عليها وعلى طفلها الرضيع ورغب أن يساعدها على محنتها.

قال لها: قومي يا امرأة، انتظريني بين النساء المصليات ريثما ننتهي من تأدية الصلاة، وأرجو من السيد المسيح أن يعطيني القوة على خدمتك ومساعدتك، ويكّنني من إنقاذ زوجك عمر فرج من ظلم ذلك الذي ليس في قلبه رحمة ولا شفقة.

وبعدما خرج الشماس من الكنيسة، أخذ معه المرأة وطفلها في حضنها إلى بيته وقدّم لها الطعام، لأنها لم تأكل شيئاً منذ يومين سائرة مشياً على الأقدام حاملة طفلها الرضيع بين يديها حتى وصلت مدينة آزخ.

وعند المساء أعطى الأمر للمنادي لكي يخبر أهل آزخ حتى يستعدوا كالعادة للسفر بعد يومين إلى مكان بعيد. لكن المنادي لم يخبر أهل آزخ عن هذا المكان الذي سيذهبون إليه. لكنه قال: استعدوا وأغسلوا فحصاتكم وجهزوا أسلحتكم، وسيكون الانطلاق مساءً بعد العصر إلى مكان بعيد لم يعرفه أحد منكم، وقد تم الاستعداد التام من قبل الرجال البواسل وعددهم ألف مقاتل.

مشوا، وساروا ليلاً، وأمامهم الشماس اسطيفو راكباً فرسه حتى وصلوا بالقرب من قرية تل زناور مقر يوسف آغا.

وزّع رجاله إلى أربع فئات كل فئة مائتين وخمسون رجلاً، وقد وضع كل فئة منهم في مكان من الجهات الأربعة حول القرية. وقال لهم: إذا أصرّ يوسف آغا على عناده ولم يطلق سراح الأسير عمر فرج، سأرفع عباءتي في الهواء إلى فوق ثلاث مرات، وعند رؤيتكم هذه الإشارة، اهجموا فوراً على القرية واحتلوها واقبضوا على يوسف آغا مع أتباعه فوراً وكبلوهم بالحبال، وكذلك امنعوا أهل القرية من الخروج من بيوتهم حتى تتلقوا أوامري.

بعد أن كمن الرجال في أماكنهم المحددة حسب أوامر الشماس وهم ينتظرون منه الإشارة بفارغ الصبر ذهب الشماس مع أحد مرافقيه إلى دار يوسف آغا زناوري.

فلما رأى الشماس هبّ واقفاً ورحّب به أشد ترحيب، وعانقه معانقة حب وتقدير، وأكرمه بحفاوة بالغة، لأن الشماس له مكانة عالية بين جميع العشائر الكرديو في المنطقة وخارجها، وانه من رجال الأمير بدرخان بك ومستشاره الأول المعتمد، وله سمعة حسنة جداً، وانه اليد اليمنى للأمير، لحل المشاكل المستعصية على الحق والعدل في المنطقة.

وبعد أن أجلسه بجانبه، عانقه من جديد، قال يوسف آغا: يا شماس، أنا تحت أمرك، اطلب ما تشاء مني وترغب، حتى إذا طلبت مني أن أطلّق زوجتي أقدمها لك هدية. لكن فقط لا تطلب مني أن أطلق سراح عمر فرج، فأجابه الشماس بهدوء: لقد صدقت بتوقعك لذلك، بالفعل إنني أتيت خصيصاً لعندك لهذه الغاية أطلب منك إطلاق سراح أسيرك عمر فرج !! وأرجو منك بأن تقوم بفك قيوده لآخذه معي.

قال يوسف آغا: قلت لك اطلب ما تشاء إلاّ إطلاق سراح عمر فرج. واستمر بحديثه مع الشماس، قائلاً: لك أن ترحل فوراً، فلا أريد أن أقتلك في بيتي. فلك الأمان إلى أن تخرج من القرية حتى مسافة خمسون خطوة، بعدئذٍ ليس لك أمان مني فاعتبر نفسك من عداد الأموات مع مرافقك !!

جينئذٍ خرج الشماس مع مرافقه من بيت يوسف آغا زناوري، ولوّح بعباءته كما كان متفقاً مع رجاله، وكانوا ينتظرون منه الإشارة، فهجموا كالأسود على قرية تل زناور واحتلوها بلحظات، ودخلوا بيت يوسف آغا بناء على أمر الشماس وربطوه بالحبال مع أولاده ومَن كان معه في البيت من رجاله.

أما بقية الرجال احتلوا القرية ومنعوا الناس من الخروج، وأيضاً منعوا خروج المواشي ولالأبقار من القرية، ريثما يتلقون الأوامر من الشماس اسطيفو.

قال الشماس ليوسف آغا، لقد رجوتك لتطلق سراح الأسير عمر فرج فلم تقبل !! أما الآن قم وفك قيوده فوراً، فرجاه يوسف آغا كثيراً، ورمى بنفسه على أقدام الشماس، وترجّى منه لأنه لا يمكنه فك قيوده لأنه حلف بطلاق زوجته منه إن فك بنفسه قيود عمر فرج، فتصبح زوجته طالق منه.

على أثر ذلك أمر الشماس أحد رجاله بأن يكسر القيد من أرجل عمر فرج وحلّ وثاقه، بعد ذلك أخذه معه إلى مدينة آزخ.

لكن يوسف أغا زناوري، لم يسكت على هذه الإهانة العظيمة التي لحقت به، بعد أسبوعين من رجوع الشماس لمدينة آزخ، جمع يوسف آغا رجاله، وجلب رجال كثيرون بالآلاف من العشائر الكردية القاطنة في منطقة نصيبين وجبل سنجار وتل عفر، وع آلاف من المرتزقة، وقد ترأس هذه الجحافل وجاء بها لمهاجمة مدينة آزخ.

علم الشماس اسطيفو بهذه التحشدات الكبيرة التي تعد بعشرات الآلاف من رجال العشائر والمرتزقة استعداداً للهجوم على مدينة آزخ، فاستعد لها الشماس بجدية وحذر شديد، لأن هذا العدد الكثير من الرجال جمعهم يوسف آغا زناوري، من الضروري أن يضع لها خطة مدروسة بفن القتال الذي مارسه الشماس مرات عديدة في مثل هذه الحالات.

جاء يوسف آغا ومعه عشرات الآلاف من الرجال مدججين بالسلاح متوجهاً نحو مدينة آزخ، حتى وصل تل سلقوث العالي (١) الذي يشرف على سهل (كزيرز) (٢) المنبسط الواسع الذي تكثر فيه بحيرات صغيرة من الماء.

وقد عمل تل سلقون مقراً لقيادته ونصب خيمته فوق التل، فلما تأكد الشماس بأن يوسف آغا تمركز فوق التل استعداداً للهجوم على مدينة آزخ، وكانت جبهة القتال ممتدة بطول ثلاثين كيلو متراً تقريباً، تبدأ من

١- سلقوث: كلمة آرامية (ܣܠܩܘܬ) تعني: التل العالي ـ المرتفع.

٢- كزيرز: كلمة آرامية (ܓܙܝܪܙ) تعني: حظيرة حقيرة للغنم، كان أهل آزخ يعملون في فصل الربيع حظائر لمواشيهم في هذا السهل الربيعي.

جبل (علم) (١) جنوب غرب مدينة آزخ، مروراً بسهل (كزيرز) حتى تل سلقون مركز قيادة يوسف آغا زناوري.

وزّع الشماس رجاله حسب إرشاداته وهو الخبير بفنون الحرب وخوض المعارك القتالية، فأرسل قوة مؤلفة من مائتين وخمسون مقاتلاً من خيرة المقاتلين البواسل بقيادة القائد جسوية، لكي تتمركز عند سفح جبل الـ (علم) وقد انضم إليهم رجال عشيرة الهسنية باولية فقد أصبحوا سداً منيعاً لصد هجمات رجال يوسف آغا. وأوقفوهم عن التقدم نحو مدينة آزخ، وأيضاً انشم ستمائة خيّال ومئات الرجال من المشاة المقاتلين من عشيرة (مما) بقيادة حسكو آغا، لأن عشيرة (مما) هي أقرب العشائر الكردية لأهل آزخ، كونهم من نفس العشيرة التي ينتمي إليها أهل آزخ.

هكذا انضم رجال هاتين العشيرتين إلى قوات الشماس اسطيفو للدفاع عن مدينة آزخ، لصد عدوان العشائر الكردية التي جلبها يوسف آغا بالآلاف لضرب مدينة آزخ.

اصطدم المقاتلون مع رجال يوسف آغا زناوري ومع المرتزقة، ودارت رحى القتال الشرس، ويوسف آغا يشرف على سير المعركة من فوق رأس تل سلقون العالي.

وعندما تململ المقاتلون وأرادوا الانسحاب إلى الوراء، لاحظ ذلك البطل حسكو آغا، فقال للشماس اسطيفو: تعال نربط أنفسنا على هذه

١- علم: كلمة آرامية (ܥܠܡ ܥܘܗܕܢܐ) تعني: خلّد - نكر - تذكير، كان أهل آزخ يذهبون فوق رأس هذا الجبل سنوياً في شهر تموز، يقدمون الذبائح والقرابين ذكرى انتصار إله زبدا، إله الطوفان والعواصف، الذي أنقذ سفينة نوح من الغرق حين استقرت على جبل آراراط. عن (زبدا)، راجع معجم الحضارات السامية لهنري عبودي ص٧٥-٨١٢-٨١٣.

الشجرة التي يقال لها (شتل فانوسة) (١). وبالفعل ربطا نفسيهما على (شتل فانوسة) (٢).

فلما رأى المقاتلون بأن البطلين الشماس وحسكو آغا مربوطان بالشجرة، صمدوا أمام هجمات رجال يوسف آغا، وكرّوا بالهجوم المعاكس عليهم، فانهزموا واندحروا أمام الخيالة من رجال حسكو آغا والرجال المشاة الآزخيين، تاركين وراءهم جثث قتلاهم وجرحاهم في أرض المعركة، وأجبروا يوسف آغا ورجاله على الفرار إلى قرية تل زناور. ندم يوسف آغا على ما فعل حيث لا ينفع الندم، ولم يكسب من جراء عمله هذا غير العار والانكسار.

وقد انتصر الشماس في هذه المعركة المصيرية على يوسف آغا ورجال العشائر الكردية والمرتزقة بالآلاف، وذلك بماسعدة رجال عشيرة (مما) وعشيرة (هسنية باولية) التي ساعدت القائد حسوية عند سفح جبل (علم).

وهكذا كانت العشائر الكردية في منطقة آزخ تعيش مع أهل آزخ في محبة وصداقة متينة في السراء والضراء، في الحرب والسلم، وظلّت ديمومة المحبة والإخلاص بين العشائر الكردية وأهل آزخ مستمرة حتى الآن.

١- شتل: كلمة آرامية (ܫܬܠܐ) تعني: شتل - شجرة - غرسه.

٢- فانوسة: اسم اطلق على امرأة عرّافة بصّارة، كانت تقول للنساء اللواتي لم تحبلن، يجب أن تشعل كل امرأة لم تحبل فانوس وتمشي وظهرها نحو الشجرة إلى أن تصلها وتغلق الفانوس عليها فتحبل، لذلك سميت هذه الشجرة بشتل فانوسة حتى الان.

➢ حادثة كاتو العلوي ➣

كان كاتو العلوي رئيساً لعشيرة العلبكية ـ العلوانكية الكردية، مقره في قرية (بارما)، تقع هذه القرية القديمة والأثرية جنوب مدينة آزخ على بعد أربعة كيلومترات فوق هضبة في آخر سلسلة من جبل (ايزلا).

كان كاتو العلوي يقوم بالتحريض ضد الأمير بدرخان بك، وكان يعيث فساداً ويعتدي على القرى الكردية في الدشتة (١) جنوب مدينة آزخ، وكان رجاله يسلبون المارة في الطرق وأصبح من قطاع الطرق.

ولكثرة تعدياته على الناس، يأخذ مواشيهم ويسلب حاصلاتهم من الحنطة والشعير، كثرت الشكاوي على كاتو العلوي لدى الأمير بدرخان بك، فأوعز الأمير إلى الشماس اسطيفو بأن ينهره ويردعه عن غيّه وعما يقوم به من تعديات ونهب وسلب للقرى الكردية.

لكن كاتو العلوي أبى الانصياع إلى الهداية والصلاح وإرشادات الشماس له، بل تمرّد وزاغ عن الحق، بالرغم من إنذاره باسم الأمير بدرخان، للكشف عن هذه الأعمال السيئة والغير مرغوبة لدى الأمير.

لكنه زاد بغياً وتمرداً وعنفاً، مما اضطر الشماس اسطيفو لردعه عن غيّه، فقام بحملة تأديبية على رأس عدة فئات من المقاتلين البواسل لوضع حد لتصرفاته، فباغت قرية (بارما) واحتلها مع عدة قرى، لكن

١- دشتة: كلمة آرامية (ܕܫܬܐ) تعني: برية، قفر، صحراء، دشتة.

كاتو العلوي أفلت من قبضة الشماس وفر هارباً مع رجاله نحو الدشتة في الجنوب حتى وصل قرية (تل بل) (١).

وقد عاد الأمن والسلام إلى نصابه بين قرى الجنوب التي ذاقت الأمَرَّين من ظلمه وجوره، ظل كاتو العلوي هارباً عدة سنوات عن عشيرته، إلى ذات يوم أرسل وفداً إلى الشماس يطلب المصالحة معه، بشرط أن يلتقي مع الشماس لوحده بعيداً عن مدينة آزخ، بالقرب من مدينة (بارما) واشترط أن يأتي كاتو العلوي لوحده ليتقابل مع الشماس.

وافق الشماس على شروطه وذهب لوحده إلى المكان المحدد له، لكن الشماس قبل أن يأتي أخبر أهل آزخ انه ذاهب لمقابلة كاتو العلوي لوحده.

أما كاتو العلوي لم يبغِ الصلح والمصالحة مع الشماس، بل أراد الإيقاع به وقتله غدراً، وقد جلب معه رجاله الذين يعتمد عليهم من المرتزقة، وأخفاهم وراء أكوام من الحجارة التي تكثر في ذلك المكان.

أما الشماس لما جاء لوحده، فقد تبعه ابن أخته وهو لا يعلم ذلك، وقد كمن هو أيضاً وراء أكوام الحجارة القريبة من مكان ملاقاة الشماس

١- تل بل: كلمة آرامية (ܬܠܐ ܒܥܠܐ) تعني: تل بعل: أي تل الإله بعل حيث كان سكان هذه المنطقة يعبدونه، ويقدمون القرابين فوق هذا التل للآله بعل.

مع كاتو العلوي بالقرب من (اشكيرات) (١).

أما كاتوا العلوي كان قد أعطى كلمة السر لرجاله وهي: عندما يسمعوا منه كلمة (خبر خلاص) ثلاث مرات - XABAR XALAS - (٢) متتاية فوراً يطلقون الرصاص على الشماس ليردوه قتيلاً.

جاء الشماس في الموعد المحدد وجلس فوق حجر أبيض مسطح على حافة الطريق المؤدي إلى مدينة آزخ (٣) أما كاتو العلوي جلس على الأرض مقابل الشماس.

وبعد التفاوض فيما بينهما أصرّ الشماس على كاتو العلوي بأن يترك أعماله الشريرة وألا يتعرض فيما بعد لأهل القرى الآمنة، ومنعه من سلب المارة في الطريق، والرجوع إلى العقل السليم.

رضخ كاتو العلوي لجميع شروط الشماس دون اعتراض، لكنه كان يبيت الشر في قلبه الخبيث للغدر بالشماس، وانها الفرصة الوحيدة التي تتيح له قتله ليتخلص منه.

١- شكيرات: كلمة آرامية (ܫܟܝܪܐ) تعني: قبيح - باطل و(ܐܫܟܝܪܐ) تعني: قطعة أرض للفلاحة، كانت تجمع هذه الحجارة الباطلة لتنقية الأرض للفلاحة وتوضع هذه الحجارة لتصبح كومات وتسمى (اشكيرات) أي الحجارة الباطلة القبيحة.

٢- خبر خلاص: كلمة كردية تعني: (خبر) الحديث. و (خلاص) تعني انتهى أي: انتهى الحديث. - XABAR XALAS -

٣- الحجر الأبيض المسطح: لا زال هذا الحجر الذي جلس عليه الشماس اسطيفو موجود على قارعة الطريق، ويعرف بحجرة الشماس اسطيفو حتى الآن.

قال كاتو العلوي رداً على شروط الشماس: ليكن عهد المسيح وكنيسة آزخ بيننا، فقال الشماس: فليكن بيننا هذا العهد، ومَن خان هذا العهد، ينتقم الله منه، وقد انتهى الحديث بيننا يا كاتو العلوي !!

إلا أن كاتو العلوي قال: وبصوت عالٍ ليسمعه رجاله القابعين وراء كومات الحجارة: يا شماس، خبر خلاص، خبر خلاص، خبر خلاص.

فما كاد أن ينتهي من كلماته، حتى انهالوا على الشماس بإطلاق الرصاص من أسلحتهم لقتله لكن الشماس لم يصب بأذى، فردّ ابن أخت الشماس عليهم بإطلاق الرصاص من بندقيته، فظن رجال كاتو العلوي بأن الشماس أيضاً أخفى رجاله وراء كومات الحجارة، لذلك كفوا عن إطلاق النار برهة وجيزة، مما أتاح للشماس فرصة للابتعاد عن مدى أسلحة رجال كاتو العلوي، وهم يعلمون جيداً، بأنهم إن وجدوا رجال آزخ في هذه اللحظة فلن يفلت منهم أحداً.

لكن كاتو العلوي شدّد على رجاله بأن لا يفلت الشماس من قبضة يده، أما الشماس بهذه الحالة كان قد ابتعد وانسحب نحو مدينة آزخ، وابن اخته يحمي ظهره.

سمع أهل آزخ صوت إطلاق رصاص رجال كاتو العلوي، انتبه الفلاحون والعمال الذين كانوا يقومون بأعمالهم في الكروم القريبة من مكان الحادث، وهم يعلمون بأن الشماس ذهب لمقابلة كاتو العلوي، لأن الشماس كان قد أخبرهم سابقاً بأنه ذاهب لملاقاة الخائن كاتو العلوي.

فركضوا بسرعة البرق إلى مكان الحادث وصاروا يطلقون الرصاص على رجال كاتو العلوي لصدّهم عن اللحاق بالشماس اسطيفو، فلما وصل الخبر إلى أهل آزخ، أصبح وبالاً على كاتو العلوي ورجاله، وصل رجال آزخ واشتبكوا معهم، وقتلوا كثيرين منهم، ومن بين القتلى أولاد كاتو العلوي الاثنين، وهم في ريعان الشباب. فلما علم كاتو العلوي بقتلهما، صار يبكي وينتحب بحرقة وألم. وقال: سر سبب دناله شكزب: (١) SER SEBEB DENALE JE KEZEB.

وقد استمر القتال بين الطرفين إلى أن هرب كاتو العلوي ومن تبقّى من رجاله معه. لكن رجال آزخ قطعوا عليه طريق قرية (بارما)، فتوجه نحو قرية (دانير) القريبة، فلحق بهم الشماس وحاصرهم وقتل جميع من كان مع كاتو العلوي، ولم يعتدي الشماس على أهل قرية (دانير) لأنهم كانوا ضد أعمال كاتو العلوي، وكانوا من مؤيدي الشماس اسطيفو.

أما كاتو العلوي ركب فرسه وهرب نحو الجنوب والتجأ إلى قرية (بابيل) (٢)، فرجع الشماس إلى آزخ مع رجاله الذين لم يقتل منهم أحداً،

١- سر سبب دناله زه كزب: كلمات كردية تعني: الذي صار السبب في المعركة والخيانة العظمى، هو الذي يحترق قلبه من الألم - SER SEBEB DENALE JE KEZEB - وظل هذا المثل يتردد بين أهل آزخ دائماً للذي يخون العهد.

٢- بابيل: كلمة آرامية (ܒܝܬ ܒܥܠ) تعني: بيت بعل - ختم: أي مكان قبر الملك بيل ملك بابل الذي رماه هابيك بسهم قاتل في صدره، راجع الأرمن عبر التاريخ - الأستاذ مروان المدور ص٩٨-٩٩.

منتصرين وقضوا على عصابة كاتو العلوي، وحرّروا قرى الجنوب من شره وآثامه.

سمع الأمير بدرخان بك، بما حصل لكاتو العلوي، فأرسل وفداً كبيراً من قبله مع هدايا ثمينة إلى الشماس ليوزعها على رجاله الذين اشتركوا بالقتال لتأديب كاتو العلوي ومَن معه من المرتزقة.

وقد استتب الأمن والسلام في المنطقة طيلة حياة الشماس اسطيفو، ونعمت بالهدوء والاستقرار، بعد أن طرد كاتو العلوي نهائياً من المنطقة، وعادت الصداقة والألفة والمحبة من جديد بين عشيرة العليكية وبين أهل آزخ، ولم يحصل أي نزاع فيما بينهم.

➢ وصية الشماس اسطيفو ➢

بعد أن اشتد المرض عند شيخوخة الشماس، وعلم بدنو أجله، جمع رجال الاكليروس مع أهل آزخ، وأوصاهم بأن يستمروا هكذا على المحبة مع بعضهم البعض، كما أوصى بها السيد المسيح، وأن يواظبوا على الإيمان القويم ولا ينقطعوا عن الصلاة في الكنيسة، وأن يسامحوا بعضهم بعضاً عند حدوث بعض الأخطاء والزلات البسيطة، قبل أن تكبر وتستفحل. وأن يقوموا باجتماعاتهم المستمرة في صالة الكنيسة بعد الصلاة، ليزيدهم ذلك معرفة ومحبة، وليتداولوا في الأمور الهامة لصالح مدينتهم وشعب آزخ والمنطقة كلها.

وأوصاهم كذلك على أن لا يقدموا على أي عمل اعتباطي قبل أن يستشيروا الكبار وذوي الخبرة في الأمور لحل مشاكلهم، وحثّهم كثيراً على أن تبقى علاقاتهم وطيدة مع العشائر الكردية، وخاصة عشيرة (مما).

وأمرهم بنجدة الضعيف من الأصدقاء، وقال: أهم وصية أوصيكم بأن لا تنتخبوا ابن أخي اسحق بازو من بعد موتي، لأنه طائش وأحمق وقصير النظر، وضعيف الإرادة، وقال: إن الأحمق ليس له دواء. بل انتخبوا من بينكم الشخص المناسب ليرعى شؤونكم، لأن اسحق بازو لا يستحق أن يكون مسؤولاً عنكم، لأنه متعاون مع الأمير عز الدين شير وملا محمود بيازيدي ومحمد البوطي.

وقال: إذا خلفتم وصيتي (يسارتكن يتصلون راوندوز لسّع كفني ابيض) (١).

كان الشماس دائماً يفضل مصلحة مدينة آزخ على المصلحة الشخصية والعائلية، وهذه الوصية التاريخية بقيت مثالاً حياً بين أبناء مدينة آزخ.

وبعد موت الشماس، وفي بداية عام ١٨٣٤ انتخب أهل آزخ اسحق بازو وعينوه زعيماً ومسؤولاً عنهم.

١- لقد أوصى الشماس اسطيفو وصيته باللهجة الآزخية، قال: إذا خالفتم وصيتي (يسارتكن يتصلون راوندوز لسّع كفني ابيض) أي: إذا أهملتم ما أوصيتكم به، فإن أسيرانكن سيصلن إلى راوندوز قبل أن يبلى كفني. ولا زال هذا المثل يتردد بين أبناء أهل آزخ حتى الآن.

وقد انقلب وعادى الأمير بدرخان بك صديق عمّه الشماس اسطيفة، وعصى عليه ولم يرسل له خمسون رجلاً لحمايته وحراسته دورياً في كل أسبوع كما كان يفعل الشماس، وقد تعاون مع المتمردين وعشائر جبل البوطان المؤيدين للأمير عز الدين شير (ايزدين شير).

وكان على رأس المتمردين الملا محمود بيزيدي الذي كانت الحكومة العثمانية تحرضه وتغدق عليه الأموال لقلب حكم الأمير بدرخان، ليستلم بدلاً عنه الأمير عز الدين شير.

بعد أن عيّن اسحق بازو زعيماً ومسؤولاً عن مدينة آزخ، أرسل الأمير بدرخان بك رجاله كالعادة رجلاً لحراسته كما كان يفعل من قبله الشماس اسطيفو.

لكنه طرد رجال الأمير بدرخان بك، وقال لهم: اذهبوا وقولوا لأميركم بأن يرسل لي زوجته (سِتية) (١) حتى أرسل له خمسين رجلاً لحراسته. ولم يستقبل رجال الأمير في بيته، فعادوا إلى جزيرة بن عمر وأخبروا الأمير بما جرى لهم من قبل اسحق بازو.

فاستاء الأمير بدرخان وانقلب إلى وحش كاسر، وكان من الطيبين الودعاء ويريد الخير لشعبه، بعدما سمع هذا الخبر الغير لائق بشخصه ومقامه ومسّ شرفه بزوجته (ستيّة)، لكنه كتم غيظه لأنه ليس بإمكانه عمل أي شيء مع اسحق بازو، أولاً: لقوة مدينة آزخ في المنطقة ومحبة العشائر الكردية لها. ثانياً: خوفاً من حركات التمرد في جبل البوطان من

١- ستيّة: إنه اسم زوجة الأمير بدرخان بك، ومعنى ستيّة هو (ست الحسن) لأنها كانت ذات حسن وجمال.

مدينتي شرنخ وهفرخ اللتان كان يحرضهما الملا محمود بيزيدي ومحمد البوطي للإطاحة به بدعم من الحكومة العثمانية.

لقد قصم ظهر الأمير بدرخان هذا الخبر الغير لائق بمكانته كأمير في جزيرة بن عمر والبوطان.

صار يفكر ويفكر ولا ينام من شدة هذه الإهانة على قلبه حتى أفقدته لبه ومسّت شرفه وكرامته.

وفجأة خطر له بأن يلتجئ إلى صديقه الأمير محمد باشا كور (١) الراوندزي، فوراً أمر رجاله أن يجهزوا له (كلك) (٢) للذهاب إلى الموصل على نهر دجلة، يرافقه شقيقه سيف الدين بك، بعد وصولهما إلى الموصل، ركبا على الخيل وذهبا إلى راوندوز لمقابلة الأمير محمد باشا كور.

بعد يومين من عناء السفر وصل مع شقيقه إلى راوندوز، وطلب مقابلة صديقه الأمير محمد باشا كور، فاستقبله بترحاب وحفاوة بالغة، وأكرمه بصفته أمير البوطان وصديقه الحميم، لكنه فوجئ بلباسه الأحمر القاني، حيث يدل هذا اللباس بأن من يلبسه انه مقتول. وصارت الدموع تنهمر من عيون الأمير بدرخان بك، وتنهال على خديه أمام الأمير محمد باشاكور، مما أثار حنق الأمير كور وقال له: قل بالله عليك، وأعلمني بما

١- كور: كلمة كردية - KOR - تعني: الأعمى، أو الأعور، لأنه كان بعين واحدة فسمي بالأمير كور.

٢- كلك: كلمة آرامية تعني: قرب - ظرف - كلك: فالقرب والظروف تعبأ بالهواء وتوضع تحت الأخشاب وتغطى الأخشاب بالقش وفوق القش يغطى بالبساط، يستعمل الكلك لنقل الأشخاص فوق الأنهر.

أصابك من متاعب ؟ وهل اعتدى أحد عليك وأهان كرامتك وهل من أزعجك ؟؟

أجابه الأمير بدرخان بك، إن المدعو اسحق بازو الزعيم الجديد لمدينة آزخ، قد تآمر علي وأهانني في صميم شرفي، ويقوم بتحريض العشائر الكردية في منطقة آزخ ضدي، لكي يعزلني من حاكمية جزيرة بن عمر والبوطان، وانه يتعاون مع ابن عمي الأمير عز الدين شير والملا محمود بالزيدي، بتحريض من الحكومة العثمانية، لأنها تريد الإطاحة بي وبك أيضاً، وقد شتمني اسحق بازو في صميم شرفي.

فلما علم الأمير محمد باشاكور من حديث الأمير بدرخان بك عن التآمر ضده من قبل الحكومة العثمانية لأنه غير مرغوب أمام السلطان العثماني كونه طاغية وغير محبوب في منطقة راوندوز التي يحكمها.

وعلى أثر لجوء الأمير بدرخان بك إليه، جهز رجاله مع المعدات الحربية اللازمة لذلك، وقد استعدوا استعداداً كاملاً وجلب معه عشرون ألف خيال لخوض المعارك واقتحام مدينة آزخ وتدميرها. لأن الأمير بدرخان أعلمه بأن أهل آزخ لديهم الخبرة القتالية العالية وتمرسوا على خوض المعارك التي أكسبتهم فنون الحرب والقتال.

لذلك استعد الأمير محمد باشا كور وجهز هذه الجحافل من الخيّالة وزودها من الأسلحة والأعتدة اللازمة لخوض المعارك المرتقبة.

جاء الأمير محمد باشا كور برفقة صديقه الأمير بدرخان بك، وهاجموا بطريقهم أولاً الأكراد اليزيديين وكبدوهم في شرقي الموصل

محناً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً (١)، وزحفوا سوية على زاخر وجزيرة بن عمر ومنطقة البوطان، فقضوا على المتمردين ومكن الأمير بدرخان على الحكم في الجزيرة.

وصل الخبر إلى اسحق بازو الأحمق، بأن الأمير محمد باشا كور جاء ومعه عشرون ألف مقاتل خيال عدا المشاة، فضحك المغفل اسحق بازو ملء شدقيه، وقال: يا رجال آزخ، اذهبوا واعملوا معالف للخيل التي سنحصل عليها من هؤلاء الخيالة الذين جلبهم محمد باشا كور، فبدلاً من أن يقوم اسحق بازو بعمل التحصينات اللازمة لصد الهجوم المرتقب، لكن أهل آزخ أصبحوا منشغلين بعمل المعالف (٢).

ولغباوة اسحق بازو أرسل خمسين رجلاً ليكمنوا في قصر موسى ملكا الذي يشرف على وادي (المشارة) (٣) وسقلان آزخ، لصد هجوم هذه الجحافل من الخيالة.

وعندما اقتربت جحافل الخيالة من مكان الكمين الذي في قصر موسى ملكا، فجأة أطلقوا عليهم دفعة واحدة وابلاً من رصاص بنادقهم،

١- تاريخ طورعبدين لغبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص٣٦٣.

٢- قصة المعلف: أصبح مثالاً تاريخياً بين أبناء مدينة آزخ، يقول المثل: (لاتعمل معلف قبل الفرس) كما فعل اسحق بازو الأحمق، أما المثل الثاني، يقول: (لاتصير أحمق مثل اسحق بازو الذي شتم الأمير).

٣- مشارة: كلمة آرامية (ܡܫܪܬܐ - ܡܫܪܘܬܐ) تعني: دياره، مشارة، إن وادي المشارة يمتد بين جبلين نحو خمسة عشر كم شرقاً، وانه يشبه المشارة، لذلك سمي بوادي المشارة.

فقتل وجرح منهم كثيرين وسقطوا علـى الأرض، على أثر هذه المفاجئة جفلت الخيول ورجعت إلى الوراء، لكن مؤخرة الخيالة ضغطت على المقدمة المذعورة، فاندفعت من جديد نحو مدينة آزخ، مما اضطر المقاتلين ترك قصر موسى ملكا وهربوا لعدم تمكنهم من تعبئة بنادقهم من جديد، فلاذوا بالفرار نحو كروم الجبل الغربية من مكان الكمين، فلم يتمكن المهاجمون اللحاق بهم، لأن خيلهم لم تتمكن من القفز فوق حيطان الكروم العالية، فتركوهم وشأنهم.

لكن الخيالة استمروا في سيرهم وهجموا على غفلة وأهل آزخ لا يزالون منهمكين في عمل المعالف دون أن يستعدوا لهذا الهجوم المباغت، وعلى غرّة اقتحموا المدينة وأشعلوا النار في بيوت الحارة الشرقية، التي كان يقطنها الأحمق اسحق بازو.

فما كان من أهل آزخ إلاّ أن تصدّوا للخيالة المهاجمين، ولكن بعد فوات الأوان، حيث قتل مئة وثمانون رجلاً وقسيساً من الذين كانوا يعملون معالف، وكل من ترك المدينة سلم من القتل، لأن الخيالة لم تتبع الفارين إلى خارج المدينة.

وقد دامت هذه المعركة عدة ساعات فقط، وسبب ذلك يعود إلى قطع رأس أحد المقاتلين الأبطال من آل (قريوكي) المدافعين عن مدينة آزخ.

إن هذا المحارب كان يقاتل ورأسه مقطوع، فقتل ثلاثة أشخاص وجرح الرابع من رجال محمد باشا كور، فلما أخبروا الأمير كور بأن مقاتلاً من أهل آزخ قد قتل ثلاثة رجال وجرح رابعهم ورأسه مقطوع،

أمر الأمير محمد كور رجاله بالانسحاب فوراً وقال كلمته المشهورة: (جلف رابو) (١) فأوقف القتال وانسحب مع الخيالة فوراً من المعركة.

وفي طريقهم هاجموا قرية اسفس وقتلوا ثمانون رجلاً وقسيساً، وفي طريقهم أخذوا بعض النسوة اللواتي كنّ يجمعن (الكرسبان) في كروم جبل الأبيض (ايزلا).

أما إنقاذ مدينة آزخ من الدمار والإبادة سببه ظهور تلك المعجزة العجيبة التي حدثت في هذه المعركة المصيرية على يد المقاتل البطل حنا قريوكي الذي قطع رأسه وهو يحارب ويقاتل ويقتل من الأعداء ورأسه مقطوع، مما حدا بالأمير محمد باشا كور بأن يوقف القتال فوراً والانسحاب من مدينة آزخ على أثر هذه الأعجوبة الخارقة التي أظهرها الله في تلك الساعة لكي ينقذ شعب آزخ من الدمار والإبادة، لذلك لم يلاحقوا رجال الأمير كور أهل آزخ الذين نزحوا عن المدينة واعتصموا بالكروم.

لم يصدقها أحداً إى الذين شاهدوها بأم أعينهم، والذي له الإيمان الكامل بالمسيح يسوع رب المجد، حيث يظهر عجائبه الخارقة والبعيدة عن العقل البشري لينقذ شعبه المؤمن بمثل هذه الظروف.

١- جلف رابو: كلمة كردية - GILF RABU - تعني: لقد قامت القيامة ويوم البعث، لاعتقاده كيف هذا المقاتل يحارب ويقتل ثلاثة أشخاص ويجرح الرابع، مما يدل على أنه قامت القيامة وأنه يوم الحشر والبعث، لذلك أمر محمد باشا كور رجاله أن يتركوا المعركة والانسحاب فوراً إلى الوراء.

➢ من هو محمد باشا كور ؟ ➣

كان محمد باشا الكردي المعروف بالأمير كور، أميراً على راوندوز، وهو من الأمراء المعروفين بـ (سوران) الذين أولهم عيسى وآخرهم رسول (١) فهو ابن مصطفى بك كريم العين. لذلك سمي بـ (كور) أي: الأعمى.

كان الأمير كور قوياً جداً وصارماً متوحشاً ظهر سنة ١٨٠٨م، وكان مركز حكمه في راونود المدينة الكردية الواقعة على مسيرة خمسة أيام من الموصل، بين كردستان التركية حالياً العراق، وكردستان الفارسية، وكان يومئذٍ فيها زهاء ثمانمائة دار، وتتبعها زهاء مائتين وثمانون قرية.

ورئس محمد باشا كور قبائل كردية كثيرة حوالي ١٨٢٠م، وفي سنة ١٨٣١م استولى على منطقة حدياب وأربيل وكوي سنجق وإلى السليمانية، وفي سنة ١٨٣٢م استولى على قرى آشور، ونهب قرية حطارة (٢) من أعمال الشيخان، وقتل من القوش مئة واثنين وسبعين رجلاً ما عدا النساء والأطفال. وعاث في قرى الشيخان قتلاً ونهباً، كما قتل

١- يذكر مؤلف الشاهنامة ومعرّبه، ثلاثة وعشرين أميراً حكموا منذ مطلع القرن الخامس عشر إلى سنة ١٨٤٢ ورد اسم الأمير كور في العدد ٢٠ ص٢٧٣-٢٨٨.

٢- حطارة: كلمة آرامية (ܚܛܪܐ) تعني: نداف ـ نجاد، أي: قرية الندافين.

علي بك أمير اليزيدية، وفي سنة ١٨٣٣ استولى على الزيبار وعفرة، وفي السنة التالية استولى على عمادية ونصب أخاه رسول حاكماً عليها.

وفي سنة ١٨٣٦ كسرت شوكته وغلب في معركة حاربه فيها علي باشا قادماً من بغداد، ورشيد باشا القادم من القسطنطينية، وأُسر وسيق مكبلاً إلى العاصمة، وقتل سنة ١٨٣٧ (١).

أما الأمير بدرخان وشقيقه سيف الدين بك، كسرت شوكتهما في المنطقة بعد حادثة الهجوم على مدينة آزخ بمساعدة الأمير كور، وقد كرهه الجميع، لأنه بعد أن اعتدى على المنطقة بأسرها ومعه رجال الأمير كور الراوندزي، قلّ شأنه بين العشائر الكردية.

وعندما عاث رجال الأمير كور فساداً وتدميراً للبيوت وحرقها على رؤوس أصحابها، وكان همهم السلب والنهب وقتل الأبرياء من الأكراد والسريان الآشوريين في منطقة آزخ وجزيرة بن عمر. على أثر ذلك كثرت الشكاوى عليه لدى الباب العالي، فأرسل السلطان قوة من الجنود إلى جزيرة بن عمر للقبض عليه، فتصدى لها الأمير بدرخان بك، انتصر فيها لأول مرة، لكن السلطان أرسل دفعة جديدة من الجنود كثيرة يساعدهم أكراد شرنخ وهفرخ المؤيدين للأمير عز الدين شير.

تقابل الجيشان بالقرب من مدينة شرنخ، كان لدى الأمير بدرخان بك أحد مستشاريه المعتمدين يدعى (شابو) من السريان الآشوريين، قال الأمير: يا شابو هل سأنتصر هذه المرة أيضاً على هؤلاء الجنود المرتزقة من الأكراد ؟. قال له شابو: هل تريد يا أميري، أن أتكلم لصالحنا أم

١- تاريخ طورعبدين للعلاّمة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص ٣٦٢-٣٦٣.

لصالح الحكومة العثمانية ؟. قال الأمير: بل تكلم لصالحنا !!. قال شابو: يا أميري، إن هؤلاء الجنود الذين أمامك وقد أرسلهم السلطان للقبض عليك، وقد جاؤا من اسطنبول، ليسوا إلاّ رعاع ومن أبناء الشوارع، فكيف لهؤلاء الرعاع التغلب على أمير مثلك وعلى جيشك الباسل، بالطبع انك ستقضي على شذاذ الآفاق وتهزمهم كالثعالب كما هزمتهم في المرة الأولى. قال الأمير: يا شابو، تكلم لصالح السلطان العثماني !! فقال شابو: كيف لصعلوك مثلك سيتغلّب على السلطان وجيشه الجرار، وأنت لم يبقَ أحداً معك ليسند ظهرك ويحميك، فإذا قضيت على هؤلاء الجنود العشرة آلاف، سيرسل السلطان أيضاً عشرون ألف جندي آخر، ومن ثم سيرسل مئة ألف جندي وهكذا دواليك، إلى أن يقضي عليك، وعاقبتك معروفة هي الإعدام. فسلّم نفسك وأطع السلطان خير لك، لكي تنقذ ما تبقى من جنودك.

سمع الأمير بدرخان بك كلام مستشاره المفضّل شابو السرياني، وسلّم نفسه للجيش العثماني سنة ١٨٤٦ وسيق مع أخيه سيف الدين بك إلى القسطنطينية فأعدما لقاء أعمالهما الشريرة، فتخلص سكان جزيرة بن عمر ومنطقة البوطان من شرهما وظلمهما (١).

ارتاحت مدينة آزخ من جديد وعزل اسحق بازو ولعنه شعبه على ما أبدى من حماقة لا تغتفر، أودت بحياة مئة وثمانون رجلاً من شعب آزخ، وسبيت بعض النساء اللواتي كن يجمعن (الكرسبان) في الكروم.

١- تاريخ طورعبدين للعلاّمة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص ٣٦٢-٣٦٣.

➢ قصة ابراهيم عمنو ➢

لما أحرق الأمير كور بعض البيوت من مدينة آزخ وسبى بعض النساء، كان بيت ابراهيم عمنو من جملة البيوت المدمرة المحروقة، وفي سنة ١٨٣٥ أُعيد بناء ما تهدم من هذه البيوت المدمّرة.

رفض ابراهيم عمنو الاشتراك في البناء وقال: كيف يمكن أن أبني بيتاً وأسكن فيه، ولدي شقيقتان في الأسر ومعهن والدة ابن عمي أوسي كورية ومليحة أم الخوري حنا ونيسانة بنت خلف نيسو.

لبس ابراهيم عمنو لباس الدراويش، وأخذ معه شقيقته الثالثة وقصد منطقة راوندوز، وهو لا يعرف شيئاً عنها. كانا يسيران ليلاً وفي النهار كانا يختبئان في المقابر والأدغال، وكان يرسل اخته لتستجدي الخبز من القرى.

وتسلل عن الطريق الذي يؤدي إلى راوندوز، وهكذا تابعا سيرهما حتى وصلا منطقة راوندوز، ولم يعرفا أين تقيم الأسيرات، لذلك كان يرسل أخته إلى عين الماء التي تستقي منها النساء الراوندزيات، بعد السؤال، عرفت أخته منهن مكان الأسيرات.

وأول ما اتصلت بأم أوسي كورية، وأم أوسي كورية اتصلت ببقية النساء، وحدّدت لهن مكان اللقاء، وجلبن بعض المؤمن معهن، جاءت النساء في الموعد المحدد كل من أم أوسي كورية ومليحة أم الخوري حنا وأم اسطيفو ونيسانه أم خلف نيسو.

وبدلاً من أن يتوجهوا نحو الغرب، ساروا نحو الشرق، ليضلّوا ملاحقيهم وينجوا، كانوا يسيرون في الليل، ويرتاحون في المقابر نهاراً.

وبعد يومين اجتازوا الجبال التي يحكمها الأمير محمد باشا كور، حتى وصلوا سهل ممتد، وجدوا خيام كثيرة، يتوسطها خيمة كبيرة، فعلم ابراهيم عمنو بأن هذه الخيمة الكبيرة تعود لشيخ القبيلة، فأرسل أخته حانا التي تمرست على هذا العمل منذ أن تركت مدينة آزخ مع أخيها، ذهبت كالعادة تستجدي الخبز، وجدت أن هؤلاء القوم يتكلمون باللغة العربية، فارتاحت نفسياً لذلك، وعادت بسرعة وأعلمت شقيقها ابراهيم بأن أصحاب هذه الخيم هم من العرب، تهلل وجه ابراهيم وقال: الآن وصلنا إلى غايتنا، لأن هؤلاء العرب سيساعدوننا حتماً على ما نريد، فذهب مع النساء قاصداً خيمة الشيخ الكبير، فوجدوا شيخ القبيلة جالساً، فقام فوراً وأضافهم كعادة العرب، أما النساء ذهبن إلى قسم الحريم، وبقي ابراهيم مع الرجال، بعد الضيافة حسب العادات العربية، سأله الشيخ: ما هي قصتك وما طلبك ؟؟

فقص ابراهيم حكايته، على الشيخ والناس الموجودين في الخيمة، وكيف ذهب وأنقذ النساء من الأسر بواسطة اخته حانا.

فأُعجب الشيخ به وبرجولته ومروءته، فقال له الشيخ مازحاً: بالله عليك قل لي !! هل رجال مدينتك كلهم هكذا مثلك رجال ؟ أجابه ابراهيم: صدقني يا شيخ، أنا أضعف واحد فيهم في الرجولة.

وبعد ثلاثة أيام كعادة العرب، سمح لابراهيم عمنو مع النساء بالرحيل، وأرسل معهم ثلاثة رجال لمرافقتهم حتى أوصلوهم إلى زاخو، ومن ثم جاءوا إلى آزخ مروراً فوق نهر دجلة بواسطة (كلك).

ان ابراهيم عمنو ليس إلاّ نموذجاً بسيطاً لرجال آزخ عند الشدائد والملمّات الصعبة.

عادت الحياة الطبيعية إلى مجراها، وأعيد ترميم وتعمير البيوت المحروقة المهدّمة كلها، وبالأخص عندما استلم الأمير عز الدين شير الحكم في جزيرة بن عمر والبوطان، وأصبح صديقاً لأهل آزخ.

وفي أو لحكمه تمردت بعض القرى من أعوان الأمير بدرخان بك، فاستعان الأمير عز الدين بأهل آزخ لتأديب المتمردين الذين لم يرق لهم حكمه.

فكان أول عمل قام به أهل آزخ انهم ذهبوا وأعادوهم إلى إطاعة الأمير الجديد بالحسنى كما كان يفعل البطل الشماس اسطيفو.

وبذلك أصبح الهدوء والاطمئنان في منطقة جزيرة بن عمر والبوطان، إلى أن زحف الأمير عز الدين شير على الجبال الكردية في الشمال حتى وصل سعرت وقتل حاكمها حاجي محمد الذي كان يناوئه مع تسعة أشخاص من رجاله الأشداء، كما قتل محمد بك في (كربوران) (١) وقد بلغت أخباره أمير بلاجك وسكان شيروان وفتاح بك حاكم غرزان (٢).

فاتحدوا جميعاً، بعد أن جردوا بالاتفاق حملة قوية ضدّه، وجابهوا الغزاة في معارك حامية الوطيس، استمرت عدة أيام قتل من الجانبين آلاف القتلى، إلاّ أن هزمهم الأمير عز الدين شير ودحرهم جميعاً.

١- كربوران: كلمة آرامية (ܟܪܒܐ - ܚܘܪܐ) تعني: فالح الأرض البائرة.

٢- راجع تاريخ طورعبدين لغبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص٣٦٤.

فأرسلوا سعاة إلى السلطان عبد الحميد يستنجدونه، فأصدر أمراً ضدّه للقبض عليه.

لكنه باشر من جديد يعيث فساداً وقتلاً دون رحمة ولا شفقة في منطقة حكمه، حتى حقدت عليه جميع العشائر الكردية التي تحت حكمه.

لكن قرية أربو في طورعبدين لم يتمكن من احتلالها، فحاربته بقيادة صلو الأربوي، فانتصرت عليه ودحرت رجاله.

كثرت الشكاوى عليه لدى السلطان عبد الحميد، على أثرها أُلقي القبض عليه وعلى مسوريك، وسيقا مكبلين إلى اسطنبول وأُعدما سنة ١٨٥٥ (١).

أما مدينة آزخ ظلت بأمان واستقرار بالرغم من انها شاركت في أول حكم عز الدين شير على تأديب بعض القرى المتمردة، وذلك بالحسنى وليس بالقتال كما أسلفنا، لكي يقدموا الولاء للأمير الجديد، وبذلك تم إنقاذ مدينتي شرنخ وهفرخ الباسلتين من شرّه وآثامه المريرة.

فلو اتخذ الأمير عز الدين شير الحكمة والعقل نبراساً لحكمه لما كانت نهايته حزينة مثل نهاية أسلافه، لكنه تجاوز بأخطائه سلفه بما

١- تاريخ طورعبدين للعلاّمة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول ص ٣٦٤.

اقترف من آثام ليس لها مثيل، وقد اخترع (الخـازوق) (١) لتـأديب العصـاة والمتمردين على حكمه الظالم.

وكان يتمتع برؤية ضحيته فوق (الخازوق) المخصص لهذه الغايـة البشعة، ولم تقرف نفسه من هذا المشهد الحقير حتى تموت الضحية فوق العامود.

وبهذه الوسيلة المكروهة، كان الأمير عز الدين ينتقـم مـن أعدائـه، وأكثر الضحايا كانت بريئة، وعلى أثر وشاية كاذبة من بعض الدساسين الذي يصطادون بالماء العكر، وبدون تحقيق في الموضـوع، كـانت تـؤدي إلى رفع الضحية على (الخازوق).

فقد استلم الأمـراء البختيون مقـاليد الحكم فـي جزيـرة بـن عمـر والبوطان، لكن سوء إدارتهم واستبدادهم برقاب الشعب الكردي والسرياني الآشوري، وفـرض الضرائـب الباهظـة التـي لـم يتحملهـا الشـعب الكـردي

١- الخازوق: كلمة آرامية (ܣܘܩܐ) تعني: وفاة - اختطـاف الـروح رويـداً رويـداً، اخترع الأمير عز الدين شير (الخازوق) لحكم الإعدام البطيء، والخـازوق انـه عامود من شجر الحـور رأسـه مدبـب، يثبّت العـامود فـي الأرض جيداً، يـأتي زبانئ الأمير بالشخص الغير مرغوب فيه، يعرونـه مـن ثيابـه، ويرفعونـه فوق رأس العـامود المدبـب، ويضعـون ديـره علـى رأس العـامود ليدخـل فـي إسـت الضحية، ثم يقوم أحد رجال الأمـير ماسكاً بيده داقـوق (ܕܩܘܩܐ) يعنـي: مـدق، ويضرب بالمدق (الداقوق) على أكتاف الضحية حتى يدخل رأس العمود بـالقوة في دير (است) الضحية، حتى يصل رأس العامود عند رقبته، والمحكوم عليـه يتلوى ويتوجع من الألم، والأمير يمتّـع نظـره بهذا المشهد البشـع حتـى تمـوت الضحية فوق العامود (الخازوق) وذلك ليشبع الأمير رغبته.

ضمن حكمهم، حتى أصبح أكثرية الشعب الكردي عبيد واقنان من الظلم العاتي.

كانت الوفود تذهب إلى اسطنبول تستنجد بالسلطان، وكانت حصيلة هذه الشكاوي، صدور الأوامر باعتقالهم ومن ثم إعدامهم الواحد تلو الآخر، وذلك على أفعالهم المنافية للإنسانية بحق الرعية.

إلاّ أن حكم الأمير بدرخان بك، كان مقبولاً وديمقراطياً ومستحباً في أول الأمر لدى جميع سكان المناطق، بدءاً من جزيرة بن عمر حتى جبال البوطان، حيث جمع حوله جميع سكان المناطق من المسيحيين الأرمن والسريان الآشوريين.

وبالأخص الأرمن أراد أن يوحدهم مع الأكراد بصفتهم عنصر واحد لتشكيل دولة كردية قوية ضد الأتراك العثمانيين، حيث أقدم على زواج بعض الأرمن من نساء كرديات وزوّج بعض الأكراد من نساء أرمنيات، مما حفّز الحكومة العثمانية على الإطاحة به بواسطة رجال الدين الأكراد، وعلى رأسهم الملا محمود بيازيدي ومحمد البوطي.

وقد صدرت الفتاوي ضده باتهامه بالكفر والزندقة، وانه مشرك وعدو لدين الإسلام لتزويجه نساء كرديات مسلمات على رجال الأرمن المشركين.

وكان السريان الآشوريون في الأربعينيات في المنطقة الجبلية مع الأكراد (هكاري) (١) على علاقة صداقة وحسن جوار، غير أنها تصدّعت

١- هكاري: كلمة آرامية (ܗܟܪ - ܗܟܪܐ) تعني: هاج - ثار، أي المنطقة الثائرة.

بعد ظهور المبشرين البروتستانت، ومختلف الديبلوماسيين الأجانب في هكاري خاصة (١).

لقد كتب ببر كيبنس (٢) إلى مار شمعون بطريرك السريان الآشوريين ما يلي:

إن العذاب الذي تتحمله أنت وشعبك هكذا طويلاً في هذه المنطقة، ما هو إلاّ نتيجة الظلم الإسلامي، وقد استرعى ذلك عطف وإشفاق الأشقاء المسيحيين في أميركا وأثار اهتمامهم بالموضوع.

وكان المستشرق المبشّر الطبيب غرانت الانكليزي سبباً للصراع بين الأكراد والسريان الآشوريين كان أن يصل في بعض الأحيان إلى وقوع الحوادث والمناوشات.

ولم يحاول غرانت المُطّلع على الأمور حلّها وتسوية النزاع، لأنه كان يعتبر بأن الفوضى وهذه الماوشات ستجعل السريان الآشوريين النساطرة أوفياء أكثر للانكليز، ولكلمة الرب الذي يبشر بها الانكليز.

هكذا كان الانكليز يستغلون الدين المسيحي لصالح الانكليز، كما ان الأتراك العثمانيون يستغلون الدين الإسلامي لصالح امبراطوريتهم.

وكان المبشرون البروتستانت مهتمين بإساءة العلاقات بين الأكراد

١- جليلي جليلي: تاريخ الإمارات الكردية في الامبراطورية العثمانية ص١٢٧-١٢٨-١٢٩.

٢- رسالة ببر كيبنس - BIBREKIBNES - إلى مار شمعون الآشوري النسطوري ص٥٠.

والسريان الآشوريين، وجندوا عملاءهم الأكراد المتعصبين وشجعوهم على تدمير مخطوطات الشعب الآشوري السرياني القديمة، وآثاره الثقافية وتقاليده القديمة حتى ساءت العلاقات بين السريان الآشوريين والأكراد أكثر فأكثر، وذلك بعد قيام الطبيب غرانت سنة ١٨٤٢ بزيارة جديدة إلى القرى الآشورية، وقد نفّذ مخططه اللئيم للتفريق بين الأكراد والآشوريين السريان الذين يعيشون في مناطق هكاري وبوطان وقرى تباري وتخوما وجبكو وبارواري ونبراري.

وكان الأكراد يعيشون بأخوة صادقة ومحبة ليس لهما مثيل (١).

ويقول ديتل: ان الطفل يسافر ومعه الذهب في الأراضي التي يحكمها الأمير بدرخان بك أمير جزيرة بن عمر والبوطان، فقد قضي على الرشوة والفساد، وتقطع يد السارق أحياناً (٢).

وهكذا كانت إمارة بدرخان بك، قبل أن ينقلب هذا المصلح الاجتماعي من حمل وديع إلى ذئب كاسر، والسبب هو: عندما أُهين بصلب شرفه كأمير من قِبَل اسحق بازو الأحمق، بعد موت صديقه ومستشاره الأول الشماس اسطيفو.

على أثر ذلك الكلام البذيء الذي سمعه من اسحق بازو، فرفض إرسال خمسون رجلاً أسبوعياً لحراسته، فقد خاب ظنه مما دعاه إلى أن يلتجئ إلى الأمير كور الراوندزي لينتقم من اسحق بازو، وقد نسي فضائل

١- راجع الحضارات العربية لهنري عبودي ص١١٥-١٥٦.

٢- رسالة ف. ديتل المبشر البروتستانتي ١٠١ ص٤٠.

صديقه الشماس اسطيفو وتلك الصداقة التي كانت تربطه معه، وما قدم له من خدمالت جليلة جعلت الألفة والمحبة بين العشائر الكردية والشعب السرياني الآشوري، حتى مكنته من البقاء على رأس إمارة الجزيرة والبوطان.

فلما انقلب إلى ذئب كاسر حاقد على المجتمع الكردي حتى مكّنت أعدائه اللتجاء إلى الحكومة العثمانية للإطاحة به، وطرده من إمارة البوطان وجزيرة بن عمر.

وبعد أن التجأ الأمير بدرخان إلى الأمير محمد باشا كور الزاوندزي، نجحت مؤامرة العثمانيين من جهة ومؤامرة المبشرين البروتستانت الانكليز من جهة ثانية، حيث كانوا يحرضون الأكراد على السريان الآشوريين، وضاعت واندثرت جميع أعماله التي كان قد كرّس حياته لها بشأن خلق وتأسيس دولة كردية، إن جميع أعمال الأمير بدرخان بك ذهبت أدراج الرياح.

أما مدينة آزخ لم يتمكن المبشرون البروتستانت الانكليز والأمريكان أن ينالوا من هذه المدينة العريقة بأرثوذكسيتها وإيمانها القويم، لأن شعب آزخ لم يسمح لهؤلاء الدجالين ولو بزيارة خاطفة لمدينتهم المؤمنة المتحررة من هؤلاء الدجالين.

ولعدم استقبال هؤلاء المبشرين الدجالين، حافظت مدينة آزخ على علاقاتها الودية مع العشائر الكردية في المنطقة (١)، وبالأخص العلاقات

١- انظر: بله شيركوه ـ القضية الكردية ـ القاهرة ١٩٣٠ ص٤٠-٤١.

الطيبة التي كانت تربط الشماس اسطيفو مع الشيخ يوسف من زاخو الذي كان المعتمد الأول لدى الأمير بدرخان بك في المنطقة الشرقية من حكمه.

ويشهد المؤرخ الأرمني بويادجيان بمعلومات تفيد ان أعضاء الاتحاد المقدس برئاسة الأمير بدرخان، كانوا قد وضعوا اتفاقية لتأسيس دولة كردية مستقلة عن الباب العالي، والدولة العثمانية.

وكان لا بد من تأمين الأسلحة الجديدة للجيش الكردي المزمع إنشاؤه، إن إمكانية الحصول على الأسلحة في الوقت الحاضر بكميات كثيرة كان صعباً للغاية، لذلك قرر بدرخان بك بناء مصانع للأسلحة والذخيرة بمساعدة الخبراء الأرمن والسريان الآشوريين، الذين استدعاهم لهذه الغاية إلى جزيرة بن عمر.

لأن السريان الآشوريين والأرمن لهم الخبرة العالية في صنع البارود وقد عملوا مصنع للأسلحة (٢) في جزيرة بن عمر.

وهذا الذي مكّن موقف الأمير بدرخان بك في أول الأمر بين زعماء العشائر الكردية، وقد خصّص في برنامجه السياسي مكاناً هاماً بين شعوب المنطقة، لتبادل العلاقات التي عاشت فيها قروناً طويلة جنباً إلى جنب مع الأكراد من قبل الأرمن والسريان الآشوريين.

لقد وجد أهمية كبرى لجذب الأرمن والسريان الآشوريين إلى النضال المشترك ضد الأتراك العثمانيين، واعتقد بذلك بأنه سيحظى بتأييد من روسيا القيصرية.

١- راجع عن معلومات المؤرخ الأرمني بويادجيان ص٨٦-١٣٧.

وكتب المؤرخ شاخيازيان، بأن بدرخان كان يرغب بأن يضم إلى دولته مناطق وان وبدليس وموش وديار بكر، وكان قد خصص مكان للأرمن في دولته المستقلة، وأيضاً خصص مكان للسريان الآشوريين (١).

وقد أخذ بعين الاعتبار التجار والمهندسين الأرمن وغيرهم من السريان الآشوريين في الحياة الاقتصادية ووعدهم بأن يسلّمهم إدارة الأمور الاقتصادية والمالية، وكان جيش بدرخان يضم عدداً من الأرمن والسريان الآشوريين من قرية دبخ (٢) ومن مدينة آزخ بقيادة الشماس اسطيفو.

أما الاقطاعيين وآغاوات الأكراد كانوا قد ظلموا الأرمن واضطهدوا الفلاحين، إلاّ أن ظلمهم لم يكن له طابع ديني بقدر ما أخذ طابعاً طبقياً حيث شمل الفلاحين الأكراد أيضاً.

ويذكر المؤرخ يرميان: ان الأكراد والأرمن كانوا في وضع مشابه عند الاقطاعيين، وكان هؤلاء الزعماء أثناء الحروب يقتلون الأكراد والأرمن المهزومين أثناء الحرب.

١- انظر: العلاقات الكردية وبقية القوميات في نظر الأمير بدرخان للمؤرخ الأرمني شاخبازيان ص١٣٧.

٢- دبخ: كلمة آرامية (ܕܒܚ. ܕܒܚܐ. ܕܒܚܬܐ) تعني: ذبح - نحر - ضحى - قرّب ذبائح، كان سكان هذه المنطقة (دبخ) يقدمون الذبائح والقرابين للآلهة التي يعبدها السريان الآشوريين قديماً.

وفي سلطة الأكراد الذاتية كان الكثير من الأرمن يشغلون المناصب، كمستشارين ومساعدين لزعيم العشيرة أو البيك، وكانت تربطهم علاقات وثيقة مع الأكراد وعاشوا بأمان (١) وقد شجع الأمير بدرخان بك وأعار مهمة القيادة السياسية جل اهتمامه، نظر إلى الأرمن نظرته انهم من أصل واحد، ثم انقسموا إلى عشائر وديانات.

ولكن ثمة حقيقة ثانية تؤكد ان العديد من الأرمن قد انضموا إلى جانب الأمير بدرخان، وحازوا على ثقته، وعملوا كمستشارين له، وكان بعض الأرمن المسؤولين يفتخرون بأصلهم العريق الذي الأكراد منهم.

كان الأرمنيان ستيبان منغوليان وأوهانيس مستشارين لدى الأمير بدرخان، وكان السرياني الآشوري ميرمارتو من فاشكالا (٢) قائداً لإحدى فصائل جيشه، والبطل الشماس اسطيفو الذي كان من المعتمدين الأوائل لديه وقضيب تأديب للمتمردين والعصاة على حكم الأمير بدرخان بك.

فلم يعتمد على أحد لحراسته سوى رجال آزخ الذين كان يرسلهم له أسبوعياً الشماس اسطيفو.

وقد كتب الدكتور ليبتوس في مقالة (الأكراد والأرمن) (٣) كانت

١- راجع الأرمن والأكراد: مقالة الدكتور ليبتوس المنشور عام ١٩٠٤ في مجلة الشرق المسيحي عن علاقة الأرمن والأكراد.

٢- فاشكالا: كلمة آرامي (ܦܫܟܠܐ) تعني: المنحاز، أي القرية المنحازة.

٣- راجع ف ديتل - DITELL - ٣٥ - ص٣٦.

تسود بين الأرمن والأكراد علاقات ود وصداقة حميمة، وثم من حالات الزواج بينهم، وكان الأكراد يحترمون الشعائر الدينية وطقوس الأرمن جداً.

وفي الواقع فإن الناس في المناطق المجاورة لسلطة بدرخان والذين عاشوا من ظلم وتعسف الغزوات التأديبية التركية لهم، قد استجابوا لتدابير بدرخان بك.

وكان المؤرخ ف. ديتل ـ DITELL ـ غالباً ما يصادف أثناء رحلاته وتجواله في كردستان مجموعات كثيرة من الأكراد في طريقها إلى المنطقة الذي يحكمها الأمير بدرخان بك (١) لكي يعيشوا بأمن وسلام تحت حكمه.

وكانت دهشة الأوربيين كبيرة جداً، عندما كانوا يسافرون عبر أراضيه، وأكّد المبشرون (رايت وبريس) أثناء استضافة بدرخان لهما في قرية (دير عون) (٢) انه ليس بإمكان الذئب أن يتهرب من عقوبة بدرخان، وكان يقطع يد السارق أحياناً.

ويشير ديتل إلى الأمن والهدوء في المناطق التي تحت امرته في أول حكمه، ولا وجود للسرقة والنهب على أرض بدرخان (٣).

وقد أعلن الأمير بدرخان الإمارة الكردية المستقلّة برئاسته، وقام

١- راجع ـ ف. ديتل ـ DITELL ـ ٣٥ ـ ص٣٦.

٢- دير عون: كلمة آرامية (ܕܝܪ ܥܘܢ) تعني: دار الغناء والتراتيل.

٣- المؤرخ الكردي: علاء الدين سنجاري ص١٥-٤٥.

بسك عملة كما يشهد المؤرخ سنجاري، ان عبارة (أمير بدرخان) كانت الوجه الأول للعملة، وعلى الوجه الثاني (١٢٥٨ هجرية) واعتبر الجزيرة عاصمة له ورفع علماً فوقها.

أما الحكومة العثمانية لم يرق لها هذا العمل، أمرت بضرورة القضاء على هذه الإمارة، ومعاقبة بدرخان بأقسى العقوبات الصارمة، حرّضت رجال الدين عليه، ترشيهم وتغدق الأموال والمناصب عليهم، وكان البعض منهم يطمعون بهذه الإمارة، أولهم ابن عم أبيه ازدين شير الذي استلم إمارة الجزيرة والبوطان بعد إلغاء القبض على الأمير بدرخان سنة ١٨٤٦م.

وهذه سيرة الأمير بدرخان بك أمير الجزيرة والبوطان، كان موت الشماس اسطيفو وبالاً عليه وعلى إمارته، وذلك بسبب تمرّد اسحق بازو ضده بعد موت عمه الشماس اسطيفو.

سنة ١٨٣٤م وبالرغم من وصية الشماس لأهل آزخ لكي لا ينتخبوا ابن أخيه اسحق بازو، وعلى أثر تمرّده وعصيانه على الأمير بدرخان وأهانه في صميم شرفه، مما أفقده صوابه، فالتجأ إلى الأمير محمد باشا كور.

كان يجب أن يتريث قليلاً قبل أن يقدم على هذا العمل الذي أضاع إمارته من يده، لأنه ترك تلك الخصال الحميدة التي كان يتمتع بها الأمير بدرخان بك في أول حكمه، كما شهد له جميع المؤرخين في بداية حكمه، وقد ارتكب الأخطاء الجسيمة وأصبح العدو اللدود لأهل آزخ والعشائر

الكردية، حتى كرهه الشعب الكردي والسرياني الآشوري بأجمعه، ونسي الناس تلك الأعمال المجيدة التي قام بها في أول حكمه سنة ١٩٣٣م.

وقد قبض عليه وسيق مع شقيقه سيف الدين إلى القسطنطينية وأُعدما مِن قِبَل السلطان العثماني سنة ١٨٤٦م.

ثم استلم من بعده الأمير عز الدين شير سنة ١٨٥٤-١٨٥٥، وقد عاث فساداً في منطقة طورعبدين وغيرها من المناطق كما ورد معنا سابقاً. فأرسلوا سعاة إلى اسطنبول يستنجدون السلطان، وقد قبض عليه مع شقيقه مسور بك وسيقا إلى القسطنطينية كما كان قد سيق قبلهما الأمير بدرخان بن محمد الثاني وزال ملكهم، فتخلص سكان الجزيرة وطورعبدين من ظلمهم وعفا أثرهم (١).

نَعِمَت منطقة آزخ بالهدوء مع العشائر الكردية، وظلّت جزيرة بن عمر والبوطان دون أن يحكمهما أحد من الأمراء البختيين، واستمر الهدوء والاستقرار في ربوع هذه المناطق فترة من الزمن، إلى أن برز من جديد رجل من عشائر (الكوشر) (٢) يدعى مسطو ينتمي إلى عشيرة (ميرا) (٣).

أما الكوشر، تتألف من عدة عشائر كان يرئسها مسطو، وأسماء

١- راجع تاريخ طورعبدين لغبطة البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول ص٣٦٣.

٢- كوشر: كلمة آرامية (ܟܫܪ: ܟܘܫܪܐ ܟܫܝܪܐ) تعني: نجح - وفق - ناجح - مُفلِح - نافع - مفيد - باسل - شجاع، أي العشائر الباسلة.

٣- ميرا: كلمة آرامية (ܡܪܐ جمعها ܡܪ̈ܐ. ܡܪܘܬܐ. ܡܪܝܐ) تعني: مولى - سيد - رب - صاحب - مالك - خواجه، أي عشيرة الأسياد.

هذه العشائر تعود إلى أصل آرامي آشوري وهي:ميرا - كشا(١) - صورا(٢) ديرا (٣) - باتوا (٤) - خركا (٥)، كانت هذه العشائر تسكن في جبل (زوزان) (٦) من جبال آراراط (جودي).

وفي فصل الربيع كانوا يجمعون العشب اسمه (ألز) (٧) ويعملون منه ريسيان (٨) يحفظونها ويدّخرونها لأيام الشتاء لتقتات منها الأغنام أثناء شدة الجوع، حيث تغطي الثلوج في فصل الشتاء جميع الجبال والوديان، بسماكة مترين في بعض الأحيان.

١- كشا: كلمة آرامية (ܟܫ ܟܫܳܫܐ) تعني: طرد - كش - زجر: أي العشيرة المطرودة.

٢- صورا: كلمة آرامية (ܨܘܪܐ) تعني: مرتفع صعب في الجبل، حيث تسكن هذه العشيرة.

٣- ديرا: كلمة آرامية (ܕܪ - ܕܐܘܪܐ) تعني: جوال - طواف، العشيرة الجوالة.

٤- باتوا: كلمة آرامية (ܒܬ ܒܬܐ) تعني: بات - أقام - استقر - حل - سكن - بقي - صام. المقيم الثابت في المكان، أي العشيرة المستقرة.

٥- خركا: كلمة آرامية (ܟܪܟ ܟܪܘܟܳܐ) تعني: جوال - طواف، أي العشيرة الجوالة.

٦- زوزان: كلمة آرامية (ܙܢ - ܙܘܢܐ) تعني: مكان التموين والإعالة، إنه جبل فيه مغاير للأغنام.

٧- ألز: كلمة آرامية (ܐܠܙ) تعني: ضيق - حرج. شدة الضيق، وإنه عشب يجمع ويحفظ لأيام الشتاء.

٨- ريسيان: كلمة آرامية (ܪܣܐ - ܪܣܳܐ - ܪܣܝܐ) تعني: رسا - ثبت - حل - أقام - أرسى - أوقف السفينة، إنه نبت طويل الورق. لعلف المواشي في الشتاء، يجمع هذا النبت في الربيع ويلف حول بعضه ويصبح ريسبان وتخزن للشتاء لقتات منها الأغنام والمواشي.

في فصل الربيع تترك هذه العشائر مكانها في الجبل وتنحدر مع مواشيها نحو الجنوب، تشرح بأغنامها حتى تصل سهل جبل سنجار مروراً فوق نهر دجلة بالقرب من جزيرة بن عمر.

إلا أن بعض هذه العشائر ومنها عشيرة (ميرا) كانت تفضل أن تتجه نحو الغرب إلى جبل آزخ (ايزلا) وذلك بعد الحصول على موافقة أهل آزخ بالسماح لهم لرعي أغنامهم لقاء دفع عشرون قرشاً عثمانياً في السنة عن كل رأس من الغنم، لقاء رعي أغنامهم في جبل (ايزلا).

يتبيّن من أسماء هذه العشائر (الكوشر) على انهم من الرعاة الأخلامو الآراميين الرحّل الذين فضلوا البقاء في جبال ووديان جبل آراراط - جودي واستقروا فيه، واختلطوا مع أبناء عمهم لود بن سام بن نوح، فنسوا لغتهم الآرامية بمرور الزمان، وكوّنوا هذه العشائر (الكوشر) ولغتهم الكردية الخاصة بهم.

➢ من هو مصطفى باشا ؟؟ ➢

ورد في بحثنا ومن بعض المصادر كون الكورد من مزيج من شعوب شتّى ومنبينهم قبائل عديدة فاستكردت (١) مثل قبيلة الخالدية التي هي من أصل آرامي كلداني (٢).

١- راجع: المسعود مروج الذهب ص٢-١٢.

٢- الخالدية: كلمة آرامية (ܟܠܕܝܐ) تعني: كلداني، عن الباحث الروسي نيكيتين، والمؤرخ الكردي علي سيدو كوراني.

كانت عشائر الكوشر تتجول في السهول ترعى أغنامها دون أن يعترضها أحد، عدا مدينة آزخ حتى تدفع الرسوم عن كل رأس من الغنم للسماح لها بالمجيء إلى جبل الأبيض (ايزلا).

توصل مصطو اليزيدي بحنكته وعقله النيّر أن يكون الحاكم والرجل الأول في منطقة الجزيرة والبوطان، فقد أعلن إسلامه ليحظى بعطف السلطان العثماني.

صار يجبي الأموال من الذهب والفضة ويرسلها على دفعات إلى السلطان، حتى ولّاه على الجزيرة والبوطان، ومنحه لقب باشا وأصبح يلقب بمصطفى باشا، وتمكّن من السيطرة على كامل المنطقة الشاسعة من جبل زوزان ـ جودي حتى جبل سنجار، واتخذ جزيرة بن عمر مركزاً لسلطته، وقويت شوكته، ثم شيّد قصراً فخماً في الدشتة، وسميّ بقصر مصطفى باشا، وكان مقره في بعض الأحيان على رأس جبل (كراشوك) (١) لجمع الضرائب والجزية المفروضة على الشعب الكردي والسرياني الآشوري.

وقد حاصر يعقوب آغا آروهي في قرية (آروه) (٢) الحصينة فلم

١- كرا شوك: كلمة آرامية (ܟܪܐ ܫܟܐ) تعني: تظلم ـ شكا، أي مركز التظلم والشكاوي، كانوا يذهبون إلى رأس الجبل للشكوى من الظلم، والتعسف وفرض الضرائب الباهظة عليهم.

٢- آروه: كلمة آرامية (ܐܪܘܐ – ܐܪܘܫܐ) تعني: قلاعة ـ مدرة ـ قطعة طين يابس ـ قطعة من لبن مشوي، لقد تم بناء هذه القرية من اللبن المشوي الذي كان يستعمله الآشوريون في بناء القصور الملكية.

يتمكن التغلب على يعقوب آغا، لأن قرية آروه مبنية فوق رأس جبل وكأنها قلعة حصينة، فلم يتمكن رجال مصطفى باشا الاستيلاء عليها.

بعدئذٍ أصبح رجال مصطفى باشا يعثون فساداً ويعتدون على الناس، ويسلبون المحاصيل الزراعية ويصادرون الحاصلات في البيادر، ويفرضون الأتاوات والجزية على القرى الكردية والآشورية السريانية.

أغنامهم ترعى المزروعات أثناء سيرها في الطريق، وإذا اعترض صاحب الزرع وأراد منع رجال مصطفى باشا من دخول أغنامهم في الزرع، يقولون له: حوّل زرعك عن طريق أغنامنا، أي انقل زرعك عن طريق أغنامنا. والويل لمن أراد أن يمنعهم بالقوة، فيكون مصيره الموت المحتّم أو رفعه على (الخازوق).

لقد شمل الظلم والتعدي على الجميع أكراداً وسريان آشوريين، حتى اضطر أشراف جزيرة بن عمر أن يشكلوا وفداً برئاسة الملا صادق للذهاب إلى اسطنبول ليقابل السلطان العثماني، يشكون أمرهم من ظلم واستبداد مصطفى باشا.

ذهب الوفد برئاسة الملا صادق سيراً على الأقدام لعدم وجود وسائط النقل قاصداً قصر الأستانة مركز السلطان العثماني، حاملين معهم الهدايا الكثيرة من الذهب والفضة وغيرها من الهدايا اللائقة لصاحب العظمة السلطان.

بعد مرور عشرة أيام من عناء السفر في الطريق، وصل الوفد إلى اسطنبول، وبجهد جهيد حتى تمكن الوفد من مقابلة السلطان، فلما مثلوا بين يديه، سألهم السلطان: من أين أنتم ؟ أجاب رئيس الوفد: إننا من

رعاياك من جزيرة بن عمر. فتهلل وجه السلطان وقال لهم: كيف حال ابني مصطفى باشا ؟ فأجابه الملا صادق وقال: الله يحفظ ابنك مصطفى باشا ويطوّل عمره !! لقد أرسل معنا بعض الهدايا نرجو أن تقبلها منّا !!

فأخرجوا الليرات الذهبية والهدايا الثمينة وقدّموها للسلطان، ورجعوا خائبين منكّسي الرؤوس إلى جزيرة بن عمر، وبالرغم من الذكاء الخارق والحيل الشيطانية التي يتمتع بها أهل جزيرة بن عمر لم يتمكنوا من كسر شوكة مصطفى باشا.

استمر في حكم منطقة البوطان بكاملها، وسلّط رجاله وغلمانه على رقاب الشعب الكردي والشعب السرياني الآشوري دون تمييز، ولم يتمكن أحد من ردع طغيان رجاله في المنطقة التي يحكمها، ولم يعتمد على أحد من رجال العشائر الكردية، وجلّ اعتماده كان على رجال الكوشر البواسل الأشداء الذين لا يعرفون الرحمة والشفقة على أحد.

أما مصطفى باشا كان صديقاً لأهل آزخ، عندما كانت بعض القرى تعصى أوامره وتتمرّد عليه، ولم يتمكن رجاله من إخضاعها، كان يطلب العون والمساعدة من أهل آزخ، لتأديب القرية المتمردة، كما حصل مع رجاله في قرية (دوبج) - Dupieh - (١) أو (دوفيش).

١- دوبج أو دوفيش: كلمة آرامية (ܕܘܒܫܐ) تعني: زبيب يابس، عجم، نواة. كانت هذه القرية تزرع البساتين والكروم، وتعمل زبيب ناشف.

➢ تمرّد قرية دوبج - دوفيش ➣

تمردت قرية دوفيش (دوبج) على رجال مصطفى باشا أثناء ذهابهم لأخذ الضريبة الباهظة التي فرضوها على أهل القرية. فتصدوا لهم وطردوهم من القرية، فأرسل مصطفى باشا وفداً لى مدينة آزخ يطلب المساعدة على إخضاع قرية دوفيش (دوبج) المتمردة.

ذهب رجال آزخ وأقنعوا سكان القرية سلماً، مثلما كان يفعل الشماس اسطيفو دون قتال، وعادوا منتصرين إلى آزخ. فمنح مصطفى باشا لكل مقاتل آزخي اشترك بإخضاع القرية هدية (شال شايك) (١).

جاء الربيع وجاء رجال مصطفى باشا مع أنعامهم نحو جبل (ايزلا) كالعادة، لكن هذه المرة واصلوا سيرهم حتى وصلوا قرية (بابقا)(٢) التي تسكنها بعض العائلات الآزخية لتربية مواشيهم.

فلم يمضِ على وجود رجال مصطفى باشا في القرية إلاّ فترة وجيزة حتى صاروا يتحرشون بالنساء ويسمعونهن كلام بذيء خارج عن نطاق الآداب والأخلاق، كلام لا يقبله أي آزخي، ويعتدون على المارة

١- شال - شايك: كلمة آرامية (ܫܠܐ - ܫܟܐ) تعني: شليل - لباس من صوف - خرج - مسح. لباس من شعر الماعز غالي الثمن، وهو من مصنوعات مدينة آزخ ومدينة شرنخ، إن هذا اللباس غالي الثمن، وكان في الماضي خاص بالسريان الآشوريين، ولباس خاص بالجيش الآشوري وأمرائه وقادته.

٢- بابقا: كلمة آرامية (ܒܝܬ ܒܩܐ) تعني: بيت البق، لكثرة وجود البعوض.

ويتهكمون عليهم.

وصل الخبر لأهل آزخ، فأرسلوا البطل صلو كتي مع عدد من الرجال البواسل ليردعوهم عن هذه الأساليب الغير أخلاقية. لكنهم أبوا الانصياع إلى كلام البطل صلو كتي، فأمر رجاله فوراً بالهجوم عليهم وقتلوا منهم أربعة رجال واستولي على مواشيهم، وهرب الباقون ولاذوا بالفرار، فذهبوا وأخبروا مصطفى باشا بأن أهل آزخ اعتدوا عليهم وقتلوا منهم أربعة رجال واستولوا على مواشيهم، دون أن يذكروا له السبب في ذلك، وأخفوا ما كانوا يقومون به من التحرش بالنساء والاعتداء على المارة في قرية (بابقا).

لكن مصطفى باشا لم يتمكن من مهاجمة مدينة آزخ لقدرة شعبها على القتال وفنون الحرب، وكون رجالها معروف عنهم البسالة والشجاعة، وبالأخص لما علمت العشائر الكردية بهذه الحادثة، فرحوا فرحاً عظيماً، وأرسلوا الوفود إلى مدينة آزخ يعرضون دعمهم ومساندتهم لهم من الرجال والسلاح عند الضرورة. لأن أهل هذه العشائر ذاقوا الأمَرَّين من ظلم رجال مصطفى باشا بسبب النهب والسلب الذي تتعرض له قراهم.

فلم يمضِ على هذه الحادثة إلاّ أيام معدودة، حتى أرسل مصطفى باشا وفداً إلى مدينة آزخ، لكي يرسلوا وفداً منهم للتباحث والتفاهم معهم بخصوص موضوع الاعتداء على رجاله وأسباب قتل أربعة منهم. فاختاروا من بينهم كل من شمعون غزو الداهية بذكائه، وكورية أوسي كورية، وملكي كوركيس ملكي، وذهبوا إلى مقر مصطفى باشا الكائن على رأس جبل (كراشوك) الذي يشرف على الدشتة.

وصل الوفد وتقابل مع مصطفى باشا، وبينوا له سلوك رجاله وكيف تحرشوا بالنساء واعتدوا على رجال القرية، مما اضطرهم إلى إرسال البطل صلو كتي مع بعض الرجال لردعهم عن غيّهم، لكنهم تمادوا بتحرشهم بالنساء والاعتداء على الناس. وقد حاول صلو كتي أن يهديهم بالحسنى، لكنهم تمردوا ولم يقبلوا النصيحة، ولم يتركوا قرية (بابقا) والعودة إلى جبل (ايزلا) وأصرّوا على البقاء.

عندئذٍ، هاجمهم البطل صلو كتي مع رجاله البواسل مما اضطره إلى قتل أربعة رجال منهم، ولاذ البقية بالفرار، وجاءوا ليخبروك بأن أهل آزخ قد اعتدوا عليهم بدون سبب، وأخفوا عنك ما كانوا يقومون به في قرية (بابقا) وكيف تحرشوا بالنساء واعتدوا على الناس.

لكن مصطفى باشا بدلاً من أن يتفاهم مع الوفد، أمر رجاله بأن يلقوا برجال الوفد الثلاثة على الأرض ويمرغونهم بالوحل والطين أمام خيمته على مرأى من الحشد الموجود داخل الخيمة، رداً على ما أصاب رجاله من خزي وعار من جراء قتل أربعة منهم.

فرجع الوفد إلى مدينة آزخ، وأعلموا الجميع كيف عاملهم مصطفى باشا، ومرّغهم بالوحل أمام الناس الموجودين في الخيمة ليشمت بهم الناس، وليكونوا عبرة للمشاهدين في الخيمة.

فقطعت على أثرها العلاقات الودية بين أهل آزخ ومصطفى باشا، ومنعوا مواشي الكوشر من الرعي في جبل (ايزلا)، وظلت القطيعة لمدة سنتين ونيّف، إلى أن أرسل مصطفى باشا من جديد وفداً كبيراً مؤلف من

كبار الشخصيات الاجتماعية من أهل جزيرة بن عمر لتقديم الاعتذار لأهل آزخ عمّا بدر منه، لأنه كان بحالة غضب عندما قام بذلك العمل الجنوني.

فقبل أهل آزخ الاعتذار، ورجعت المياه إلى مجاريها الطبيعية، وتجددت الألفة والمحبة والصداقة من جديد، ودامت هذه الصداقة بين أهل آزخ ومصطفى باشا ومن بعده أولاده لغاية اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م.

➢ حادثة نايف مصطفى باشا مع عوينان ومثقال ➢

في عام ١٩٣٨-١٩٣٩م، كان نائف بن مصطفى باشا ذاهباً إلى البرية (الدشتة) لقضاء بعض الأعمال يرافقه بعض الرجال من الكوشر، وعند عودته من هذه المهمة، تصدّى له في الطريق كل من الشقيقان عوينان ومثقال ولديّ الشيخ هادي رئيس قبيلة شمّر.

وبعد المناوشة بالأسلحة قتلهما نايف بن مصطفى باشا، وعاد إلى جبل (كراشوك) مركز سكناه، لكن قبيلة شمّر لم تسكت على هدر دم عوينان ومثقال، فثارت قبيلة شمّر وأرادت الانتقام وأخذ الثأر من نايف مصطفى باشا، وضايقته كثيراً.

وبما أنه ليس لدى نايف باشا من القوة ما يكفي لحماية نفسه لصد هجمات رجال قبيلة شمّر، اضطر أن يستنجد بأهل آزخ لحمايته، فاستجابوا لنجدته على أن يرسلوا له يومياً عند المساء خمسين رجلاً مدججين بالسلاح لحمايته ليلاً.

كانت سيارة الفورد العائدة للسيد الياس عدّو، تأخذهم على دفعات وتوصلهم يومياً إلى جبل (كراشوك) الذي يبعد خمسة عشر كيلومتر عن مدينة (ديريك) المالكية.

وهكذا دواليك .. إلى أن تدخّل أهل آزخ بالصلح سنة ١٩٤٦-١٩٤٧، فقد أخذوا نائف مصطفى باشا معهم وذهبوا به إلى تل علو مركز الشيخ دهام الهادي شقيق المغدورين، وطلبوا منه الصفح عن نايف مصطفى باشا. وبما أن أهل آزخ وعشيرة شمّر أصدقاء، وبالأخص الشيخ دهام الهادي الذي هو أعز صديق لأهل آزخ، فلم يرفض طلبهم، فتصالح الشيخ دهام الهادي مع نايف مصطفى باشا رئيس عشيرة الكوشر، وعفى عنه من دم شقيقيه تقديراً لتدخّل أهل آزخ بالصلح.

وهكذا منذ القديم كانت تحل جميع المشاكل المستعصية التي كانت تحصل بين العشائر الكردية في المنطقة على يد أهل آزخ.

وهذه الحادثة التي جرت مع نايف مصطفى باشا يعلم بها الجميع في منطقة (ديريك) حالياً (المالكية).

ومن ثم أصبح آل الهادي وآل مصطفى باشا أصدقاء حميمين، وزالت جميع الضغائن من بينهما، وعندما كان يجري التنافس على الترشيح لمجلس الشعب كانت العائلتان تتنازلان لبعضهما البعض حتى الآن.

لمحة تاريخية

عن

مذابح السريان في منطقة ماردين وطورعبدين

لنعود إلى الوراء ونقدم نبذة عن المذابح التي جرت عام ١٩١٥م من قبل الحكومة العثمانية التي حرّضت العشائر الكردية والمحلمية التي كانت أداة تنفيذ لها، لإبادة الشعب السرياني الآشوري المسيحي دون استثناء، يروي لنا شاهد عيان (ع ـ ب) من مواليد ١٨٩٣م الذي لم يذكر اسمه الحقيقي إلا بحرفين (ع ـ ب) وقد دوّن مشاهداته بلغته الركيكة العامية التي لا يفهمها سوى القاطنين في ماردين وطور عبدين ومدينة آزخ، وقد أخفى اسمه الحقيقي، لعله من الخوف على حياته، لأنه شاهد بأم عينيه مع ابن عمه الكثير من الويلات والنكبات والتنكيل الوحشي، وهو لا يزال يتصورها بمخيلته جميعها.

لأنه كان بين أولئك الذين قتلوا وأبيدوا جميعهم في حوش الكنيسة في قرية تل أرمن، وأمام عينيه كيف رأى االدماء تسيل وتغمر حوش الكنيسة، وقد هرب بعض هؤلاء إلى داخل الكنيسة، فلحقهم السفاحون وقتلوهم جميعاً أمام المذبح المقدس، وأصبحوا شهداء أبرار.

لذلك من الواجب علينا أن ندوّن هذه الحوادث الأليمة المرعبة التي حدثت في عام ١٩١٥م ليطلع عليها الجميع، كما شاهدها (ع ـ ب) بأم عينيه، وكيف عاش شعبنا السرياني الآشوري في تلك الفترة من ويلات

ونكبات وتنكيل وابادة تقشعر لها الأبدان من قبل الأتراك العثمانيين وعملائهم الأكراد.

واذا راجعنا صفحات التاريخ نرى أن الأكراد في العهود القديمة المنصرمة قبل المسيحية والإسلام، كانوا دوماً أصدقاء أوفياء للشعب الآرامي الآشوري.

وكانوا يحاربون جنباً إلى جنب ضد الفرس والأعاجم، ولما كان الأكراد وثنيون يعبدون الأصنام، كانت لهم دولتهم (أورارطو) وغيرها من الدويلات، لقد تغيرت عقلية الأكراد بعد اعتناقهم الإسلام ديناً حيث يجهلون الأغلبية الساحقة منهم معانيه إلاّ ما يشرحه لهم الأئمة والملالي من الآيات.

نسوا قوميتهم وارطباتهم بأرضهم ولغتهم، وأصبحوا آلة صمّاء تحت رحمة المشايخ والملالي الذين كانوا يصدرون الفتاوي خلافاً لنصوص القرآن الكريم، لأن أغلبية الشعب الكردي كان يجهل القراءة والكتابة، ولم يفهموا نصوص القرآن الكريم، إلاّ ما يشرحه لهم الأئمّة، حيث حرّم قتل المسيحيين وحتى ايذائهم، كما جاء في سورة المائدة الآية ٨١ (١).

وبالرغم من هذه الآيات الكريمة، كان عملاء الأتراك من الملالي

١- سورة المائدة: الآية ٨١ - ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون، وغيرها من الآيات الكريمة، من آذى ذمياً فقد آذاني.

يغدرّون ببسطائهم ويحللون لهم ويبررون ويجيزون قتل المسيحيين.

وبهذه الأعمال الوحشية التي صدرت من بعض الأكراد، جلبوا على أنفسهم نقمة العالم المتمدن ومن بقي من المسيحيين في الشرق، وأعطوا براءة ذمة للحكومة العثمانية.

وبالرغم من هذه المأساة الأليمة التي عاشها الآرامي الآشوري من ويلات وهجر وإباحية من قبل الأتراك العثمانيين الظالمين.

كانت العرب تقدم المساعدات المادية والمعنوية للشعب السرياني الآشوري (١).

١- انظر زويمر مهد الإسلام ـ ١٢٥

مشاهدات (ع ـ ب) من مواليد ١٨٩٣

ندرج فصل خاص عن مشاهدات (ع ـ ب) حيث يقول: عندما حضر مدير الناحية ورأى الناس ملتصقة مع بعضها البعض من كثرة الازدحام في حوش الكنيسة، فوراً أعطى الأمر بقتل جميع الموجودين في الباحة، كباراً وصغاراً والنساء والأطفال في أحضان امهاتهم دون استثناء.

دخل الأتراك حوش الكنيسة، وأنهالوا عليهم بالخناجر والعصي والحجارة إلى أن ابادوهم ابادة تامة، هرب بعضهم ودخلوا الكنيسة واحتموا بجانب المذبح المقدس، فلحقهم الأوغاد وقتلوهم داخل الكنيسة وسالت دماءهم على الأرض أمام المذبح المقدس.

ولم يفلت منهم أحد سوى الذين تحت الجثث المتراكمة فوق بعضها البعض، بقي منهم عدة أشخاص وبعض الأطفال، جمعوهم وأرسل مدير الناحية بعض جنود الأتراك لمرافقتهم إلى رأس العين مركز قافلات الأرمن للابادة الجماعية.

يقول: كنت أنا وابن عمي مع القافلة إلى رأس العين، فأختبأنا بين الأبقار والحيوانات في الاسطبل، وقد سمحوا لنا بالخروج مع الغنم والأبقار كون لباسنا يشبه لباس الأكراد، وصلنا إلى ماردين عند المساء إلى باب المشكية، وقد شاهدنا أولاد محمد سعيد آغا بين الجمع الفقير.

فلما رأونا فرحوا فرحاً عظيماً، لأنهم كانوا من أصدقاءنا، وقد هنأونا بالسلامة، وقالوا لنا اتركوا البغال والحمير واتبعونا فوراً، وقالوا لنا

أثناء السير إننا لا نسلمكم للحكومة التركية مهما كلف الأمر، وقد أوصلونا إلى ماردين.

كان الشيخ سيدوش قبل المذبحة الهيبة قد وعد الأرمن في قرية تل أرمن ومعه الأكراد بأنه لا يقبل أن يعتدي عليهم أحد.

لكن بعد هذا الوعد حرّضت الحكومة العثمانية العشائر الكردية والمحلمية في منطقة ماردين وزودتهم بالسلاح وآمرتهم بقتل جميع الارمن وابادتهم إبادة تامة، في سنة ١٦٨٠م شيّد الأرمن هذه القريةفوق هضبة وسموها تل أرمن، فلما قضموا على سكانها وأبادوهم، ومن كثرة ما سال من الدماء في حوش الكنيسة، بعدئذ سميت (قزل تية) (١).

كانت الحكومة العثمانية تعطي الأمان لسكان القرى في منطقة ماردين وطور عبدين، كي لا يفكروا في الدفاع عن أنفسهم.

وبهذه الحيلة قضوا على سكان القرى وقتلوا المطارين والرهبان وسحلوهم ونكلوا بهم وحرقوا القرى على رؤوس ساكنيها، ولم يرحموا هؤلاء الظالمين النساء والأطفال والشيوخ الذين أوصى بهم القرآن الكريم (٢).

بعد كل هذه الأعمال الوحشية، قام الأتراك بتبليغ السريان

١- قزل تية: كلمة تركية (KIZIL TEPE) تعني: تل الأحمر القاني، سميّ قزل تية: من كثرت ما سال من الدماء في حوش الكنيسة.

٢- القرآن الكريم الذي أوصى إذ قال: لا تقتلوا شيخاً مسناً ولا طفلاً ولا إمرأو بل ساعدوهم.

الآشوريين، بأنه يوجد صك أمان من سلاطين بني عثمان ومن الامام عمر بن الخطاب ينص علة عدم التعرض للمسيحيين السريان الآشوريين، ويحترم تقاليدهم الكنسية، قائلين لستم كالأرمن تعصون أوامر الدولة العثمانية.

بعد كل هذه الوعود، قتلوا وفتكوا بالسريان الآشوريين وسحلوا المطارين والرهبان والقسوس، وكانت الابادة جماعية للشعب الآشوري السرياني.

الفصل الأول

لقد شملت المذابح جميع المسيحيين سنة ١٩١٥م اعتباراً من حدود روسيا شمالاً وحدود ايران شرقاً، وقررت الحكومة العثمانية ابادة جميع المسيحيين أينما وجدوا، ضمن الأراضي داخل الأمبراطورية العثمانية.

فبالرغم من وعود الحكومة العثمانية الكاذبة لتهدئة النفوس بحجة وجود صك أمان من الامام عمر بن الخطاب بعدم الاعتداء على المسيحيين.

وذلك لتخدير أعصابهم حتى لا يفكروا بأن هناك خطر على حياة المسيحيين، كي لا يستعدوا للدفاع عن أرواحهم.

وبالمقابل كانت الحكومة العثمانية تحرض العشائر الكردية بواسطة الملالي للقضاء على جميع المسيحيين، في هذا الوقت ألقي القبض على اثني عشر شخصاً من قرية قره باش، واتهموهم بالفرار من الجبهة الحربية مع اسلحتهم، على أثر هذه الوشاية الكاذبة حكموا عليهم بالإعدام.

وكذلك اعدم ستة أشخاص في ديار بكر، واثنان في ماردين، بحضور جمع غفير يقدر بألف شخص.

أما أسماء الذين اعدموا في ديار بكر هم: بوبو ونعمان خضرشاه، وصليبا إرميا كريينة، وحنا بيدوس حنوش، وفي سويرك المدعو اسيا وخضرشاه، أما كريم أوهان وعبد النور مينة صلبا على الخشبة حتى فاضت روحهما.

فقد تسربت هذه الأخبار الأليمة بحق الآشوري السرياني حتى وصلت إلى سيادة المطران الياس شاكر، فوراً اتصل مع المسؤلين الأتراك ومتصرف ديار بكر بما يجري بحق الشعب المسيحي من قتل وابادة جماعية، وذكرهم بوعودهم التي أعطوها بموجب وصية الامام عمر بن الخطاب.

لقد وعدوا هؤلاء المسؤولين الأتراك من جديد المطران الياس شاكر واعتذروا عما جرى من ظلم وتعدي وقتل، فمن الآن وصاعداً لن نسمح ان يلحق بشعبكم أي أذى بعد الآنن واننا سنحافظ على صك الامام عمر بن الخطاب بكل دقة واحترام.

بعد هذا الوعد الكاذب من قبل الأتراك، امتدت المذابح في منتصف شهر حزيران سنة ١٩١٥م إلى قرى ماردين وطورعبدين والمناطق الأخرى التي يقطنها السريان الآشوريين.

فالأتراك يحرضون الأكراد بواسطة الملالي على قتل وإبادة المسيحيين، وبالمقابل كانوا يرسلون الوفود إلى القرى المسيحية ويقولون: نحن وأنتم شعب واحد، وسنادفع عنكم، وكان سكان القرى يصدقون أقوالهم الكائبة، ولكي يطمئن سكان قرية (الكولية) التي يبلغ عدد سكانها مئة وخمسون عائلة، وتبعد عن ماردين خمسة كيلومتر. أرسلوا مئة وخمسين جندي برئاسة يوسف بدليسي من أهالي ماردين، عند وصوله إلى القرية أخبرهم بأنه جاء مع جنوده لحمايتهم، فرح أهل القرية فرحاً عظيماً، وصارت النساء تهلهل وتزلغط، والرجال تصرخ (النصر لدولتنا).

صار الشعب يذبح الخراف للجنود بالعشرات، وبعضهم يقدمون النقود لرئيس الجنود يوسف بدليسي، وبالأخص آل جبوري، يقدمون الخراف يومياً وينحرونها، إكراماً للجنود الذين جاءوا لحمايتهم، وأصبحوا بأمان وزال الخطر عنهم.

أما الأتراك المجرمين أرسلوا سراً أمراً إلى يوسف بدليسي لكي يحر ضالأكراد والمحلمية والأومريان بالهجوم على قرية الكولية لقتل جميع سكانها وإبادتهم كلياً، نفّذ يوسف بدليسي أوامر الأتراك، فاتصل مع العشائر الكردية والأومريان والمحلمية، واتفق معهم على يوم معين، بأن إشارة الهجوم على القرية هي إطلاق ثلاث رصاصات في الهواء إيذاناً بالهجوم، وأيضاً جنود يوسف بدليسي هم على أهبة الاستعداد للاشتراك بقتل وإبادة سكان قرية الكولية.

في آخر يوم من شهر حزيران سنة ١٩١٥ عند الفجر أطلق الجنود ثلاث رصاصات في الهواء إيذاناً بالهجوم، حسب الاتفاق فيما بين العشائر الكردية ويوسف بدليسي.

عند سماع إطلاق الرصاص فوراً بدأ الهجوم على القرية من جميع النواصي ودخلوها على غرة، وبدأوا بقتل كل من لاقوه خارجاً من داره، وصاروا يقتحمون البيوت عنوة ويقتلون مَن فيها ويسلبون الأموال وما ملكت أيديهم، والنساء تبكي وتنوح وتولول على رجالها وأطفالها الذين قتلتهم الوحوش الكاسرة، ولم يفلت من أيديهم أحد.

استيقظ المجرم يوسف بدليسي من النوم، وأمر الجنود بالاشتراك في هذه المذبحة الرهيبة للقضاء على مَن بقي حياً في القرية.

ثم جمعوا النســاء والأطفـال فـي حـوش آل جبـوري، حيث يسـكن المجرم يوسف بدليسي، وأول من قتل أولاد جبوري الأربعة، وأكملوا على الباقين حتى أبادوهم، وحرقوا البيوت ودمروها تدميراً كاملاً.

ـ نزوح سكان قرية قلعة مرا ـ

قلعة مرا (١) تبعد عن ماردين خمسة كيلومتر من جهة الشرق، تق على رأس تل عالٍ، كانت القلعة في قديم الزمان الخط الأمامي للدفاع عـن ماردين، كان عدد سكانها حوالـي ثلاثمائـة وخمسـون عائلـة مـن السـريان الأرثوذكس وبعض العائلات من السريان الكاثوليك.

عندما وصل خبر قتـل وإبـادة سـكان قريـة الكوليـة إليهـم، قـرروا بالإجماع أن يتركوا قلعة مرا وينزحوا عنها للذهـاب إلـى ديـر الزعفـران القريب، وأثناء سيرهم نحو دير الزعفران، كان قد كمـن لهـم الأكـراد فـي الطريق، وعند وصولهم بالقرب من الكمين، تصدّى لهم الأكراد والمحلمية وأطلقوا عليهم وابلاً من رصـاص بنـادقهم دون تمييز، فقتـل مـن الرجـال والنساء عدداً غير قليل.

أما البقية واصلوا سيرهم نحو دير الزعفران، فوصلوا الدير بشـق النفس، في هذا الوقت كان ثلاثون رجلاً من قلعة مرا في ماردين قد ذهبوا

١- قلعة مرا: كلمة آرامية (ܡܪܐ – ܡܪܐ) تعني: الأمير، أي قلعة الأمير.

لقضاء بعض الحاجيات وهم لا يعلمون عن نزوح سكان قلعة مرا إلى دير الزعفران، فعادوا إلى قريتهم، وصادفهم الأكراد والمحلمية في الطريق فتصدوا لهم وقتلوا جميعهم ولم يفلت منهم أحد.

ـ قرية المنصورية ـ

قرية المنصورة تقع على مقربة من ماردين نحو كيلو مترين من جهة الشمال، يربو عدد سكانها على مائتين وخمسون عائلة من السريان الأرثوذكس والكاثوليك، جميعهم يملكون الأراضي والبساتين والكروم، ويصنعون الخام المبروم، وينسجون الأصواف بأنواعها.

ظلوا مطمئنين حسب وعود الأتراك وزعماء ماردين لهم، هاجمتهم على غرة العشائر الكردية والمحلمية والجنود الأتراك للقضاء عليهم وإبادتهم، قليلين منهم نجوا من القتل، فالتجأوا إلى ماردين، لأن المسيحيين القاطنين في ماردين لم يعتدى عليهم من قبل الحكومة العثمانية والعشائر الكردية، خوفاً من تسرب الأخبار إلى خارج ماردين، وذلك لوجود اتصالات جارية مع المدن الأخرى، حتى لا ينفضح الأمر.

وهكذا قضي على قرية المنصورية الآمنة وشرّدوا سكانها ولم ينجُ منهم إلا القليل.

- قرية بنيبيل -

تقع قرية بنيبيل شرقي مدينة ماردين نحو أربعة كيلومتر، فلما سمعوا عن الحوادث والمآسي المحزنة التي حلّت بالقرى المجاورة مثل الكولية وقلعة مرا والمنصورية، وكيف خدعتهم الحكومة العثمانية بوعودها الكاذبة التي أعطتها لهم ومن ثم قضت عليهم وأبادتهم.

لذلك قرروا بكل عزم وتصميم بأن يدافعوا عن أنفسهم ويناضلوا حتى الموت عن أرواحهم وأرواح عائلاتهم وممتلكاتهم، وانهم معروفون بالرجولة والمقدرة للدفاع عن أنفسهم، وكافة الشعائر الكردية والمحلمية تحسب لهم ألف حساب.

أما زعماء ماردين وضعوا خطة ملعونة مع الأكراد والأومريان والمحلمية لأخذ القرية على غرة، فأرسلوا الوفود إليهم بأن لا خوف عليهم، حتى يطمئنوا، أما أهل بنيبيل كان لهم اتصال مع حليفهم سليمان غزالة رئيس عشيرة الأومريان، وكان صديقاً وفياً ومخلصاً لهم، لأنه أخبرهم بأن الحكومة العثمانية وزعماء ماردين يحرضون أحمد سليمان الجزري ابن عمه، لأن رجاله كثيرون وعنده من العتاد الحربي الوفير، لذلك اعتمدوا على هذا المجرم الخطير وحرفته بالقيام بهجوم مباغت للفتك بأهل بنيبيل وإبادتهم من الوجود.

بالرغم من قوة سليمان الجزري، فقد أرسلت الحكومة العثمانية له بواسطة زعماء ماردين أسلحة كثيرة لإغرائه على قتل وإبادة أهل بنيبيل.

فلما علموا من صديقهم سليمان غزالة ذلك، استعدوا استعداداً كاملاً للدفاع عن أنفسهم وعن أرواح عائلاتهم، وهم علة هذه الحالة من الارتباك، وصل حليفهم سليمان غزالة ومعه خمسمائة رجل مسلح من الأكراد. واجتمع معهم على الفور وقال لهم: ان الحكومة العثمانية وزعماء ماردين اسندوا مهمة قتلكم وإبادتكم إلى ابن عمي سليمان الجزري، وزودوه بالأسلحة اللازمة لذلك، ثم أضاف قائلاً: أما أنا سأكون إلى جانبكم مع رجالي، وسأقف معكم قلباً وقالباً ضد كل مَن تُسوّل له نفسه الاعتداء عليكم، لكن أرسلوا مواشيكم مع الرعاة إلى خارج القرية لتكون بحماية رجالي، وقد تم الاتفاق على ذلك.

- ابتداء الهجوم على بنيبيل -

في الصباح الباكر بدأ الهجوم على قرية بنيبيل (١) برئاسة سليمان الجزري، وأمر رجاله والعشائر الكردية التي جاءت لمساعدته لاحتلال قيرة بنيبيل، وصارت تتقدم جحافل المهاجمين ويطلقون النار عشوائياً عليى القرية، بغية إرهاب سكانها للاستيلاء عليها.

أما أهل بنيبيل كانوا قد تحصنوا وراء متاريسهم بشكل جيد، وأعطوا الأمر لرجالهم بأن لا يطلقوا الرصاص هدراً، ريثما يقترب

١- بنيبيل: كلمة آرامية (ܒܢܝ ܒܝܬ ܐܠܗܐ) تعني: باني باب الأله أو بنى باب بيت الإله.

المهاجمون إلى مسافة من متاريسهم، ومن ثم يطلقون الرصاص عليهم كي لا ينجوا أحد منهم.

ولما اقترب المهاجمون ابتدأوا بإطلاق الرصاص عليهم، فأوقعوا منهم الكثير من القتلى والجرحى، وردوهم على أعقابهم إلى الوراء تاركين أشلاء قتلاهم وجرحاهم مبعثرة حول القرية بالمئات.

صارت النساء تهلهل وتزلغط وتحث الرجال على المقاومة والصمود بوجه المهاجمين، ثم ذهبن النساء وجلبن الأسلحة من فوق جثث القتلى المبعثرة هنا وهناك وأعطتها إلى الرجال في الاستحكامات.

صار الكر والغر والضحايا من رجال سليمان الجزري تزداد وهكذا دامت المعارك ثلاثة أشهر من قبل العشائر الكردية والمحلمية والأومريان تحت قيادة سليمان الجزري وفي كل هجوم كان يسقط منهم بالمئات، وفشلت جميع المحاولات لاقتحام القرية، وذلك لشجاعة رجالها ودفاعهم المستميت، ولم يتجاوز عدد المدافعين عن القرية أكثر من مئتين وخمسين رجلاً، وقد انتصروا على هذه الجحافل من العشائر الكردية ورجال سليمان الجزري.

وصل الخبر إلى الحكومة العثمانية وزعماء ماردين بفشل العشائر الكردية بزعامة سليمان الجزري وعدم تمكنهم من الاستيلاء على القرية، اغتاظوا كثيراً وأزعجهم الخبر، رغم جميع هذه الهجمات المتكررة، استشهد خمسة وعشرون مقاتلاً فقط، بينما قتلى المهاجمين بلغت الآلاف، والجرحى لا يحصى عددهم.

على أثر الفشل الذريع الذي أصاب رجال سليمان الجزري أرسل متصرف ماردين منه جندي برئاسة الملازم فرحان إلى قرية بنيبيل بحجة المحافظة عليهم، عند وصول الجنود إلى القرية، وجدوا انها خالية من السكان، ولم يجدوا أحداً فيها، لأن جميع العائلات ذهبت للبساتين مع الرجال، وقد تمركز الملازم فرحان مع جنوده في القرية بحجة المحافظة عليها، لكن أهل بنيبيل لم تنطلِ عليهم هذه الحيلة، ليغدروا بهم كما غدروا بسكان القرى المجاورة.

وفي الصباح رافق بعض الرجال العائلات وأخذوهم إلى دير الزعفران، ومن ثم انضم إليهم بقية المقاتلين وذهبوا إلى دير الزعفران ووجدوا بعض الجنود في الدير للمحافظة عليه.

لما رأى الجنود أهل بنيبيل مدججين بالسلاح، منعوهم من دخول الدير وأغلقوا الباب في وجوههم، عندئذٍ تسلق أربعة رجال منهم وهم: يمّونى بوبو، وشمعي بن شمعي، وبوبو وعبدي مورو، فلما صاروا فوق سطح الدير، أنذروا رئيس الجنود ليفتح الباب لرفاقهم، وهددوه بالقتل إن لم يفتح الباب لهم.

فلما رأى رئيس الجنود عنادهم أمر الجنود بفتح باب الدير لهم، فدخل الرجال وطلعوا فوق السطح، وفوراً عملوا الاستحكامات اللازمة استعداداً للدفاع عن أنفسهم، وعن بقية العائلات الموجودة في الدير، بعد أن أكملوا تحصيناتهم، قالوا لرئيس الجنود بأن يترك الدير فوراً، ويذهب مع جنوده إلى ماردين ليعلم رؤساءه ومتصرف ماردين بالأمر، وبأننا نحن الذين سنحمي الدين وليس أنتم !!.

ترك رئيس الجنود الدير وأخذ جنوده متوجهاً إلى ماردين وأخبر المسؤولين بما جرى له من قبل أهل بنيبيل، وقد أثار حنق متصرف ماردين هذا الخبر، فأوعز من جديد إلى العشائر الكردية والمحلمية والأومريان، وأمرهم بالهجوم على دير الزعفران لقتل من فيه من رجال ونساء وإبادتهم إبادة تامة.

جائت العشائر الكردية بناءً على أمر متصرف ماردين، وتمركزت في الجبال الغربية من الدير في الجهة الشمالية، أما المدافعون عن الدير كانوا يتوقعون بأي لحظة هجوم العشائر الكردية عليهم، لذلك استعدوا لهم استعداداً كاملاً، وأصبح لديهم من السلاح الجديد الذي جلبته النساء من فوق جثث القتلى المتراكمة حول قرية بنيبيل، وهذه الأسلحة كافية لإنزال الضربات القاضية بالعدو المهاجم.

وفجأة شنّت العشائر الكردية والمرتزقة الهجوم على الدير، وبدأوا يطلقون الرصاص بغزارة على الدير ومَن فيه، فتصدى لهم المدافعون من استحكاماتهم وألحقوا بالمهاجمين عدداً كبيراً من القتلى والجرحى يفوق بكثير مما قتل أمام قرية بنيبيل، وقد فشلوا هذه المرة أيضاً واندحروا أمام ضربات المدافعين عن الدير.

لقد أخذ العجب متصرف ماردين بما حصل هذه المرة، فقد أصبح القتلى بالآلاف، بينما لم يقتل ولا واحد من المدافعين عن الدير.

أما زعماء ماردين المجرمون، أمثال: خضر جلبي كومرلي وحاج فارس وحاج كرمو أولاد عبد القادر كوزي وأيوب الملّي وعبد القادر الانصاري، الذين كانوا يحرضون الأكراد ويسببون المشاكل والفتن،

وكانوا يهددون كل كردي يحمي أحد من المسيحيين أو يبقيه في بيته فيكون مصيره القتل مع أولاده.

وعلى هذه الأوامر بالقتل لكل من يحوي مسيحي أو يستر عليه، زادت ضحايا السريان المسيحيين ولم يفلت من القتل أحداً، فلولا هذه الأوامر الصارمة، لما أقدم الأكراد على قتل السريان المسيحيين بهذا الشكل من الوحشية.

≺ خيانة خليل غزالة ≻

كان خليل غزالة قد وعد أهل بنيبيل بأن يحافظ على مواشيهم حتى أودعوها بحماية رجاله، فلما علم هذا الخائن بأن أهل بنيبيل تغلبوا على العشائر الكردية والأومريان والمحلمية برئاسة ابن عمه الجزري، وقتلوا منهم بالمئات، ثارت ثائرته، وقرر أن يضع خطة جهنمية للإيقاع بهم وقتلهم، باعتبار أنه حليفهم وصديقهم، ولم يفكروا بأنه سيقدم على هذه الخيانة.

أرسل عدد من رجاله إلى دير الزعفران ليخبر شمعون توما لكي يأتي مع عدد من الرجال إلى بستان القرية ليتداول معه الحديث في بعض الأمور الهامة، وصل رسول خليل غزالة إلى دير الزعفران وقابل شمعون توما وأخبره رغبة خليل غزالة، فوراً أخذ شمعون عشرين رجلاً وتوجه إلى البستان الذي ينتظره فيه خليل غزالة، فوجد خليل غزالة ينتظره، فرحّب بشمعون ورفاقه أشد ترحيب وعانقهم واحداً واحداً، وجلس شمعون

بجانبه، وقال: يا زعيم شمعون أنا أهنئكم على ما قمتم به من بطولة ورجولة تجاه أعدائكم، وإنني أعتز بكم، كيف أنقذتم عائلاتكم وأمّنتوهم في دير الزعفران، وصار يلاطف شمعون لتنفيذ خطته الملعونة التي وضعها لقتل شمعون ورفاقه.

قال خليل غزالة واضعاً يده على كتف شمعون، أرسل رجالك إلى البستان ليجمعوا لنا قليلاً من الفواكه لنأكل منها،ريثما ننتهي من حديثنا، فأمر شمعون رجاله بذلك فتركوا أسلحتهم لدى شمعون كي يتمكنوا من التسلق على الأشجار المثمرة.

خلا الجو لخليل غزالة، وعلى غرة سحب خنجره من غمده وطعن به شمعون توما من الوراء فأرداه قتيلاً، وصاح برجاله قائلاً: اقتلوهم جميعاً ولا تدعوا أحداً منهم يفلت من بين أيديكم.

فذهبوا وقتلوا جميع الرجال وهم فوق الأشجار يجمعون الثمار كما أمرهم خليل غزالة، فتمكن ثلاثة منهم من الفرار إلى دير الزعفران، وأخبروا رفاقهم بالحادث الأليم، وكيف قتل خليل غزالة شمعون توما ومن معه جميعهم.

ومن ثم ذهب الخائن خليل غزالة وقتل الرعاة الذين كانوا يحرسون المواشي، واستولى على الأبقار والأغنام. ولم يكتفِ بذلك، بل ذهب إلى قرية (بكيوي) (١) المؤلفة من خمسة وعشرين عائلة هاجمهم

١- بكيوي: كلمة آرامية (ܟܪܡܐ) تعني: كرم ـ بستان، أي: القرية التي تكثر فيها الكروم.

على غرة وقتل سكانها واستولى على ممتلكاتهم، فلم يقدم على هذا العمل حتى عباد الأصنام ووحوش البرية.

وهكذا انقلب خليل غزالة من صديق وحليف إلى مجرم بفتك بالناس ويقتل الأبرياء داخل بيوتهم غدراً.

هذا ما جرى للشعب السرياني في قرى ماردين من قبل العشائر الكردية والأومريان والمحلمية حتى التجأ بعض العائلات إلى دير الزعفران، وصارت الحكومة العثمانية تحرض الأكراد لاقتحام الدير الذي هو بيت الله، لقتل كل من يحتمي فيه.

استمرت المناوشات اعتباراً من شهر حزيران ولغاية تشرين الأول عام ١٩١٥، ولم يتمكنوا من احتلال دير الزعفران، مما أفقد صواب متصرف ماردين وزعمائها، وكيف لم تتمكن العشائر الكردية والمحلمية من القضاء على الدافعين عن الدير، بعد كل هذه الحوادث الأليمة والقتل الجماعي التي ارتكبها الأتراك وعملائهم بحق الشعب السرياني الآشوري المسيحي في منطقة ماردين، وصل الخبر إلى اللواء أنور باشا بواسطة بطاركة المسيحيين، وشرحوا له عن المظالم والمآسي والقتل الجماعي بحق الشعب المسيحي من قبل العشائر الكردية في منطقة ماردين.

فاستجاب اللواء أنور باشا إلى رجاء البطاركة، وأصدر أمراً صارماً بعدم التعرض للمسيحيين أينما وجدوا، وأصدر امراً ثانياً إلى متصرف مارجين أن كل من يعتدي على المسيحيين من الآن فصاعداً يدان ويحكم عليه بالإعدام.

يلغ متصرف ماردين هذا الأمر الصارم إلى كافة العشائر الكردية والمحلمية والأومريان، ومنع التعدي على المسيحيين، وعلى المسيحيين العودة إلى قراهم لإعمارها ، فللأسف الشديد، لم يعد إلى هذه القرى سوى عشرون بالمئة، وثمانون بالمئة قتلهم الأكراد والمحلمية والأومريان، والذين رجعوا إلى قراهم لم يبق لديهم شيئاً من المتاع حتى الفراش الذي ينامون عليه .

- ظهور البعثات التبشيرية البروتستانتية -

في الوقت الذي كان الشعب السرياني الآشوري يئن من آلام القتل والتشريد والضياع ، ظهرت البعثات التبشيرية البروتستانتية برئاسة مسز فرانكا الأمريكية ، وصارت تتصيد بالماء العكر ، وتوزع المال على منكودي الحظ من السريان الآشوريين، وتقدم الأغذية والمأكولات ومبالغ من الدراهم وتدعوهم إلى اعتناق المذهب البروتستانتي ، كثيرون من هؤلاء المشردين اعتنقوا المذهب البروتستانتي من الجوع الذي لا يرحم .

فسكنت مسز فلانكا بماردين، وعمّرت داراً فخمة لسكناها فاختارت بعض ضعاف الإيمان ليكونوا المقربين منها وليقوموا بالاتصال مع ضعاف النفوس من أمثالهم في مدينة آرخ .

وقد استغلوا الوضع المعيشي للناس حيث كان الفقر والفاقة مستفحلين بين الشعب الآشوري السرياني في المنطقة من ظلم الأتراك ، حيث كان الإغراء بالماء والمساعدات التموينية، الوسيلة الوحيدة لإقناع ضعاف النفوس

لقبول المذهب البروتستانتي ، وبهذه الإغراءات المالية بـالليرات الذهبيـة، اعتنقت بعض العائلات من ماردين وقلعة مرا ومديات المذهب البروتستانتي.

أما مدينة آزخ فنبذت البروتستانتية كما نبـذت مـن قبلهـا المـذهب النسطوري، ولم تؤثر في شعب آزخ جميع الإغراءات المادية ، ولا الـذهب الرنان الذي كان يقذف به على الناس، ولم يتمكن من إقناع تلـك الأرامـل التعيسات اللواتي كن بحاجة ماسة إلى من يقدم لهن العون والمساعدة .

وظلت مدينة آزخ صامدة تحارب الهرطقات المذهبيـة وظلـت علـى العقيدة الأرثوذكسية .

- مذابح مدينة مديات -

كانت أحداث عام ١٩١٥ تتوارد أخبارها عن مذابح السريان المسيحيين في قرى البشيرية وكفرزة ومزيزح وعلموا بأنه صدر فرمان من السلطان العثماني للقضاء على جميع المسيحيين، رأوا ضرورة الدفاع عن النفس والاستعداد قبل أن يباغتوهم ويقضوا عليهم.

وجدوا في مديات الملجأ الأمين، باعتبارها بلدة كبيرة للاحتماء فيها، وأيضاً فيها عائلات غنية ذوي أموال كثيرة ومواد تموينية لا تنضب، ذهب عدد من وجهاء كل قرية شخصاً واحداً إلى مديات، واجتمعوا في دار حنا سفر، حضر كل من كلي هرمز وموسى الشماس من البروتستانت، وعيسى زكي من السريان الأرثوذكس.

طلب وفد القرى منهم بأن يوفقوا لهم بجلب عائلاتهم إلى مديات للدفاع عنها، باعتبارهم أغنياء وقادرين على شراء الأسلح والذخائر اللازمة، وتأمين المواد التموينية للعائلات.

رفض كلّي هرمز وموسى الشماس، وكان جوابهم صارماً على الوفد وقاسياً، وقالا: إننا لا نخرج عن طاعة الحكومة العثمانية، وما تقرره نحن ننفذه.

فأجابهم الوفد: هل تعلمون بأن الحكومة العثمانية قد أوعزت للعشائر الكردية بقتل جميع المسيحيين، وسيأخذونكم بالحيلة والغدر للقضاء عليكم، ردّا على الوفد وقالا: أنتم أناس جياع وفقراء، ونحن لا نستطيع إشباع الجياع أمثالكم.

نهر السقلان عند ما يجف

هيكل الكنيسة

مدينة آزخ الحديثة

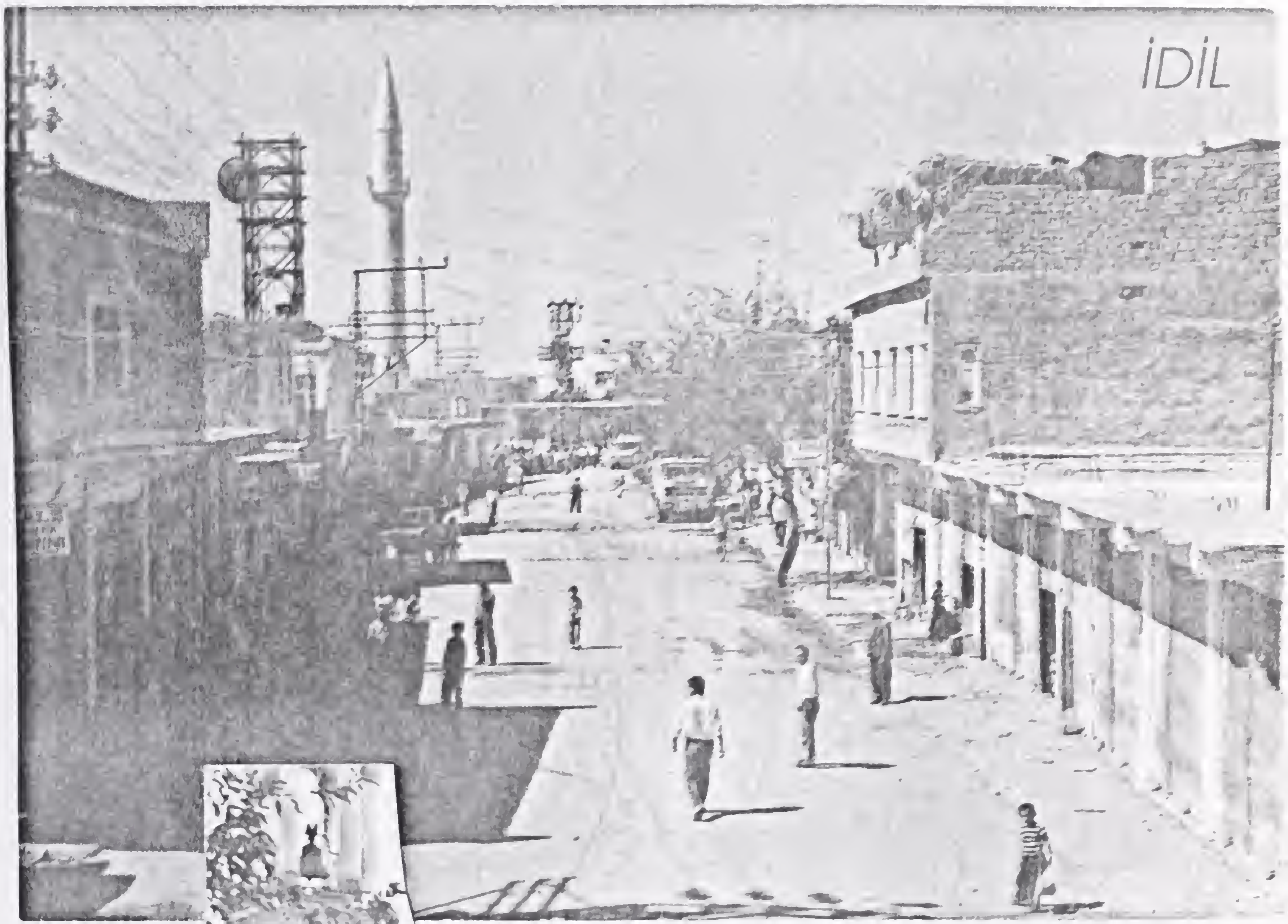

مدخل كنيسة العذراء

بقايا البيوت الأرضية لقصر الكيويل

أي سفينة نوح

منظر لآزخ من صوب السقلان

شباك الكنيسة الذي كان يخرج منه صوت شرقه

القبة الحديثة لكنيسة العذراء

- مذابح مدينة مديات -

كانت أحداث عام ١٩١٥ تتوارد أخبارها عن مذابح السريان المسيحيين في قرى البشيرية وكفرزة ومزيزخ وعلموا بأنه صدر فرمان من السلطان العثماني للقضاء على جميع المسيحيين، رأوا ضرورة الدفاع عن النفس والاستعداد قبل أن يباغتوهم ويقضوا عليهم.

وجدوا في مديات الملجأ الأمين، باعتبارها بلدة كبيرة للاحتماء فيها، وأيضاً فيها عائلات غنية ذوي أموال كثيرة ومواد تموينية لا تنضب، ذهب عدد من وجهاء كل قرية شخصاً واحداً إلى مديات، واجتمعوا في دار حنا سفر، حضر كل من كلي هرمز وموسى الشماس من البروتستانت، وعيسى زكي من السريان الأرثوذكس.

طلب وفد القرى منهم بأن يوفقوا لهم بجلب عائلاتهم إلى مديات للدفاع عنها، باعتبارهم أغنياء وقادرين على شراء الأسلح والذخائر اللازمة، وتأمين المواد التموينية للعائلات.

رفض كلّي هرمز وموسى الشماس، وكان جوابهم صارماً على الوفد وقاسياً، وقالا: إننا لا نخرج عن طاعة الحكومة العثمانية، وما تقرره نحن ننفذه.

فأجابهم الوفد: هل تعلمون بأن الحكومة العثمانية قد أوعزت للعشائر الكردية بقتل جميع المسيحيين، وسيأخذونكم بالحيلة والغدر للقضاء عليكم، ردّا على الوفد وقالا: أنتم أناس جياع وفقراء، ونحن لا نستطيع إشباع الجياع أمثالكم.

انزعج الوفد وعادوا جميعهم إلى قرية عين ورد، واتفقوا في ما بينهم وقرروا الدفاع عن أنفسهم وعدم الاستسلام همها كانت التضحيات.

وبعد يومين أرسلت الحكومة العثمانية مئة جندي ومعهم بعض الأكرادوكان يوم الأحد، حاصروا كنيسة البروتستانت وألقوا القبض على جميع من كان فيها وعددهم اثنان وسبعون شخصاً، من آل هرمز والشماس.

ربطوا أيديهم بالحبال وأوثقوهم جيداً، ووضعوهم ثلاثة أيام في كنيسة مرت شموني للسريان الأرثوذكس، وطلبوا منهم أن يحضروا ما لديهم من مال ومجوهرات لكي يقدموها للمسئولين لكي يطلقوا سراحهم، فأمام حلاوة الروح ترخص كل كنوز الدنيا.

أخذوا معهم كل ما يملكون من ذهب ومجوهرات، وساقوهم كالخراف إلى المسلخ، إلى أن وصلوا مكان اسمه (كفر حرام) أوقفوهم وجردوهم من ثيابهم وأخذوا ما كانوا يملكون من الذهب والمجوهرات والفضة وذبحوهم كالخراف.

كان بين هؤلاء الجنود جندي يدعى اسحق حناكي من آل كومو من آزخ، فلما رأى هذا المشهد الرهيب، كيف يذبحون هؤلاء المسيحيين كالخراف بدون ذنب اقترفوه، فلم يتمالك نفسه، فما كان منه إلاّ أن صوّب بندقيته نحو الشاويش وضغط على الزناد فأرداه قتيلاً، وأكمل على الجنود الباقين فقتل منهم أربعة جنود لكن قبل أن يحشو بندقيته من جديد ليكمل على الباقين لكن الجنود بادروه بإطلاق الرصاص عليه فأردوه قتيلاً

واستشهد، بعد ذلك أخذ الجنود جثته وقطوعها بالخناجر والسكاكين قطعاً ونثروها فوق جثث آل الشماس وهرمز.

فلما وصل خبر المذبحة إلى مديات، فوراً هاجموا دار قائد المنطقة المدعو شريف أفندي، فقتلوه مع رجاله واحتلوا مقرّه، ونهبوا ممتلكاته، انتقاماً لما جرى لاخوانهم، دام القتال وتوسع بين الطرفين مدة خمسة عشر يوماً، انتصر فيها آها مديات، وقتل في هذه المعارك كثيرون من النساء والأطفال في الشوراع.

وقد امتلئت الشوارع والأزقة من جثث الأعداء وأهل مديات، والفضل يعود إلى أهل عين وردة والقرى المجاورة بهذا النصر.

في شهر حزيران ١٩١٥ جائت حشود من العشائر الكردية من الصالحية ودومانية ودالية والأومريان ودولمحكية ومن البشيرية وقرروا الهجوم على قرية عين ورد.

التجأ سكان قرى عدناس وكفرزة ومزيزح وغيرها من القرى إلى عين ورد، وإبتدأوا بعمل التحصينات وحفر الخنادق حول قرية عين ورد، تحسباً من الهجوم عليهم، فقد تولى قيادة الجبهة الأمامية مسعود شمعون وصار يحث المدافعين ويثير الحماس في نفوسهم على الصمود أمام هجمات رجال العشائر الكردية وجنود الأتراك الذين تجمعوا حول قرية عين ورد.

في هذا الوقت رجع خمسون رجلاً بقيادة كلو شابو الذين كانوا قد اشتركوا بالقتال بعد قتل شريف أفندي إنتقاماً لآل شماس وهرمز، وهرب

بعض العائلات من مديات إلى عين ورد، صادفتهم بعض العصابات في الطريق وقتلت منهم الكثير وتمكن بعضهم من الوصول إلى عين ورد.

فقد تجمّع أهل القرى والتجأوا إلى عين ورد مع عائلاتهم وكذلك بعض اليزيديين سكنوا معهم للدفاع المشترك ضد هجمات الأتراك والعشائر الكردية.

وصل خبر احتجاز ثلاثة وسبعون رجلاً من سكان قرية كفرزة قبل أن يبدأ الهجوم على عين ورد، أرسل المختار جرجو ثمانين رجلاً إلى قرية كفستكة وهجموا عليها ليلاً وقتلوا ابن الشيخ يوسف وأسروا ثمانية عشر شخصاً وجلبوهم مع مواشيهم إلى قرية عين ورد واحتجزوهم ريثما يطلق سراح الثلاثة والسبعون رجلاً من قرية كفرزة.

وقد أخبروا حسن اسماعيل بأن يترك المحتجزين الذين عنده حتى يطلقوا سراح الثمانية عشر رجلاً المحتجزين لديهم، وقد تم الاتفاق بين الطرفين وأطلقوا سراح المحتجزين.

ـ دفاع قرية عين ورد ـ

اجتمع الأكراد أمام دار الحكومة وأثاروا حقد آمر منطقة مديات قائلين بأن أهل عين ورد أرسلوا رجالهم وقتلوا رجالنا ونهبوا مواشينا.

فوراً آمر بتوزيع الأسلحة على رجال العشائر الكردية من الدومانية والآلكية والدولمحكية والأومريان والمحلمية، وهجموا على غرة

بالآلاف على قرية عين ورد يطلقون الرصاص عشوائياً على البيوت، كان رد المدافعين على إطلاق الرصاص أعنف وأغزر من رصاص المهاجمين، حتى أربكهم وأجبرهم على التراجع نحو الجبال تاركين جثث قتلاهم متراكمة فوق بعضها البعض تملأ أراضي بيادر القرية من جهاتها الأربع.

دام هجوم العشائر الكردية بين الكر والفر، وقد استطاع المهاجمون السيطرة على (حصن التين) وسقط بيد الأكراد، وكان في (حصن التين) مائتا رجل من قرى عدناس وباتي وكفرزة وعين ورد، تمكنوا من الفرار قبل أن يسقط (حصن التين) بيد الأكراد.

وكان في قرية عين ورد كثيرين من الطائفة اليزيدية من عشائر طافية(١) - وكوشانية(٢) جاؤا ليقاتلوا جنباً إلى جنب مع السريان في قرية عين ورد.

وبما أن (حصن التين) له مكان استراتيجي وتأثير قوي على عين ورد، تقدم البطل ملكي حنا وقال: أنا سأحرر (حصن التين) وكان قد تمركز فيه مائتان من رجال الأكراد.

١- طافية: كلمة آرامية: (ܛܦܳܐ . ܛܦܐ . ܛܦܝܳܐ) تعني: أغلق - أوصد - رد الباب - طبق - أغمض - استتر - اختبأ، أي اليزيديين الذين احتموا في جبل طورعبدين.

٢- كوشانية: كلمة آرامية: (ܟܳܫ ܟܫܳܐ) تعني: طرد - كشّ - زجر - طير: أي اليزيديين المطرودين.

أخذ ملكي حنا مائتين رجل من اليزيديين ومن رجال عين ورد وذهب ليلاً وتقدم بصمت وحذر مع رفاقه حتى وصل بالقرب من حصن التين، وفجأة أمطروا الموجودين (بالحصن) وابلاً من الرصاص، فدب الذعر فيهم من هول المفاجأة، فتدافعوا للخروج من الباب الوحيد في الحصن، يدوسون فوق جثث بعضهم البعض وتركوا (حصن التين) نهائياً.

وفي الصباح استفاق الناس وعلموا أن ملكي حنا ورفاقه قد حرروا (حصن التين) وهرب الأكراد منه باتجاه قرية كفرزة تاركين جثث قتلاهم أمام باب الحصن مكدسة فوق بعضها.

ثاني يوم جاءت فصلة والدة عليكي بطّي ومعها محمد عمر وحسين نعمت، تطلب من أهل عين ورد تسليم أسلحتهم إلى الحكومة العثمانية، وهي تصيح وتولول وتقول: ويلي ويلي سيذبحون هؤلاء الأولاد والبنات وتشير بيدها إليهم، قائلة: لقد بقي لكم فرصة هذه الليلة فقط، إن لم تسلموا أسلحتكم.

فجأة دخل ملكي حنا وضرب أخمص بندقيته في الأرض وقال: أبشروا لقد حررنا (حصن التين) من الأعداء، اذهبوا وتأكدوا من ذلك، فما كان من فصلة والدة عليكي بطّي إلا أن تترك المكان عندما سمعت كلام ملكي حنا وعادت مع مرافقيها إلى مديات.

طال الحصار على عين ورد، وجاء المدعو عز الدين تمّو كوري وهو صديق مخلص لأهل عين ورد، فنادى عيسى عنتر قائلاً: تعال إلى عندي لأخبرك بأشياء مهمة جداً.

ذهب عيسى وأخذ معه حبصونو شقيق كلو شابو، وذهبا لملاقاة عز الدين تمّو كوري وبرفقته شخصين من أتباعه، قال عز الدين: تعلمون نحن أصدقاء والصديق في يوم الضيق، لذلك جئت لأعلمكم لتستعدوا، لأن العشائر الكردية قد تجمعت استعداداً للهجوم على قرية عين ورد في الليلة القادمة، وإذا تخاذلتم ستسقط عين ورد بيدهم.

رجع عيسى عنتر وأخبر مسعود شمعون عمّا دار بينهم من حديث، بأن العشائر الكردية عازمة على الهجوم بأعداد كبيرة على عين ورد.

فوراً أمر مسعود شمعون بتوزيع المقاتلين على الأحياء والمراكز في عين ورد، واختار رجال للقيادة، سليمان حنا من آل قس آحو، ويوحانون هازاري تمركزوا في بناية كريفو، ويوسف حنا وكلي داود في بيت وسوفو، وملكي حنا ومعه خمسون مقاتلاً تمركزوا في شمال القرية، واختار البطل كلي شابو ومعه مئة مقاتل وخصهم لحماية حارة عيسى شابو.

وفي منتصف الليل هجم الأكراد على عين ورد من جميع الجهات، وصاحوا صيحة واحدة الله أكبر، وهجموا لاقتحام استحكامات المدافعين عين قرية عين ورد، وأرادوا أن يقتحموا تحصيناتهم بأي ثمن ومهما كانت الخسائر بالأرواح.

تصدى لهم المدافعون، والتحموا بالخناجر والفؤوس والسكاكين، وتناثرت أشلاء المهاجمين بشكل مذهل، واستمر القتال حتى الصباح،

انسحبوا إلى الوراء واندحروا تاركين جثث قتلاهم ودفنوها في الحقول البعيدة عن القرية.

ولما شاهد أهل عين ورد في الصباح قتلى الأكراد وعددهم لا يحصى، زادهم ذلك شعوراً بالثقة بالنفس واعتزاز بالنصر.

لقد طال الحصار على عين ورد، حتى ألزمهم أن يخرجوا في الليل تحت جنح الظلام، للسطو على القرى الكردية المعادية لتأمين الغذاء لعائلاتهم، والبعض الآخر كان يقوم بإذابة أواني النحاس لصنع الرصاص لبنادقهم القديمة.

أما عزيزكي أخبر كافة العشائر الكردية بعدم الاعتداء على قرية (أنحل) التي يقدر عدد سكانها بثلاثمائة عائلة سريانية ينتمون إلى عشيرة (شمكا) التي يرئسها عزيزكي، فاستناداً إلى أوامر عزيزكي لم يتعرض أحد من العشائر لقرية (أنحل)(١).

ذهب خمسة عشر رجلاً من عين ورد إلى (أنحل) لجلب مادة ملح الطعام التي فقدت أثناء الحصار على قرية عين ورد، عند وصولهم إلى قرية (أنحل) التقى معهم عزيزكي وأخبرهم بضرورة حضور المختار جرجو برفقة كلو شابو ومسعود شمعون للذهاب إلى مديات فوراً لمقابلة آمر منطقة مديات حيث ينتظرهم مع الشيخ فتح الله عينكافي لأجل الصلح، عاد الرجال من قرية أنحل حاملين معهم مادة ملح الطعام،

١- أنحل: كلمة آرامية (ܢܚܠܐ) تعني: وادِ - جدول - بقعة - سهل: إن أهل أنحل قد هاجروا قديماً من مدينة آزخ وسكنوا في هذا المكان، وقد أطلق عليهم (أنحلية) نسبة إلى الوادي الذي سكنوا فيه.

وأخبروا المختار جرجو بما أوصاهم به صديقه عزيزكي.

فوراً أخذ المختار جرجو معه كل من كلو شابو ومسعود شمعون وذهبوا إلى مديات ليقابلوا آمر المنطقة بحضور الشيخ فتح الله عينكافي وابن أخيه الشيخ صدقي، بعد وصولهم قابلوا آمر المنطقة وتم الاتفاق على تسليم أسلحة أهل عين ورد لانسحاب الجيش التركي والعشائر الكردية الذين يحاصرون قرية عين ورد.

لقد جمعوا بعض الأسلحة القديمة وسلموها إلى آمر المنطقة عن طريق الشيخ فتح الله عينكافي، وانتهتِ الحرب وانتهى حصار قرية عين ورد، وانسحب الجيش التركي والعشائر الكردية بسعي من الشيخ فتح الله عينكافي.

لكن الاعتداءات الفردية على الأشخاص الذين يعملون في الحقول أو الذين يسافرون إلى القرى لجلب المؤن اللازمة لعائلاتهم لم تنتهِ.

ـ دفاع مدينة آزخ ـ

سيذكر التاريخ جيلاً بعد جيل وعلى مر العصور دفاع مدينة آزخ البطولي ضد جحافل الجيش التركي ومعه عشرات العشائر الكردية والمحلمية والأومريان وغيرهم من المرتزقة الذين جلبهم اللواء عمر ناجي بك، مجهزين بأحدث الأسلحة، ويقود سلاح المدفعية ضابط ألماني متمرس بفن المدفعية.

وبتحريض من زعماء جزيرة بن عمر فقد اقنعوا اللواء عمر ناجي بك، بجلب هذا العدد من رجال العشائر الكردية والمرتزقة للهجوم على مدينة آزخ المسالمة للقضاء على سكانها الآمنين وإبادتهم مع النساء والأطفال.

التاريخ ١٩١٥ المحرر ع - ب مواليد ١٨٩٣

لقد تسربت الأخبار وانتشرت عن المذابح التي يقوم بها الأتراك والأكراد بقتل الأرمن والسريان الآشوريين، فشردوا العائلات وأباحوا أعراض النساء، وبقروا بطون الحاملات من النساء، وإخراج الجنين ومسك رجليه وضرب رأسه في الصخور أمام نظر أمه التي لم تفارق الحياة بعد.

هكذا كان وضع المسيحيين كافة في الإمبراطورية العثمانية، في هذا الوقت بالذات، جاء وفد برئاسة الضابط أحمد نازو من قبل اللواء عمر ناجي بك، يرافقه القس يوسف مراد الملقب بالقس يوسف ستو(١)، وكيدو خدو الملاّك الكبير الذي يملك العديد من القرى.

وصل الوفد إلى آزخ لإقناعهم بتسليم أسلحتهم للحكومة العثمانية

١- القس يوسف كان قسيساً لدير مار بهنام في جزريرة بن عمر، وراعي طائفة السريان الأرثوذكس ثم استشهد مع أربعون ألف مسيحي من سكان جزيرة بن عمر سنة ١٩١٧م.

حسب ارشادات اللواء عمر ناجي بك.

لكن أهل آزخ رفضوا تسليم أسلحتهم للحكومة، رجع الوفد إلى جزيرة بن عمر بخفي حنين، فوراً أوعز اللواء عمر ناجي بك إلى كافة العشائر الكردية بواسطة زعماء ماردين وزودوهم بالأسلحة والذخائر اللازمة لمهاجمة مدينة آزخ، لأن شعبها باسل وشجاع ويجيد فنون القتال، وإن بقيت مدينة آزخ سالمة، فإن جميع القرى المسيحية سينزح أهلها ويلتجئون إليها، بعدئذ من الصعب احتلالها.

كانت الأخبار قد وصلت إلى آهل آزخ عن مقتل الأرمن والسريان المسيحيين، من تلك النسوة الهاربات مع أطفالهن تحت جنح الظلام وبواسطة الاستجداء حتى وصلن إلى مدينة آزخ، منهكات من التعب والضنك والجوع الذي لا يرحم.

وفي هذه الرحلة القاسية التي اجتزن بها الجبال والوديان الوعرة وقاسين العذاب والجوع، وقد وصل أيضاً بعض الرجال الأرمن مع نسائهم وأطفالهم وأخبروا أهل آزخ كيف الأتراك الظالمين يقتلون الرجال والنساء والأطفال المسيحيين دون تمييز، ويبقرون بطون النساء الحوامل بالخناجر.

في آخر يوم من شهر حزيران ١٩١٦ أصدرت الحكومة العثمانية أوامرها إلى العشائر الكردية والمرتزقة بقتل سكان القرى المسيحيين.

هرب كل من نجا من القتل إلى مدينة آزخ، وصلت هذه العائلات بحالة يرثى لها مما لاقته من العذاب أثناء هروبها، وتدفقت هذه العائلات المسيحية المنكودة إلى مدينة آزخ، وأصبحت ملجأ لهم مثل سفينة نوح.

فلما رأى أهل آزخ ذلك وما سمعوه منهم، فوراً اجتمع أهل آزخ في ديوان المطران وقرروا مصيرهم، واتفقوا على أن يعملوا سور قوي حول المدينة من أحجار البازلت بعلو عشرة أمتار. وحرق حارة الـ (كيول) في جنوب مدينة آزخ، ولم يمانع أصحاب البيوت من حرق حارة الـ (كيول) لأن مصيرهم واحد، وقد ضم الاجتماع سيادة المطران بهنان عفراوي والقس صاموئيل مكو والقس عيسى بن القس ايشوع والأسقف حنا إيليا وبيو اسطيفو وايشوع حنا كبري ويوسف الخوري وأوسي كورية وغيرهم.

بعد انفضاض الاجتماع فوراً ابتدأوا بنقل المواد اللازمة للبناء وجلبوا الأحجار الكبيرة لبناء السور بالصورة الممكنة، تساعدهم النساء على جلب الماء واصبحوا كأنهم رجل واحد، واستمر العمل ليلاً نهاراً بدون توقف حتى أكملوا السور.

علمت الحكومة العثمانية بأن أهل آزخ حرقوا حارة الـ (كيول) ويعملون سوراً حول القسم الباقي من المدينة للدفاع ضد المهاجمين.

جاء اللواء عمر ناجي بك ومعه عشرون ألف جندي وجلب معه من العشائر الكردية - جيلكا - واومريان - ومحلمية - ودومانية والصوران من تركمان تل عفر وأكراد جبل سنجار ونصيبين وغيرهم من المرتزقة يقدر عددهم بمئة ألف رجل، وقد غزت هذه الجحافل بعض القرى المسيحية في طريقها ودمرت البيوت على سكانها مما اضطرهم على الفرار والالتجاء إلى مدينة آزخ.

أما أهل آزخ بعد إكمال السور انهمكوا في بناء الاستحكامات والتحصينات المنيعة، وبعضهم يقومون بصنع الرصاص لبنادقهم من الأواني النحاسية، والبعض الآخر يصنعون البارود من بعاري الغنم(١) وسرقين الأبقار (٢)، والبعض يقومون بالحراسة ليلاً ونهاراً فوق السور وداخل الاستحكامات.

لقد صمدت مدينة آزخ أمام جيش عمر ناجي بك والعشائر الكردية والمرتزقة الذين جلبهم عمر ناجي بك بعشرات الآلاف، ولم يتمكنوا من اقتحام سور آزخ، وقد هزمت الجيش التركي مع العشائر الكردية وقتلت منهم عشرات الآلاف.

فلو تم القضاء على شعب آزخ لما بقي مسيحي واحد من القرى في منطقة ماردين وطور عبدين.

ـ قرية باسبرينا ـ

أرسلت الحكومة التركية ضابط ومعه أربعون جندي بحجة حفظ الأمن في قرية باسبرينا التي يسكنها مائتين وخمسون عائلة من السريان الأرثوذكس بزعامة ملكي حتي حيدو، عند وصول الجنود إلى القرية،

١- بعاري: كلمة آرامية: (ܒܥܪܐ جمعها ܒܥܪ̈ܐ) تعني: بعر الغنم ـ (بعرور).

٢- سرقين: كلمة آرامية: (ܣܪܩܝܢܐ) تعني: روث الحيوانات ـ زبل ـ ومن مادة (سرقين) كانوا أهل آزخ يعملون منها بارود لبنادقهم القديمة.

فوراً أعطى ملكي الأمر إلى رجاله بتجريد الجنود من أسلحتهم، وأمرهم بالعودة إلى مديات.

فلما أخبر الضابط عمر ناجي بك بما حدث له مع ملكي حتي حيدو، فوراً اتصل مع العشائر الكردية آمرهم بالهجوم على قرية باسبرينا وحثهم على قتل جميع من فيها حتى النساء والأطفال، أما بالنسبة لملكي حتي حيدو أمر جنوده بأن يسلخوا جلده وهو على قيد الحياة وجلب جلده لعمر ناجي بك.

فتقدم محمد عمر رئيس عشيرة الصورانية وقال: يا سيدي اللواء، إنني أوعدك وعداً قاطعاً وأتكفل بقطع رأس ملكي حتي حيدو وهو حيّ وأجلبه لك.

لأن هذا المجرم كان يعتبر نفسه أعظم قائد حربي بين العشائر، وقد زوده اللواء عمر ناجي بك بالأسلحة الحديثة وأمر قسم من جيشه لمساعدته بالهجوم على قرية باسبرينا (١).

فلما وصل نبأ الهجوم إلى القرى المجاورة تركوا قراهم وجاؤا إلى باسبرينا مع عائلاتهم وانضموا إلى رجال ملكي حتي حيدو وأصبح عدد الرجال المسلحين ألف رجل بزعامة ملكي.

أرسل عمر ناجي بك وفداً إلى باسبرينا يشترط عليهم تسليم أسلحتهم مع الأسلحة التي أخذوها من جنوده، كان جواب أهل باسبرينا الرفض القاطع، عاد الوفد الذي أرسله عمر ناجي بك وأخبروه رفض أهل

١- باسبرينا: كلمة آرامية: (ܒܝܬ ܣܒܪܐ) تعني: بيت الرجاء والأمل.

باسبرينا تسليم أسلحتهم والأسلحة التي استولوا عليها من الجيش.

استشاط غضباً، فأمر العشائر بالهجوم فوراً وكان أول المهاجمين محمد عمر رئيس عشيرة صوران، صار اطلاق الرصاص بغزارة على القرية ينهمر كالمطر الغزير من بنادق الجنود والعشائر.

فما كان من أهل باسبرينا إلا الرد بالمثل، فأوقعوا بالمهاجمين الكثير من القتلى والجرحى وكانت الإصابات بالغة.

دام الهجوم عدة أيام جلب العدو على أثرها قوات جديدة وكان محمد عمر رئيس عشيرة (صوران) يحرض العشائر الكردية على الهجوم ويتقدم نحو استحكامات المدافعين عن القرية، فقتل من الطرفين إلاّ أن قتلى العدو المهاجم كانت أضعاف الأضعاف، وكان من بين القتلى محمد عمر رئيس عشيرة الصوران، وقد امتلأت أرض البيادر من قتلاهم، فأنهزموا نحو الوراء ولحق بهم الخزي والعار.

وقد تقدم الزعيم رمضان اسماعيل وطلب هدنة لمدة عشرة أيام ليتمكنوا من دفن جثث قتلاهم.

اجتمع الطرفان وأقسموا اليمين على ذلك، دامت الهدنة عشرة أيام لدفن جثث القتلى من الطرفين.

بعد مرور عشرة أيام انتهت الهدنة، تجمعت من جديد العشائر والجنود الأتراك بالآلاف، وتقدمت بتشكيلات جديدة فلما رأى ملكي حتي حيدو العشائر وجنود الأتراك يستعدون للهجوم من جديد، أمر رجاله أن يكونوا على استعداد تام وبحذر شديد لمجابهة العدو والدفاع المستميت عن أرواح عائلاتهم مهما كانت التضحية بالأرواح.

كان الهجوم عنيفاً وأشد من ذي قبل، وأهل باسبرينا صامدين في تحصيناتهم، وقد أوقعوا بالمهاجمين أعداداً كثيرة من القتلى والجرحى أكثر من ذي قبل، وقد دام القتال بشراسة إلى أن صدر عفو عام، انسحب على أثرها جيش عمر ناجي بك والعشائر الكردية إلى مكان وجودهم الأول.

دام الأمن والسلام في ربوع منطقة طور عبدين عدة شهور دون أن يتعرض السريان لأي تعدّي، ذهب ملكي حنى حيدو إلى مديات ليقابل القائد الجديد لإعلامه بأن هناك بعض العشائر تحرض على قتل السريان المسيحيين.

أمر القائد الجديد وهو ملازم مع بعض الجنود بالذهاب إلى قرية باسبرينا لحفظ الأمن، بعد ذلك جمع الأكراد مبلغ كبير من الذهب وبعض الهدايا وأعطوها للقائد الجديد ثمناً لقتل ملكي حني حيدو.

استلم القائد المبلغ ووعدهم بتلبية رغبتهم بعد ستة أيام وأرسل بطلب ملكي حني حيدو ليأتي ويجتمع مع القائد للتشاور في بعض الأمور التي تخص قرية باسبرينا.

ذهب ملكي حني ومعه كل من كورية دحّو وداود كوري وكانا عُزّلاً من السلاح، فلما دخل ملكي ورفيقيه إلى غرفة القائد استقبل ملكي بترحاب، وأظهر له المحبة والبراءة الخبيثة، وأمرهم بالجلوس وصار يحادثهم ويتودد لملكي حني حيدو حتى اطمئن له، ثم أعطى الأمر إلى جنوده بقتل جميعهم، هجم الجنود عليهم وقتلوهم، نفّذ القائد وعده مع الأكراد على قتل ملكي حني ورفاقه غدراً وعدواناً سنة ١٩١٧م.

روى هذه القصة سليمان حنا من عين ورد وشاهد عيان ع ـ ب مواليد ١٨٩٣.

رغبنا بتدوين هذه الحوادث التي حدثت بحق شعبنا السرياني الآشوري في بعض القرى والدساكر التي رواها كل من شاهد عيان وسليمان حنا من عين ورد.

وبما أن هذه القصة المأساوية التي جرت، لها علاقة وطيدة بمدينة آزخ والقرى المحيطة بها ومن بعض رجالاتها الأبطال، ألحقنا في بحثنا هذه الحوادث والويلات التي مرّ ذكرها، ليطلع القارئ الكريم على مجريات الأحداث التاريخية، وتلك الأيام العصيبة التي ذهب فيها شهداء كثيرون من أمتنا السريانية الآشورية في مناطق دياربكر وماردين وسعرت وملاطية والبشيرية وطورعبدين وجزيرة بن عمر وبعض القرى في منطقة آزخ، حيث كانت ضحايا السريان الآشوريين تقارب ضحايا الأرمن.

وهذه الحوادث الجديرة بالذكر حدثت سنة ١٩١٥-١٩١٧م أثناء الحرب الكونية الأولى من قبل الأتراك الظالمين وعملائهم من الأكراد.

أما قصة (شبري توالة) ليست أقل دramية ومأساة محزنة من مشاهدات ع ـ ب وسليمان حنا العين وردي.

لكن الفارق الوحيد هو: ان (شيرو) مسلم ومن عشيرة الأومريان وصاحب ضمير إنساني بالرغم من وضعه المأساوي الدرامي الحزين، إلاّ أنه لم يتحمل ضميره ما شاهده من مناظر بشعة تقشعرّ لها الأبدان بحق الشعب السرياني الآشوري المسيحي.

ـ رواية شيري نوالة (١) ـ

شيرو ينتمي إلى عشيرة الأومريان، عشق إحدى الفتيات من ماردين اسمها نوفا (٢) وأحبّت شيرو (٣) وقد زاحمه شاب كردي غريب، يتبختر أمامها مراراً وأمام أهلها وشباب الحي، دفعه غروره يوماً أن استلّ خنجره وهاجم شيرو لقتله به، لكن شيرو ضاق ذرعاً ولم يقدر أن يصبر عليه، فالتقفه كالعصفور وقذف به وبخنجره إلى أعماق الوادي من مكان اسمه القرقس (٤) في محلة المشكية (٥) فمات لساعته.

على أثر هذه الحادثة هرب شيرو وتسلل بين الأدغال والوديان وتاه في رؤوس الجبال، وذوي القتيل يطاردوه ويتعقبونه من مكان إلى مكان.

١- شيري نوالة: كلمة كردية (SERE NEWALA) تعني: أسد الوديان والغابات.

٢- نوفا: كلمة آرامية (ܢܘܦܐ) تعني: انثنى ـ تمايل ـ انحدر ـ انعكف ـ التوى ـ فكر ـ أضمر. الغصن المتمايل.

٣- شيرو: كلمة كردية (SERO) تعني: الأسد.

٤- قرقس: كلمة آرامية (ܩܪܩܣܐ) تعني: اسم غراب أبلق، أي: مسكن الغراب القرقس هضبة قريبة من قلعة ماردين تطل على سهل قرية الكولية.

٥- المشكية: كلمة آرامية (ܡܫܟܝܐ) تعني: كذاب مهمل، أي: حارة الكذابين، تقع حارة المشكية بمحاذاة هضبة القرقس في ماردين.

أما شيرو كانت بندقيته الوحيدة تحميه ويصطاد بها من أعدائه حتى كثرت جرائمه يوماً بعد يوم، وقل أمله بالنجاة، وزادت شجاعته ضراوة، حين حكمت عليه أنقرة بالإعدام، وأصبحوا يلقبونه (بشيري نوالة)، إذ يقوم بسلب الأغنياء أموالهم، والأعداء أرواحهم، وصار يدافع عن نفسه، والنفس غالية عزيزة، حتى غرق في الدماء، وأصبح مجرماً حقيقياً، وقاطع طريق بالرغم منه، وقد أغلقت الأبواب في وجهه حين حكمت الدولة عليه بالإعدام.

فكان يقصد بيوت النصارى يطرق أبوابهم، وهو يائس من حياته، فيفتحونها له ويقدمون له كل ما يحتاجه، بينما الأكراد أبناء جلدته طمعوا برأسه ليحظوا بمكافأة الدولة ورضاها ليتباهوا، فيقال عن أحدهم انه قطع رأس (شيري نوالة).

أثناء رجوع شيرو من بيوت بعض النصارى ذاهباً إلى كهفه ليستقر قليلاً ويرتاح، فإذا به يسمع جلبة وضوضاء عظيمين، فيلمح أشباحاً يتدحرجون بين الأشجار، فكر شيرو بأن جيش أنقرة كلّ يقوم بمناورة لتطويقه والقبض عليه، فخاف على نفسه خوفاً عظيماً، وأسرع متسللاً بين الأشجار يحجبه عنهم ظلام ليل دامس، ارتاح قليلاً، وتابع طريقه إلى القرية، يستعلم من الآغا عن أمر هذا الزحف العام، فأجاب: ليس هذا جيشاً إنما سوقيات النصارى الكفار اقتادوهم من مناطق بعيدة إلى هذا الوادي ليقتلوهم تحت ستر الظلام، وزاد الآغا فقال: سلموني مئة منهم لأقوم بواجبي تجاههم، فما كان مني إلاّ أن طرحتهم أحياء في بئر مهجور قديم وردمت البئر بالحجارة والتراب.

فعنّف شيرو الآغا على بربريته هذه، فقال له الآغا مغتاظاً: لا عتب عليكم يا شيرو، فأنتم الأومريان ما زالت دماء هؤلاء الكفرة تجري في عروقكم حتى الآن، فسكت شيرو رغماً عنه، وعاد صباحاً إلى كهفه محترساً من الآغا، فإذا بحجارة الوادي مصبوغة بالدماء وتملأ مجراه، ورأى الضباع والثعالب والذئاب في هذا المكان المحفور تجرّد هياكل بشرية وتنهشها.

كانت الحفرة عريضة وعميقة، فهي خندق طوله أربعون خطوة وعرضه عشرة، ولا يدري عمقه غير الله والحافرون، وقد ملئوه بالضحايا البريئة.

فلما وصل كهفه وجد شخصاً في ريعان الشباب، خاف منه وهو سحمل السلاح، ففكر بأنه يتعقبه إلى هذا الكهف، فسقط على رجلي شيرو وقال: ارحمني الله يرحمك. قال له: ماذا تفعل هنا ؟ وكيف وصلت إلى هذا الكهف ؟ قال: آه.. جرّونا إلى هناك ويشير بيده نحو المكان، وفكوا أغلالنا، فحرفنا هذا الخندق الذي تراه، حتى بلغ عمقه قامة رجلين، وعلى تلك الصخرة مدّوا أعناقهم كالنعاج وذبحوهم، في هذا الخندق الذي حفرته أيديهم، مساكين ذبحوهم هلكى من التعب، موتى من العطش والجوع، آه .. ذبحوا عمي، أواه عميت عينا والدي لهول ما رأى، فجرّني إليه وانحنى على رأسي وهو يقبّلني ويشمّني ويشمّني، وقبّل وجهي، فجاء دوره، دفعوه دفعاً فوقع على الصخرة وارتطم رأسه بها، مدّوا السكين على حنجرته، حزّوا نصفها، ويلاه، حزوا نصفها فقط، تعالت غرغرته مع غرغرات اخوانه في عتمة الليل، انتفضت ساقاه وجسده، ظل ينتفض، وجزّاره منتصب ونصل خنجره يقطر دماً، ويقهقه هازئاً ويقول: بالله ما

أطول روح هؤلاء النصارى الكفار، الهرة لها خمس أرواح، أما النصارى لهم سبعة أرواح.

وعندما التهوا بنكاتهم وقهقهاتهم، اغتنمتها فرصة وتواريت خلف الأشجار وهم يطرحون بالأشلاء إلى الخندق، وقد تذكرني أحدهم وقال: أين ذاك الكافر الآن كات هنا لكنني كنت قد تسلقت على شجرة بعيدة عنهم، اشعلوا الفوانيس وفتشوا عني ومروراً أمام شجرتي، كذت أقع من خوفي، لكنهم غابوا عني ولم يعودوا ثانية، وقد هبطت إلى هذا الكهف، ورأيتك مسلحاً فأيقنت الموت المحتم هذه المرة.

وبعد أن انتهى من حكايته لشيرو، أراح باله وأطعمه، وبعد يومين أخذه إلى القرية وأوصى به رجلاً رحيماً لا يقل عنه رحمة وشفقة وإنسانية وأسماه (بطة).

وصاحب هذه القرية كان شيرو قد ساعده حتى أصبح آغا للقرية، وكان بطة يسكن في القرية يرعى الأغنام، لكن الآغا هذا ارتكب بعض الجرائم بحق بعض الأكراد وصدر بحقه الحكم بالإعدام.

وفي أحد الأيام جاء أحد الضباط الأتراك إلى القرية يفتش عن شيرو، فاتصل الآغا مع الضابط التركي وقال له: إذا جلبت لي عفو من الحكومة، أعدك وعداً قاطعاً بأنني سأجلب لك رأس شيرو.

فرجع الضابط إلى أنقرة وعاد ثانية ومعه العفو عن الآغا، وهذه المؤامرة لقتل شيرو بناء على وعد الآغا.

علم بطة بالمؤامرة بحذافيرها، فما كان منه إلاّ أن أتى مهرولاً إلى شيرو وأخبره بأن الآغا وشقيقه سيأتون لقتله، فذهب شير إلى القرية ليلاً

يتلصص عليهم، فرآهم يستعدون لقتله، وعندما تـأكد مـن ذلـك، ذهـب أولاً إلى بيت الآغا وقتله، ثم عاد إلى بيت شقيقه شيخو وقتلـه أيضـاً، بـالأمس القريب كان الآغا يفضله على ولده الوحيد، وأخوه شيخو كان يعبده، حيث كان شيرو هو الذي رفعهم من على المزابل إلى درجة الآغوية والمخترة.

واليوم سرعان ما أنكر الاثنان جميله وجحدا نعمته، وراحا يبحثان عن قتله، فلولا بطة الوفي المخلص له حتى لتمكنا من قتله.

فيقول شيرو: أنا سائح فـي الجبـال والوديـان هاربـاً قـاصداً بيـوت النصارى حتى أحتمي عندهم، لأن قلوبهم ملآنة رحمة وشفقة حتـى علـى أعدائهم كما علمهم مسيحهم، إذ قال: أحبوا أعدائكم وباركوا لاعنيكم.

أنا شيري نوالة من عشيرة الأومريان رأيت بأم عيني كيف سفكوا دماء النصارى المسيحيين سنة ١٩١٦ في منطقة ماردين.

أما شاهد عيان ع - ب لم يظهر شخصيته مثل شيري نوالـة بـدون خوف، يقول أنه روى الحقيقة التي شاهدها بأم عينه ولمسها وعاشـها ليـلاً نهاراً.

لكن شيرو أنقذ أحد الضحايا وعطف عليـه وأمـن علـى حياتـه فـي القرية، فلولا بطة الـذي لـم ينسَ معروفـه، حتـى جـاء وأخبره بـأن الآغـا سيفتك به، فقد أنقذ حياة شيرو كما أنقذ حياة بطة وحياة دنحو الانحلي من طورعبدين، حيث هبط معـه مـن الجبـل ودلّـه علـى الطريـق المؤديـة إلـى المناطق الآمنة.

لكنه لم يتمكن من إنقاذ (شـيرو رفيقـه) جـاء مـن يعلـم شـيرو بـأن عساكر الدولة تجد في أثره، فاضطر للفرار، وعند عودته إلى القريـة رأى

شير ومعاونـه مقتولين ومطروحيـن علـى أرض البيدر فحــزن عليهمــا، ودفنهما وواري التراب عليهما.

هرول أهل القرية ليفتكوا بشيرو نوالة لأنه سترهما، لكنهم توقفوا عندما عرفوه، وهكذا أبيد مئات الآلاف من السريان الآشوريين دون ذنب اقترفوه، كما قضـي مـن قبلهم علـى الشـعب الأرمنـي مـن قبـل الأتـراك الظالمين بهذه الصورة الوحشية.

مدينة آزخ والحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤

دخلت الحكومة العثمانية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤-١٩١٨ إلى جانب الامبراطورية الألمانية والنمسا ضد الحلفاء انكلترا - فرنسا - ايطاليا - وروسيا وغيرها من الدول المتحالفة معهم.

فقد أصدرت الحكومة العثمانية (فرمان) من الباب العالي إلى المسؤولين والجهات الرسمية في الدولة بتهجير المواطنين الأرمن من مكان إقامتهم في الأناضول وفي شرق وشمال البلاد وما بين النهرين.

وقد قضي على مئات الآلاف منهم ضمن هذه الأراضي الواسعة الممتدة من دياربكر إلى دير الزور والموصل، كانت ضحايا الأرمن في قرية الشدادة على يد الشركس والشاشان عشرون ألف شخص مع النساء والأطفال.

أما العرب القاطنين في هذه المنطقة لم يشتركوا بقتل وإبادة الأرمن، بل ساعدوا على إنقاذ الكثير من النساء والأطفال واعتنوا بهم.

وقد تمكنت الحكومة العثمانية من الوصول إلى غايتها بواسطة رجال الدين وآغاوات الأكراد لإبادة الشعب الأرمني ومن ثم الشعب السرياني الآشوري بهذه الطريقة الوحشية، ونفذوا ما طلب منهم لقتل الأرمن، فأقنعوا الشعب الكردي البسيط من الفلاحين والفقراء مؤكدين لهم الملالي أن بعملهم هذا غير مسؤولين أمام الله والحكومة العثمانية.

لا بل، بتنفيذهم هذا العمل الإجرامي، قد برهنوا بتعاونهم وتأييدهم المخلص للدولة العثمانية ومع دين الله والإسلام.

وبهذه الحجج والفتاوي الغير شرعية من قبل الملالي، أغمضوا عيون الشعب الكردي الأمّي البسيط المغلوب على أمره، واتهموا الأرمن بأنهم عصاة ومسيحيون كفرة، يطلبون الانفصال عن الدولة العثمانية لخلق كيان ودولة لهم.

وبهذه الطريقة الملتوية كانوا يبررون أعمالهم الإجرامية، للشعب الكردي المتخلف حينذاك ثقافياً واجتماعياً، فكان جلّ اعتماده على التعليمات الصادرة عن رجال الدين الأكراد وفتاويهم الرخيصة والمنافية لتعاليم دين الإسلام وما ورد من نصوص وآيات في القرآن الكريم، وخلافاً بما أوصى به الرسول الكريم على حماية النصارى ومن ينتحل دين النصارى المسيحيين ولعن كل من يخالف وصاياه الشريفة، كما ورد في بحثنا صفحة: (٨٦-٨٨).

كانت قوافل الأرمن المهجرة من موطنها الأصلي ومكان اقامتها في ربيع ١٩١٥ تساق كالغنم والأبقار بالآلاف تحت حراسة الجندرما(١) الأتراك بطوابير طويلة تسير نحو الشرق وما بين النهرين.

ولم يفلت من القتل والإبادة إلا الذين تستّر عليهم أصدقائهم من الأكراد، بالرغم من الأوامر المشددة من قبل الحكومة العثمانية بقتل كل من يأوي أو يستر أحداً من الأرمن المسيحيين الكفار، وقد أخفوهم

١- جندرما: كلمة لاتينية فرنسية: (GENDARME) تعني: دركي - شرطي.

ووضعوهم بين الحريم في بيوتهم وتحملوا هذه المسؤلية الجسيمة حتى تنجلي الأوضاع.

وهؤلاء الباقون على قيد الحياة ونجوا من القتل بواسطة أصدقائهم الأكراد، لا يشكلون واحد بالألف من الذين قتلوا في المدن والقرى، وقد لبس الشعب الكردي جريمة القتل دون رغبة من الفئة الفقيرة والفلاحين.

إن هذا العمل الإجرامي المنافي للإنسانية بحق الشعبين الأرمني والسرياني الآشوري المسيحي، قد طوق عنق الشعب الكردي، ومن ثم انقلب عليه بعد قيام الجمهورية التركية بقيادة مصطفى كمال (أتاتورك) (١) الذي قام بدور تحطيم الشعب الكردي والقضاء على آماله وطموحاته لخلق كيان ودولة له.

وقد منع عنهم التكلم بلغتهم الكردية، وشنق منهم في دياربكر سنة ١٩٢٤-١٩٢٥ أكثر من مئة ألف من الآغاوات الذين كانوا يطلبون الحرية والانعتاق من نير الأتراك، ولم يفلت من شره إلاّ الذين هربوا والتجأوا إلى الجمهورية السورية.

إلاّ أن الأكراد في منطقة آزخ لم ينصاعوا ويستجيبوا لأوامر الحكومة بالرغم من إغرائهم بالمال والجاه، لكي يهاجموا مدينة آزخ، ظلّت هذه العشائر صديقة بولائها بالرغم من الأوامر المشددة التي أصدرتها الحكومة العثمانية.

وأول من رفضها الشيخ نوري سردحلي والشيخ محمد حسن

١- أتاتورك: كلمة تركية (ATATURK) تعني: جد الأتراك.

فندكي الذي ثار على الأتراك وحمى السريان الآشوريين في قريتي (فندك)(١) و (باسا) (٢) وهدد بالقتل كل من يعتدي على سكان هاتين القريتين.

وأيضاً الملا صادق والمفتي حلمي من جزيرة بن عمر، وبالأخص الشيخ الجليل فتح الله عينكافي (٣) الذي لعن كل من أعطى فتوى بقتل المسيحيين السريان وكل من خالف وصية الرسول الكريم، أما الحاج دورسن الجزراوي كان من أشد المدافعين عن المسيحيين وقد آوى الكثير منهم في جزيرة بن عمر.

لكن بعض الملالي والمشايخ من الأكراد طمعوا بالمال والنساء المسبيات الذي طغى على دين الله والإسلام وباعوا دينهم بدنياهم حتى أصدروا تلك الفتاوي الرخيصة بقتل وإبادة كافة المسيحيين من أرمن وسريان آشوريين.

هكذا توالت المصائب والويلات على السريان الآشوريين سكان البلاد الأصليين منذ أقدم العصور التاريخية الذين يقطنون في هذه المدن والقرى حيث المدونات التاريخية والآثار ومن الألواح الحجرية والكتابات المسمارية التي تثبت ذلك.

١- فندك: كلمة آرامية (ܦܢܕܩܐ) تعني: شجرة البندق، وهي قرية مشهورة بالبندق.

٢- باسا: كلمة آرامية (ܒܣܐ . ܒܣܬܐ) تعني: بستوقة، سكان القرية مختصين بحمل الحرائر والبساتيق

٣- عين كاف: كلمة آرامية (ܥܝܢ. ܟܐܦܐ ـ ܥܝܢܐ ܕܟܐܦܐ) تعني: عاين، نظر إلى الصنم، قديماً كان سكان القرية يعبدون الأصنام.

لكن الحكومة العثمانية أوعزت إلى الضباط القياديين ليحرّضوا الأكراد على قتل المسيحيين، ومن هؤلاء القياديين: اللواء عمر ناجي بك الذي حرّض الأكراد وغيرهم من المرتزقة الذين جلبهم من المناطق البعيدة ويقدر عددهم بمئة ألف رجل وزودهم بالأسلحة الحديثة. وفي طريقهم هاجموا مديات وقرى طورعبدين وعين ورد إلى أن وصلوا مدينة آزخ وأحاطوا بها وحاصروها مع جنود الأتراك الذين يقدّر عددهم بعشرون ألف جندي، وذلك في أوائل شهر تموز سنة ١٩١٦ للقضاء على سكانها، كما قضوا على سكان بعض القرى في منطقة ماردين وطورعبدين.

وقد أبادت هذه القرى الغاشمة المزروعات وغلال الحقول وعنيت بالكروم وأفسدت ثمارها تمهيداً للهجوم الكاسح.

وكان في جيش اللواء عمر ناجي بك ضابط ألماني قائداً للمدفعية الثقيلة.

أما أهل آزخ فقد استعدوا استعداداً تاماً لهذه المعركة المصيرية، ولم يتوقعوا بأن الحكومة العثمانية ستجلب هذه الجيوش الجرارة وبأعداد كثيرة من العشائر الكردية والمرتزقة، وخصّصت لكل زعيم عشيرة، قسم من السور لمهاجمته عند إعطاء أول إشارة بالهجوم، وكانوا واثقين من القضاء على سكان آزخ.

يعلم الجميع بأن أهل آزخ من السريان الأرثوذكس ومن رعايا الدولة المسالمين، إلاّ أن الرشاوي التي أغدقوها على اللواء عمر ناجي بك من بعض الفئات وأقنعوه بأن أهل آزخ هم من الأرمن، لذلك جلب هذه

الحشود من العشائر الكردية والمرتزقة من المناطق البعيدة وأقنعهم بوجوب القضاء على هذه المدينة التي سكانها من الأرمن، وقد تم حصار مدينة آزخ.

أما أهل آزخ كانوا قد انتهوا من بناء السور بعلو عشرة أمتار قبل أن يحاصروا.

ترأس المطران بهنان عقراوي وفداً ضم القسوس والشمامسة وذهبوا لمقابلة اللواء عمر ناجي بك الذي تمركز في الجهة الغربية من المدينة. وبعد أن تمّت المقابلة، طلب منهم أن يقدموا طعام لجنوده من البرغل والأرز والخبز بكثرة، ومئة رأس من الغنم والخرفان، جاهزة لإطعام الجنود، وقد وعدهم بأنه سيرحل بعد إطعام الجنود.

فرجع الوفد مطمئناً ينشد الأناشيد السريانية، وهم لا يعلمون بأنه أعطاهم هذا العهد لتخدير أعصابهم كما فعل مع غيرهم، كي لا يستعدوا للدفاع عن أنفسهم، فيهاجمهم على غرّة كما فعل من قبل مع أهل مديات وعين ورد.

لكن أهل آزخ لم تمر عليهم هذه الحيلة، ولم يثقوا بعهده وظلّوا متيقظين حذرين يراقبون تحركات الجيش التركي ورجال العشائر الكردية، حنا دنحا على سطح (الازج) (١) وهو بناء قديم من أبنية آزخ القديمة وصاح بصوته العالي يحذّر أهل آزخ من مقبة الهجوم المرتقب من قبل

١- آزج: كلمة آرامية (ܐܙܓ) تعني: أزج - عقد، ويعود تاريخ بنائه إلى خمسة آلاف سنة.

جنود عمر ناجي بك والعشائر الكردية والمرتزقة المحيطين بالمدينة، صاح المنادي وقال: يا أهل آزخ، لا تخافوا، كونوا حذرين ومستعدين، يوم جئنا ويوم سنموت، واتكلوا على الله، الموت بالشرف، أحسن من الذل والهوان.

وفي اليوم الثاني عند الظهر وجموع غفيرة من أهل آزخ، كانت فوق السطوح تراقب ما يجري بعيداً خلف السور، رأوا رجال العشائر الكردية تتوزع وتتمركز في الأماكن المخصصة لها حول السور. أما جنود الأتراك ذهبوا وتمركزوا في شمال المدينة بالقرب من كنيسة مارت شموني التي كانت فيما مضى معبداً للإله (مما).

بعد أن تمركزت هذه الجحافل الكثيرة حول السور والناس تراقبهم من فوق السطح، فجأة سُمع صوت طلقة واحدة من بندقية، كانت هذه الطلقة إيذاناً لرجال العشائر الكردية لإطلاق الرصاص على مدينة آزخ من كافة جوانبها، وقد أمطروا المدينة بالرصاص عشوائياً، ومن غزارة وكثافة الرصاص عرّت الأشجار بتساقط أوراقها، وسقطت طيور الحمام وعصافير الدوري الطائرة، وقضت على الكلاب والسنانير من كثافة تساقط الرصاص.

كانت مفاجأة لأهل آزخ، بحيث لم يتوقعوا غزارة هذه الطلقات من العدو القابع وراء السور، وسرعان ما تلاشت المفاجأة وشدّوا العزم على المقاومة.

وقد إستمر قصف المدافع الثقيلة على المدينة وانهمر الرصاص الغزير حتى العصر، وفجأة بدأ الهجوم، وتقدمت العساكر بسرعة من جهة

الشمال تريد اقتحام السور، يسوق الجنود ضابط وسيفه مسلول فوق رؤوسهم، وكل من لم يتقدم من العساكر، كان مصيره ضربة سيف من الضابط، يحثهم على التقدم واللحاق بحامل العلم الذي أمامهم.

أما العشائر الكردية والمحلمية والمرتزقة تقدمت من الجهة الجنوبية والجهة الشرقية، وتصيح الله أكبر، وتتقدم بسرعة نحو أسوار المدينة وهم يقولون: حريشا حريشا (١)، أما أهل آزخ، قد اتفقوا وأعطوا الأوامر إلى القابعين وراء تحصيناتهم بعدم إطلاق الرصاص على المهاجمين إلى أن يصبحوا قريبين من مرمى أسلحتهم القديمة، وتربصوا لعساكر الأتراك إلى أن اقتربوا من السور، عندئذٍ أطلق المدافعون الرصاص عليهم، فأصبح هؤلاء الجنود إما قتلى أو جرحى.

وكلما كان حامل العلم يتقدم كانت العساكر تتقدم وتتبعه مرغمة، خوفاً من ضربة سيف الضابط المسلول فوق رؤوسهم، فما كان من المقاتل كوركيس كفشتني إلاّ أن صوّب بندقيته نحو حامل العلم وأطلق عليه رصاصة فأرداه قتيلاً مضرجاً بدمائه.

وعندما رأى الجنود أن حامل العلم قد قتل، لاذوا بالفرار إلى الوراء لينجوا من رصاص المدافعين عن المدينة.

وكذلك فشل هجوم العشائر الكردية والمحلمية والمرتزقة من

١- حريشا: كلمة آرامية (ܚܪܫ . ܚܪܫܐ . ܚܪܘܫܐ) تعني: ذبح ـ قتل، كان في الماضي الجيش الآشوري وأهل آزخ يستعملون كلمة (حريشا) أثناء الهجوم على الأعداء، وتعني: اقتلوهم اذبحوهم.

الجهة الجنوبية والشرقية، فما كانت منهم دفعة مهاجمة تقترب نحو السور إلاّ وكان رصاص المدافعين يحيلها إلى قتلى حتى أصبح قتلاهم أكواماً مكدّسة يتعثرون بها هنا وهناك، فلم يبقَ أمامهم إلاّ الفرار لينجوا بأرواحهم.

وبعد غروب الشمس توقف القتال، وأهل آزخ ينتظرون بحذر شديد لليوم الثاني.

ولا بد أن نذكر قصف المدافع الذي استمر على العلالي، وقد أصيب دير مار يعقوب بعدة قذائف من المدفعية، لكنها لم تؤثر في حائط الدير الجنوبي الذي يشرف على نهر السقلان الشتوي (١) الذي يفصل الدير عن قصر الملك أبو زرد سنحاريب الذي جلبت منه أحجار الدير عند بنائه.

وبقدرة الله ويسوع المسيح، لم تصب طلقة واحدة من قذائف المدفعية البيوت والعلالي العالية، بل كانت جميع هذه القذائف تتجاوز مدينة آزخ، وتسقط في محفرة دنحو (٢) أو في كروم الكورتة (٣) شمال مدينة آزخ.

١- سقلان: كلمة آرامية (ܫܩܠ ܫܩܠܐ) تعني: صقل ـ جلا، لأن جريان الماء في الشتاء والربيع يجلي ويصقل البحص والأحجار، فسمّي نهر السقلان.

٢- محفرة دنحو: كلمة آرامية (ܚܦܪ ܚܦܪܐ) تعني: حفر الأرض، و (ܕܢܚܐ) تعني: عيد الغطاس، كان أهل آزخ يجلبون هذا التراب الأبيض لطلي بيوتهم في عيد الغطاس.

٣- كورتة: كلمة آرامية (ܟܘܪܬܐ ܟܘܪܬܐ) تعني: جورة، إنها أرض مجورة فيها كروم.

وقد بلغ دفاع أهل آزخ ذروة خيالية وأسطورية، فكان المدافع يطلق الرصاص على المهاجمين من فوق جثمان والده أو شقيقه المقتول لردع المعتدين عن مدينتهم.

على أثر الهجوم المباغت وغزارة إطلاق الرصاص وقذائف المدفعية، تهدم بعض أجزاء من السور في الجهة الغربية في مكان يسمى (طابية كور القواقين) (١) حيث قتل وجرح عدة أشخاص لأن تركيز قصف المدافع على هذا المكان بالذات من السور، نظراً لأهميته الاستراتيجية.

ولما حلّ الليل أخذوا الشهداء المقتولين ودفنوهم في قبور جماعية في كنيسة العذراء أم المسيح، وعلى الفور أصلحوا ما تهدم من طابية كور القواقين، التي كان قد تهدم القسم الأعلى منها.

عند منتصف الليل خرج كوركيس لحدو كفشتي ونزل بالحبل من فوق السور وجلب معه من فوق جثث المقتولين عدة بنادق مع طلقات كثيرة، وأصعدهم بواسطة الحبال وأدخلوها إلى طابية مراد يوسفكو ذات الأهمية الاستراتيجية، واستعدوا للهجوم المنتظر.

وفي الصباح الباكر بدأ الهجوم، وكان أشرس من الهجوم الأول، حتى أصبح الجندي يدوس فوق جثث رفاقه المقتولين المكدسين أمام السور. وتمكن أحد الجنود أن يصل إلى فوق السور ليقفز إلى داخل المدينة، فما كان من القاتل اندراوس حنا ايليا الموجود في طابية مراد

١- كور القواقين: كلمة آرامية (ܟܘܪܐ) تعني كور - جرار، و(ܩܘܩܝܐ) يعني: صانع الفخار والجدار والأكواز.

يوسفكو إلاّ أن وضع فوهة بندقيته في بطن الجندي الذي تسلّق إلى فوق السور، وقال له: هل جئت إلى هنا لتأكل بقلاوة - وأطلق عليه رصاصة من بندقيته فأرداه قتيلاً، فتدحرج من الطابية فوق جثث رفاقه أمام السور.

وبعد مرور أربعة أيام من الهجمات الشرسة، تكدست جثث القتلى فوق بعضها البعض، وملأت أراضي البيادر بشكل لا يصدق.

وفي اليوم التاسع من القتال، أرسل اللواء عمر ناجي بك، أحد قادة جيشه إلى آزخ، يطلب منهم هدنة لوقف القتال، ريثما يدفنون قتلاهم المكدسين حول السور، قَبِلَ أهل آزخ مطلب عمر ناجي بك، لأنهم يعلمون أنه إن بقيت هذه الجثث في مكانها هكذا فوق بعضها البعض حول السور وفي البيادر، فلا بد أن يستمم الجو من رائحتها الكريهة العفنة وينتشر الوباء القاتل الطاعون.

فأرسل عمر ناجي بك جنوده مع رجال العشائر، وجمعوا جثث المقتولين وحفروا خنادق طويلة وعريضة حتى تكفي لوضع جثث قتلاهم فيها، ثم طمروها بالتراب.

أثناء الحصار الشديد أصبح البارود يقل تدريجياً من كثرة إطلاق الرصاص على الأعداء المهاجمين، من هنا برزت الشيمة والصداقة من قِبَل العشائر الكردية في منطقة آزخ، وخاصة مِن قِبَل أهل قرية (بارما) الذين ينتسبون إلى عشيرة العليكية، فقد جلبوا البارود ومادة الملح في هذا الوقت العصيب وأدخلوها في فتحات السور السرية التي عملوها احتياطاً لهذا الغرض.

فلما حصلوا على مادة الملح التي لا يعيش الإنسان بدونها والبارود الذي قد حصلوا عليه لأن قلّة البارود لديهم كانت قد أثّرت عليهم، لأن البنادق القديمة لم يستعملها المقاتلون لقلة البارود، لذلك عند استلامهم مادة الملح والبارود تنفسوا الصعداء وقويت معنوياتهم، لأن ملح الطعام هي المادة الرئيسية للإنسان وبدونها لا يؤكل الطعام، وهكذا برزت الشيمة الكردية وحافظت على الصداقة، والنثل القائل: الصديق في يوم الضيق، لأن العشائر الكردية في المنطقة، ولو انهم لم يتمكنوا من القتال ضد جنود الأتراك والعشائر الكردية الأخرى، إلا انهم كانوا يساعدون أهل آزخ بنقل التموين والبارود والملح، ولم يقطعوا هذه المعونة طيلة أيام الحصار على مدينة آزخ.

ومن ثم صار أهل آزخ ينزلون بالحبال ليلاً، ليجلبوا الأسلحة مع آلاف الطلقات من فوق جثث القتلى، لاستعمالها بدلاً من الأسلحة القديمة التي بحوزتهم، وقد علّموا النساء على استعمال هذه الأسلحة الحديثة، فأصبحت النساء تحارب جنباً إلى جنب مع الرجال، مما مكّنهم على الصمود والدفاع عن مدينتهم العرقة (بيت عيناتا بيت زبدا).

أما الأتراك ورجال العشائر كانوا منهمكين بدفن قتلاهم في الخنادق الطويلة لمدة عشرة أيام متتالية.

وفي السادس عشر من شهر تموز ١٩١٦ بعد طلوع الشمس ابتدأوا من جديد وبشكل عنيف بالهجوم على آزخ، فتصدوا لهذا الهجوم بالأسلحة الحديثة التي جلبوها بالآلاف من فوق جثث الجنود المقتولين حول السور، مما أتاح لهم أن يوقعوا بالمهاجمين عدداً أكثر من القتلى والجرحى الذي يفوق بكثير عن عدد القتلى في الهجوم الأول.

وقبل أن يتقدموا ويقتربوا من السور كانت جثث المهاجمين تهوي عن بعد قبل أن تصل بالقرب من السور، لأن مدى هذه الأسلحة وجديتها هو أبعد من مدى الأسلحة القديمة التي كانوا يستعملها أهل آزخ في الهجوم الأول.

فقد اختلف الأمر اليوم عما كان عليه بالأمس، فلما علم اللواء عمر ناجي بك بأنه أصبح لدى أهل آزخ أسلحة حديثة، أوقف الهجوم وسحب جيشه بعيداً عن مدى الأسلحة الجديدة التي أصبحت بحوزة أهل آزخ، وصاروا من بعيد يطلقون الرصاص عشوائياً على مدينة آزخ.

ثم أمر اللواء عمر ناجي بك جنوده بحفر الخنادق وبناء الاستحكامات وعمل سور متعرج يحمي الجنود خلفه، ويقدمون السور في كل ليلة بضعة أمتار نحو المدينة لإيصاله إلى قرب السور.

ظلت المناوشات مستمرة بين العدو وأهل آزخ بدون انقطاع، كانت هجمات رجال العشائر والمرتزقة مستمرة في الليل دون توقف حتى الفجر.

حاول اللواء عمر ناجي بك كثيراً وأرسل زبائنه لاستقطاب العشائر الكردية في منطقة آزخ، ودفع لهم المال والأسلحة لإغرائهم للاستراك مع الجيش التركي بالقتال ضد أهل آزخ، لكنه لم يفلح بما سعى إليه، ورفضوا طلبه.

ومن بين هذه العشائر الكردية الرافضة والتي كانت تقدم المساعدات المادية والمعنوية، هي: عشيرة (مما) العلبكية - الهسنية الباولية - الهارونية - الأومركية. وقد استمرت هذه العشائر الصديقة بتقديم

المساعدات التموينية وجلب مادة الملح والبارود طيلة أيام الحصار على آزخ.

لنعود إلى الوراء، قبل أن يحاصر العدو مدينة آزخ بقليل، حيث كانت الحالة متأزمة جداً، وفي هذا الوقت كانت قرى المسيحيين مهددة بالقتل وسكانها محاصرون من كل جهة والرعب يملأ قلوبهم من الخوف.

وقد هاجر أكثرية سكان القرى وتركوا منازلهم وما يملكون من متاع ليلتجئوا إلى مدينة آزخ، لكن أكثرهم قتلوا في الطريق على يد قطاع الطرق قبل أن يصلوا.

لقد وصل القليل منهم إلى مدينة آزخ بحالة مزرية، وقد أصبحت مدينة آزخ الملجأ الوحيد كسفينة نوح لهؤلاء اللاجئين، وفي هذا الوقت كانت عائلة الأسقف حنا ايليا تسكن في قرية (مسورية) (١) الواقعة على الضفة الشمالية من نهر دجلة الذي يفصل بينها وبين جزيرة بن عمر.

لقد اصبح من الصعب على حنا ايليا وعائلته أن يبرحوا قرية (مسورية) عن طريق جزيرة بن عمر لأن الطريق أصبح غير آمن لوجود رجال العشائر الكردية والمرتزقة الذين جاءوا من المناطق البعيدة، يجوبون الطرق ليصطادوا الهاربين من قراهم، ورأس الإنسان المسيحي لا يساوي بصلة.

فما كان من المدعو لحدو بن مقسي مراد الملقب (حدو ستو) إلاّ

١- مسورية: كلمة آرامية (ܡܣܘܪܐ) تعني: جَسور - جريء، أي: القرية الجريئة الجسورة، سكانها من الكلدان الآراميين.

أن يذهب من آزخ قاصداً صديقه علي آغا رئيس عشيرة (مما) في قرية (زيوة) (١) الواقعة على رأس الزاوية لنهر دجلة، وتبعد ثلاثون كيلومتراً عن مدينة آزخ.

لدى وصول (حدو ستو) لقرية (زيوة)، رآه علي آغا فرحب به ترحيباً بالغاً وقال له: أهلاً بسمام (٢) واستغرب علي آغا من مجيئه إليه مخاطراً بنفسه لو لم يكن لديه مهمة صعبة جداً لإنجازها، وعلم منه بأنه يريد الذهاب إلى قرية (مسورية) لجلب شقيقته سيدي مع أولادها الثلاثة.

فوراً أمر علي آغا رجاله بأن يجهزوا له (كلك)، ليقطع نهر دجلة عليه إلى الضفة الأخرى، ليذهب إلى قرية (مسورية) لجلب شقيقته مع أولادها الثلاث، ورجع حدو ستو مع شقيقته وأولادها، وجاء مروراً بقرية (أوصر) (٣)، فرحبوا به وقالوا له: أهلاً بسمام، لأن سكان قرية (أوصر) أيضاً ينتمون إلى عشيرة (مما). فسقوهم الماء وقدموا لهم الطعام، ومن ثم رافقهم بعض الرجال لحراستهم حتى أوصلوهم بالقرب من سور المدينة، وقفلوا عائدين إلى قرية (أوصر).

١- زيوة: كلمة آرامية (ܪܘܫܐ . ܙܘܝܬܐ) تعني: رأس الزاوية، لأن هذه القرية تقع على رأس الزاوية من نهر دجلة، فسميت الزاوية (زيوة).

٢- بسمام: كلمة آرامية (ܒܣܝܡ ܒܣܝܡܘܬܐ) تعني: فرح ـ سُرَّ، إن كل كردي من عشيرة (مما) يصادف أحد الآزخيين يقول له: مرحبا بسمام، أي: انه مسرور بلقائه.

٣- أوصر: كلمة آرامية (ܐܫܪ) تعني: أعتق ـ حرّر، أي: القرية المحرّرة.

هكذا كان التعاون المخلص والمساعدات النبيلة التي كانت تقدمها هذه العشائر الكردية الصديقة لأهل آزخ.

وأكبر برهان وأعظم مثال، كما مرّ معنا في بحثنا، كيف كاد ينفذ البارود ومادة الملح وغيرها من المواد التموينية، لأنه وقتئذٍ كان الوضع يتطلب الإكثار من إطلاق الرصاص لردع المهاجمين عن المدينة.

فلما أصبح البارود متوفراً وُزع على المقاتلين مع الرصاص في أماكن الدفاع فوق السور والمواقع الدفاعية الأخرى.

وقد استمر الحصار من جهة والدفاع البطولي من جهة ثانية، وأصبح السور المتعرج الذي عمله الجنود والخندق قريبين من سور المدينة، وكانت خطة الأتراك واضحة جلية، فمن هذا المكان سيشنون الهجوم المباغت لتحطيم دفاع الآزخيين وتدمير سور المدينة على رأس المدافعين والقضاء عليهم وإبادتهم، وكان هَمْ جنود الأتراك وشاغلهم هو الإيقاع بالمدافعين عن السور.

وعلى أثر خطة الأتراك اللعينة، قرر أهل آزخ تشكيل فرق انتحارية برئاسة حانونكو الاسفسي على رأس خمسة عشر رجلاً من الرجال البواسل الأشداء، فخرجوا ليلاً من فتحات السور الأرضية السريّة، حتى وصلوا إلى مكان وجود الأتراك.

زحفوا على بطونهم بين الصخور وتوزعوا إلى تشكيلات وتغلغلوا بين الخنادق ليفاجئوا الجنود ومتخفين قدر المستطاع، لأن الغيوم في هذا الليل ساعدتهم على التخفي لشدة الظلام الدامس، حيث إن الفدائيين

المتطوعين كانوا قد رصدوا مواقع الجنود قبل خروجهم من فتحات السور السرية، رأوا كيف كان الجنود يتمركزون في الخنادق وتحت الخيام.

وبالرغم من التخفي والحذر الشديد، لكن بعض الجنود شعر بحركة وصوت خشخشة العشب الناشف مما أثار انتباه أحد الجنود فأطلق رصاصة نحو الصوت، فأصابت الرصاصة حانون رئيس المجموعة الفدائية فقتل في الحال، لكن الفدائيين لم يردوا على إطلاق الرصاص بالمثل، بل أكملوا زحفهم منبطحين على الأرض، حتى اقتربوا من خنادق الجنود وخيامهم. وجدوا الجنود نياماً، فأطلقوا الرصاص فجأة على الجنود النائمين في الخيام، لأنهم كانوا متعبين ومنهكين من القتال الضاري، وقلوبهم خائفة واجفة، وأحدهم بين نائم وصاح، هبّ الجنود مذعورين ومرتبكين لهول المفاجأة، وانهمر الرصاص عليهم، فلم يخطر بخلدهم بتاتاً، بأن أهل آزخ سوف يهاجمونهم في مواقعهم بهذه الصورة، وقد استمر إطلاق الرصاص على الجنود دون انقطاع.

رد الجنود على إطلاق الرصاص بدون وعي وإدراك، وبلا تمييز على من حولهم، من رفاقهم الذين أمامهم، فلم يميزوا بعضهم البعض، من كثرة الظلام الدامس، فترك بعضهم الخنادق والخيام لينجوا بأنفسهم، وكانوا يدوسون على أجسام الانتحاريين وهم ساكنون بلا حراك، وعند اجتياز الجنود لهم أطلق الانتحاريين عليهم الرصاص من الوراء فقتلوهم.

دبّ الذعر والفوضى بين الجنود، فقتلوا بعضهم بعضاً، فمنهم القاتل والمقتول.

أما المفاجأة الكبرى التي اصطدم بها رأس عمر ناجي بك، هي: انه امتطى حصانه وانطلق لا يلوي على شيء، مما سبب الذعر بين جنوده، وهربوا دون أن يلتفتوا إلى الوراء تاركين أسلحتهم ومعداتهم الحربية في الخيام.

وفي هذه العملية الانتحارية التي سببت قتل الجنود بعضهم بعضاً، قُتل ألف جندي عدا الجرحى.

وعند الفجر وقبل بزوغ الشمس نزل أهل آزخ إلى مكان المعركة في بيدر العميق، وجمعوا الأسلحة والذخائر التي خلّفها الجنود في أرض المعركة وجلبوها معهم.

فرح أهل آزخ لاستيلائهم على هذه الأسلحة الحديثة والمعدات الحربية الأخرى، وأصبح لديهم من القوة لحصولهم على العتاد الحربي الهائل فيمكنهم من الصمود أمام العدو.

بعدما غنموا هذه الأسلحة الحديثة، استغنوا عن تلك الأسلحة القديمة التي تحشى بالبارود، وقد تدربت النساء على استعمال الأسلحة التي جلبها الفدائيون بالآلاف.

وصارت النساء تحاربن جنباً إلى جنب مع الرجال، مما اضطر الجيش التركي والعشائر الكردية مع المرتزقة أن يلوذوا ويبتعدوا عن سور المدينة لكي لا يصلهم رصاص هذه الأسلحة لمداها البعيد، وتصيب الهدف عن بعد، لأنه اصبح لها تأثير قوي على المهاجمين.

في هذه المعركة الليلية، لم يقتل من الفدائيين سوى البطل حانون رئيس المجموعة فقط، أما بقية الرجال عادوا سالمين إلى داخل المدينة.

وقد انسحب الجيش التركي إلى بئر (حسيكو) (١) وكروم الـ (بيلان) (٢) البعيدة عن مرمى الأسلحة التي حصل عليها أهل آزخ.

أما رجال العشائر الكردية والمحلمية والمرتزقة انسحبوا من جنوب المدينة وتركوا قتلاهم بالآلاف في أرض المعركة تملأ أرض البيادر، وعادوا إلى حيث أتوا.

بعد أن تمّت العملية الانتحارية بنجاح، مِن قِبَل رجال آزخ البواسل، وكيف تمكنت هذه الفئة القليلة من الفدائيين، بأن تقضي على ألف جندي تركي وهزمهم من مواقعهم، كما هزموا من بعدهم رجال العشائر الكردية وعددهم بالآلاف، يقول المثل: كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة.

وعلى أثر النكبة التي حلّت بجنود اللواء عمر ناجي بك، وحطمت معنوياته، ولم يبقَ من جنوده إلاّ القليل لحراسته، فقد استنجد بوالي دياربكر لإرسال قوات إضافية جديدة وبأعداد كثيرة، لمهاجمة مدينة آزخ من جديد للقضاء على سكانها وإبادتهم جميعاً انتقاماً لما حصل له، حيث أُبيد معظم جنوده، وقضوا على الآلاف من رجال العشائر الكردية والمحلمية الذين جلبهم معه، وقد هرب أكثرهم، واعتصم مَن بقي منهم في كروم الجبل البعيدة.

١- حسيكو: كلمة آرامية (ܚܣܝܟܐ ܘܚܣܟܐ) تعني: غياض غابات من الأشجار.

٢- بيلان: كلمة آرامية (ܒܠܐ ـ ܒܠܝܐ) تعني: بلي ـ عتق ـ شاخ ـ هرم ـ فسد ـ بيارات، كروم قديمة.

لقد تسربت الأخبار بواسطة الفارّين من القرى المنكوبة الذين وصلوا إلى الموصل وأخبروا البطريرك عمانوئيل والمطران توما القصير، عن القتل وسفك الدماء والمظالم بحق الشعب السرياني الآشوري في قرى طورعبدين وماردين، وان الجيش التركي والعشائر الكردية الذين جلبهم اللواء عمر ناجي بك من المناطق البعيدة، وعددهم عشرات الآلاف، يحاصرون الآن مدينة آزخ منذ ثلاثة أشهر للقضاء على سكانها وإبادتهم جميعاً.

على أثر هذه الأخبار الأليمة التي لا تصدق، اتصل غبطة البطريرك عمانوئيل والمطران توما القصير، بواسطة زعماء العرب في الموصل، الذين جمعوا بعض الهدايا الثمينة، وذهبوا لمقابلة أنور باشا القائد العام للجيش التركي في العراق، وقد مهّدوا الطريق لهذا اللقاء معه.

فكانت مقابلة غبطة البطريرك والمطران مع اللواء أنور باشا، ودّية بحضور زعماء العرب في الموصل، وأعلموه عن المجازر والقتل والإباحية للنساء وقتل الأطفال، من الشعب السرياني الآشوري في قرى طورعبدين وماردين وجزيرة بن عمر، وإن مدينة آزخ الآن محاصرة من قبل جنود اللواء عمر ناجي بك ومعه العشائر الكردية التي جلبها من مناطق ماردين والبشيرية ونصيبين وجبل سنجار، للقضاء على سكانها السريان الآشوريين المسيحيين.

وطلبوا من أنور باشا، أن يرعى بعطفه ويرحم هذا الشعب المسالم الذي هو من رعايا الدولة العليا.

فكانت بادرة حميدة منه، فأصدر أمراً بعدم التعرض لجميع القرى المسيحية أينما وجدوا، وأصدر أمراً خاصاً إلى عمر ناجي بك بالانسحاب فوراً والعودة إلى جزيرة بن عمر مركز قيادته تحت طائلة المسؤولية، وإعلام جميع العشائر الكردية والمحلمية بالعودة فوراً إلى المكان الذي أتوا منه، ومنعهم من التعرض للمسيحيين من الآن فصاعداً.

وكل من يخالف هذا الأمر يحكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص، لما وصل الأمر إلى عمر ناجي بك، فوراً أمر جنوده الذين لم يبقَ منهم سوى ألفي جندي، حيث قتل معظمهم أمام سور مدينة آزخ، فانسحب مع جنوده إلى جزيرة بن عمر، وكذلك انسحبت العشائر الكردية والمرتزقة، وأرسل اللواء أنور باشا جنوداً لحماية وحفظ الأمن في قرى طورعبدين.

لقد نجت مدينة آزخ من الدمار والإبادة سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ وإنها المدينة الوحيدة التي أصبحت قدوة في البطولة والإيمان بيسوع المسيح، ومضرب مثل في البطولة والانتصار على الجيش التركي المجهز بالمدافع الميدانية والأسلحة الحديثة الفتاكة، بمساندة عشرات الآلاف من رجال العشائر الكردية والمحلمية والأومريان وجيلكا والصورانية والحمكية والدولمحكية وغيرهم من المرتزقة الذين جلبهم اللواء عمر ناجي بك من هذه المناطق البعيدة.

لكن الله أرحم من الأتراك الظالمين ومَن معهم من المرتزقة فقد اندحروا وانكسروا وولوّا هاربين أمام ضربات الفدائيين الانتحاريين من رجال آزخ، ومزقوا شملهم، فلم يرجع منهم إلا القليل، وأُبيد أكثرهم، وذلك بقوة الله، والعجائب التي ظهرت في كنيسة العذراء أم يسوع، بواسطة ذلك المدفع العجيب الذي كان يطلق من مكان في وسط قبّة الناقوس، الذي

فتشوا المكان الذي ترغبون تفتيشه بكل حرية، اتّجه الضابطان مع الطبيب، وصعدوا إلى مكان قبة الناقوس فوق سطح الكنيسة الذي كان يخرج منه اللهيب والصوت العجيب، وباعتقادهم أنه المدفع المزعوم.

لأنهم كانوا قد رصدوا هذا المكان والموقع قبل مجيئهم، وقد رافقهم بعض وجهاء البلد وفتحوا لهم باب الكنيسة بالمفتاح الذي كان بحوزة الساعور الشماس كيري يعقوب صاري، فتشوا داخل الكنيسة جيداً، فلم يعثروا على شيء، ثم طلعوا من الدرج الداخلي إلى سطح الكنيسة فلم يجدوا سوّى قبّة الناقوس الذي يخرج منه صوت المدفع واللمعان الذي كان يبهر العيون.

وقد استغرب الوفد وخاصةً الضابط الألماني قائد المدفعية، الذي كان يرصد هذا المكان بالذات، وصار يهز برأسه من حين إلى حين، لأنه رصد هذا المكان أكثر من مرة، وكان واثقاً أنه سيجد هذا المدفع ذو الصوت الرهيب واللهيب العجيب.

بعد التفتيش الدقيق داخل وخارج الكنيسة وفوق السطح ومكان المدفع المقصود، ترك الوفد المكان وهم مذهولين غير متوقعين فشلهم وخزيهم ورجعوا إلى المعسكر.

ان هذه المعجزة العجيبة التي حدثت في كنيسة العذراء في آزخ، حتى الأعداء شهدوا لها ورأوا النور الذي يبهر العيون وسمعوا الصوت الرهيب.

في سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ذهب المدعو ملكي أنطون بهنان الشماس إلى ألمانيا لإجراء عملية جراحية مستعصية للورك، بعد عودته من ألمانيا قصّ حكاية جرت معه في المشفى الذي كان يعالج فيه.

قال: كنت مضطجعاً على الفراش، فجاءني أحد المطارين الألمان يتفقد المرضى، سألني من أين أنت باللغة الألمانية التي لا أفهمها، فأتى مترجم وأفهمني ذلك، أجبته: أنا من الجزيرة في سوريا، قال: هل تعرف جزيرة بن عمر؟ قلت له نعم، قال: هل تعرف مدينة آزخ؟ قلت له: نعم أنا من أهل آزخ.

قال: أنا كنت مسؤولَ عن المدفعية سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦ عندما حاصرنا مدينة آزخ، وأنا الذي قمت بمحاولة الكشف عن المدفع العجيب الذي كان يطلق من مكان عالي في وسط المدينة، وقد رصدت هذا المكان أكثر من مرة جيداً، وظننته مدفع انكليزي، غير أنني فتشت داخل الكنيسة وخارج الكنيسة، وطلعنا فوق السطح فلم نجد شيئاً مما كنا نتوقعه.

علمت بقرارة نفسي وقتئذ بأنها أعجوبة من أعاجيب السيد المسيح بواسطة أمه العذراء مريم، وقدرة إلهية لا يمكن تحليلها البتة، وهذا ما دفعني بعد عودتي إلى بلادي أن أترك الجيش والأمور الدنيوية لأصبح راهباً وجندياً متعبداً للسيد المسيح.

فتراني الآن مطراناً أزور المرضى وأنني فخور جداً لأن ربنا وإلهنا يسوع المسيح اختارني جندياً مناضلاً له (١).

كيف انتصرت مدينة آزخ؟؟

ان سبب انتصار مدينة آزخ على الأعداء، كان بقوة إيمانهم بالسيد المسيح، وبعقيدتهم الأرثوذكسية، وتلك المعجزة العجيبة التي ظهرت في كنيسة العذراء أم المسيح، وبالأخص محبتهم لبعضهم البعض كما أمرهم السيد المسيح إذ قال: " أحبوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم "(٢).

١- ان اسم الضابط الألماني هو: برنارد لويس - BERNARD GUIS - ترهب على أثر ظاهرة المدفع العجيب ذي اللهب الرهيب الذي كان يطلق من كنيسة العذراء أثناء حصار مدينة آزخ من قبل الجيش العثماني سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ في الحرب الكونية الأولى. أما ملكي أنطون كان سريانياً كاثوليكياً متعصباً للغاية، وكان يرفض الدخول إلى كنيسة السريان الأرثوذكس، لكن بعد لقائه مع المطران برنارد لويس الضابط السابق في الجيش الألماني، وقصّ عليه حكاية المدفع العجيب، أصبح ملكي أنطون فيما بعد مؤمناً يواظب على الصلاة في كنيسة السريان الأرثوذكس هو وكافة أبنائه حتى مات ودفن في دير مار يعقوب للسريان الأرثوذكس في المالكية (ديريك) سابقاً.

٢- انجيل يوحنا: الإصحاح ١٥ العدد ١١ " هذه وصيتي أحبوا بعضكم بعضاً مثلما أحببتكم، ما من حبّ لأعظم من هذا لأن يضحي الإنسان بنفسه في سبيل أحبائه ".

وهذا ما ساعدهم على دحر العدو وانتصارهم على الجيش التركي وعشرات الآلاف من رجال العشائر الكردية والمرتزقة.

فلولا إيمانهم الثابت بالسيد المسيح ومحبتهم لبعضهم البعض، لما تمكنوا من الصمود أمام هذه الجحافل الكثيرة من الجيش التركي الظالم ورجال العشائر والمرتزقة وعددهم بالآلاف.

أما الحكومة العثمانية الطورانية، كانت نظرتها أبعد من ذلك، تحرض الأكراد بواسطة رجال الدين، وتغدق عليهم الأموال والذهب الرنان، لإصدار الفتاوي بقتل السريان المسيحيين باعتبارهم من المشركين، كما يزعمون بفتاويهم.

الغاية من ذلك إضعاف قوة الشعب الكردي وتخدير عقول البسطاء الأُميين منهم، لكي لا تقوم لهم قائمة، حتى لا يفكروا يوماً من الأيام أن يطالبوا بحقوقهم القومية والاجتماعية.

وجعلت منهم شعباً بدائياً متأخراً عقلياً وثقافياً واجتماعياً كما حصل مع الشعب العربي من قبلهم، وحكمته باسم الدين مدة ٤٠٢ سنة. ولاتهام الأكراد بقتل الشعبين الأرمني والسرياني الآشوري المسيحي، وبذلك يحصل المجرمون الحقيقيون على براءة ذمة من المجتمع الدولي، لينصبّ حقد جميع المسيحيين في العالم على الشعب الكردي، وبهذه الطريقة أراد الأتراك أن يتخلصوا من جريمة قتل الأرمن والسريان المسيحيين ضمن أراضي الدولة العثمانية.

وضع مدينة آزخ بعد الحصار

انفك الحصار عن مدينة آزخ، واندحر المعتدون في آخر الشهر من تشرين الثاني ١٩١٦، وكانت نتيجة هذا الحصار، ان المعتدين أتلفوا الكروم وأحرقوا الزروع وسلبوا المواشي التي كانت ترعى خارج السور، بحيث لم يتمكن الرعاة من إدخالها إلى المدينة أثناء هجوم الجيش التركي والعشائر.

هرب الرعاة وتركوها للسلب والنهب، ولم يبقَ من المؤن إلاّ القيلي، وكانت هذه المواد المتبقية تحت تصرف الجميع من دون استثناء، والذي ساعد أهل آزخ أثناء الحصار هو مساعدة بعض القرى الكردية مثل قرية (بارما) وغيرها من القرى الكردية، كما جاء في بحثنا سابقاً.

حيث كانوا يجلبون البارود ومادة الملح النادرة الوجود التي بدونها لا يعيش الإنسان، وهذا المعروف لم يُنتسَ.

أما قرية (باقيا) التي ينتمي سكانها إلى عشيرة (هارونية) (١) فقد استقبلوا العائلات الآزخية وأسكنوهم معهم (راجع الصفحة ٣٥).

ولمدينة (مما) الفضل، منذ عهد الشماس اسطيفو، ولغاية فك الحصار عن مدينة آزخ، لأن عشيرة (مما) هي أقرب العشائر الكردية

١- هارون: إنه إله الحياة والموت معبود الكنعانيين، أخذه اليهود فعبدوه، قديماً كانت هذه العشيرة تعبد الإله هارون، فسميّت عشيرة الهارونية.

بصلة القربة، لأن أهل آزخ أيضاً ينتمون إلى عشيرة (مما)، منذ القديم عندما كانوا يعبدون سوية الإله (مما) قبل المسيحية والإسلام.

فلما قلّت المواد التموينية، وتعذّر الحصول عليها، مما اضطر أهل آزخ القيام بغزو القرى المعادية البعيدة لجلب الطعام والمواشي والحبوب لتموين العائلات، فلم يكن لديهم وسيلة أخرى لتأمين معيشتهم سوى الغزو ليلاً على القرى المعادية، وكان يساعدهم رجال من عشيرتي (مما) وهارونية الصديقتين.

عندما كانوا يجلبون ما يحصلون عليه من مواد تموينية بعد الغزو، كانوا يوزعونها بالتساوي على الجميع، منهم الملتجئ وابن المدينة دون تفريق، والمساواة في التوزيع مكّنتهم من العيش واستمرارية الحياة.

أما العائلات ظلّوا في البيوت مع أطفالهم، يطحنون القمح والشعير والدخن (١) في طواحين بدائية تُدار باليد لطحن زجرش الحبوب على أنواعها في (جاروشة) (٢) ويضعون الخبز على الصاج أو في التنور (٣)، إن أهل آزخ أول من استعمل جاروشة لطحن الدخن (الذرة) والحبوب، كانوا يغسلون ثيابهم في ماء مغلي لقتل القمل والصيئبان.

١- دخن: كلمة آرامية (ܕܘܚܢܐ) تعنيك دخن ـ ذرة بيضاء ناعمة، تطحن الذرة ويصنع منها الخبز.

٢- جاروشة: كلمة آرامية (ܓܪܘܫܬܐ) تعني: مهراس ـ جاروشة، تستعمل لطحن الحبوب.

٣- التنور: كلمة آرامية (ܬܢܘܪܐ) تعني: تنور ـ آتون، يشوى به الخبز.

ولعدم وجود صابون للغشيل، كانوا يستعملون (كيل) (١) لغسل الثياب، أما لباس أهل آزخ كان من عمل نسيج أيديهم، حيث لا يوجد في البيوت أنوال نسيج يدوية (جومة) (٢) وهي معروفة ومشهورة منذ القديم، كانت هذه الحرفة رائجة يعيشون منها على أحسن حال.

كانت النساء تغزل الصوف والمرعز من شعر الغنم والماعز، وتصنع منه خيوطاً رفيعة ودقيقة جداً، والرجال يحيكون من هذه الخيوط الرفيعة ثياباً وسراويل، ويصبغونها بالألوان الزاهية حسب رغبتهم، ويغملون منها (شال شابك) (٣) كان هذا النوع من اللباس غالي الثمن وملون عدة ألوان زاهية، يلبسه الأشخاص الذين لهم مكانة اجتماعية بين الناس.

ان أهل آزخ هم أول من استعمل هذا النوع من اللباس، حتى أصبح لباس جيش كلدو آشور.

ومن يود زيارة المتحف الوطني بحلب، عند دخوله إلى المتحف

١- كيل: كلمة آرامية (ܟܝܠܐ ܟܠܐ) تعني: استدار ـ دور. كرة طين من التراب يفركون بها الثياب لعدم وجود الصابون.

٢- جومة: كلمة آرامية (ܓܘܡܐ جمعها ܓܘܡܐ̈) تعني: جوم ـ جورة، توضع آلات النسيج بداخلها لنسج الأقمشة.

٣- شال ـ شابك: كلمة آرامية (ܫܠܐ) تعني: شليل لباس من الصوف أو الماعز، و (ܫܒܟ) تعني: قائد العسكر، أي انه شال قائد العسكر، وكان قديماً لباس الجيش الآشوري وأهل آزخ، إنه لباس غالي الثمن يقتني هذا اللباس مَن له مكانة اجتماعية في المجتمع.

سيجد لوحة كبيرة عليها صورة قائد آشوري يلبس (شال شابك) وعلى رأسه قبّعة مخروطية كالتي يلبسها أهل آزخ قديماً.

أما لباس النساء كان من نسيج قماش الـ (قزّ) (١) الذي ينسجوه من الجومة، وكان هذا النوع من اللباس غالي الثمن، وكل امرأة كانت تلبس فستان من قماش القز، كان يشار إليها بالبنان لجمال هذا النوع من القماش إسوة (بالشال شابك).

وكانوا يصنعون من خيطان الصوف الغليظة ميازر (٢) يلتحفون بها وينامون عليها، جميع هذه الأشياء من ألبسة وميازر كانت تصنع بواسطة الـ (جومة).

هكذا كان أهل آزخ يعيشون بالاعتماد على النفس، ونضالهم الدؤوب في جميع أدوار حياتهم، كانوا القدوة الحسنة المميّزة في هذه المنطقة الحساسة، ويتفاعل مع العشائر الكردية المجاورة لهم وباحترام متبادل فيما بينهم، كما ساعدت هذه العشائر أهل آزخ وحاربوا جنباً إلى جنب ضد العشائر الكردية البعيدة المعتدية.

وأكبر مثال على ذلك، لما كانت مادة الملح نادرة الوجود ومن

١- قز: كلمة آرامية: (ܩܙ - ܩܙܐ) تعني: إنه ابريم (قز) له شجر شبيه بشجر القطن، ينبت هذا النوع من الشجر على ضفاف نهر دجلة، له جوز كجوز القطن يفتح جوز القز في شهر تشرين الأول، يتم جمع القز ويغزل غزلاً رفيعاً ثم ينسج ويصبح قماش من الابريم لعمل فساتين للنساء وهو غالي الثمن جداً.

٢- ميزر: كلمة آرامية: (ܡܐܙܪܐ) تعني: ميزر- أزار- بطانية.

الصعب الحصول عليها أثناء الحصار وبعده، فقد تبرعت المرأة الفاضلة فاطمة زوجة الشيخ نوري سردحلي (١) وابنتها نورا الجميلة لجلب مادة الملح لأهل آزخ على ظهور البغال والحمير من بحيرة الخانونية بالقرب من جبل سنجار، وقد سكنت فاطمة ونورا الجميلة في مدينة آزخ وأقامتا فيها حتى انجلى الوضع.

هكذا كانت النساء الكرديات الشريفات اللواتي قمن بمساعدة أهل آزخ، أثناء أيام الصعاب، وقد استطاعوا البقاء على قيد الحياة، رغم كل ما أحاط بهم من عوامل الضغط والفناء.

والمثل القائل: من حاصر الأسد في عرينه، سيهجم عليه ويبطش به مهما كانت قوته البدنية، لقد جلبت الحكومة العثمانية رجال العشائر الكردية من المناطق البعيدة ومعهم الآلاف المرتزقة، ودعتهم لإبادة سكان مدينة آزخ المسالمين.

لكن الأسد الآزخي فرق شملهم وبددهم في الفلاء، ولم يبقَ على أحد منهم، وقضى عليهم بالرغم من كثرة عددهم وعتادهم الحربي ومدفعيتهم الميدانية، كما قيل: كم فئة قليلة، غلبت فئة كثيرة.

وبالرغم من ظهور بعض النعرات العدائية بين الأكراد والسريان والآشوريين، التي افتعلها أعداء هذين الشعبين خاصة بعد اعتناق الأكراد الدين الإسلامي، إلاّ أن التعاون والتقارب والمحبة ظلت موجودة بين أبناء

١- سردحلي: كلمة آرامية: (ܣܪܕ) تعني: شجر السرو. و(ܕܚܠܐ) تعني: العابد - التقي - الورع.

الشعبين في كل من أورفا - ديار بكر - سنجار وبالأخص في مدينة آزخ، إنها المثال المبين، ولا يوجد أي دليل يشير إلى أن الأكراد أضرّوا بالسريان الآشوريين خاصة قبل دخول الاسلام إلى كردستان.

لقد قام العدو بإعداد السيناريوهات المختلفة بغية دق اسفين بين الشعبين، كما دأب العدو التركي على إظهار الأكراد إنهم أعداء السريان الحقيقين، ولكن الحقيقة أن الأتراك استغلوا بعض الأكراد باسم الدين للإيقاع بين الشعبين والتخلص منهما (١).

لقد سعت البربرية التركية إلى سحق شعوب الشرق الأوسط كافة، وإبادتها عن بكرة أبيها بشكل بعيد كل البعد عن تعاليم الأديان السماوية والأعراف الإنسانية، وان السرياني الآشوري الذي يعتبر من أقدم الشعوب تاريخياً وحضارياً في المنطقة كان واحد من تلك الشعوب المستهدفة.

وهنالك في أيامنا الراهنة محاولات حثيثة من قبل الطورانية التركية للقضاء على البقية الباقية من تلك الحضارة العظيمة بما فيها إزالة آثار الكنائس التاريخية بواسطة عملائها المتزمتين كما فقلت سابقاً.

وبالحقيقة ان الشعب الكردي ليس مسؤولاً عن المجازر التي حدثت للأرمن، إنما المسؤولون عن ذلك هم الأتراك الطورانيين الذين سخّروا بعض المرتزقة الأكراد وحاولوا استغلال المشاعر الدينية بواسطة الملالي لتنفيذ مآربهم.

وفي الوقت الحاضر، يقوم هؤلاء القلة من الأكراد ضد الأكراد

١- مجلة كردستان العدد ٢٠ ص ١٩- ٢٠- ٢١ لقاء آبو APO مع مجلة صوت كردستان العدد ٢٠ تشرين أول ١٩٩٣.

ومحاربتهم أيضاً من حزب الله (حماة القرى) التي يدعمها الأتراك لقتل إخوتهم الأكراد، كما كانت في الماضي الفرق الجميدية ضد الشعبين الأرمني والسرياني الآشوري، ثم ضد الشعب الكردي، حيث قامت بارتكاب المجازر وخلق الفتن بينهم.

وفيما بعد جاء مصطفى كمال متبعاً أساليب وأسلحة أقذر من أساليب عبد الحميد، فقد سحق الانتفاضة التي ظهرت في حكاري تحت قيادة المطران شمعون وبشكل وحشي، إذ استعمل الأكراد مرة ثانية بشكل سيء ضد هذه الانتفاضة.

وفي النهاية التفتوا إلى الأكراد وأوقعوا فيما بينهم بغية القضاء عليهم أيضاً، لذلك يجب إعادة الاهتمام بشكل كبير لإظهار هذا التاريخ للأجيال القادمة والتوقف عنده.

بعد كل هذه المحاولات المستميتة مِن قِبَل الأتراك، فقد توصل أهل آزخ بعد الحصار إلى الاتفاق مع الأصدقاء الأكراد لأن يهاجموا الأكلاك عبر نهر دجلة، لإيصالها إلى جزيرة بن عمر، لأنه لم يبقَ لدى أهل آزخ مصدر رزق غير السطو على الأعداء لجلب المواد التموينية للجياع والمحتاجين.

وبالرغم من أن بعض العشائر الكردية كانت ترسل بعض المواد التموينية إلاّ انها لم تكفِ هذه لسد حاجات سكان المدينة الكثيرين، لأن هذه العشائر كانت تُسلب أيضاً مِن قِبَل جنود الأتراك وزبائنهم من المرتزقة، فقلّت المؤن لديهم، وشمل هذه العشائر الضنك والجوع القاسي، مما أدى ذلك إلى اشتراك عدد من رجال الأكراد من عشيرة (هارونية) مع أهل

آزخ للسطو على الأكلاك، وتجريد جنود الأتراك من أسلحتهم، والاستيلاء على المواد التموينية أيضاً.

فقد اتهموا الأكراد بهذا العمل، لأن أهل آزخ كانوا يتكلمون مع الأكراد باللغة الكردية، أثناء عمليات السطو على الأكلاك، ولم يتكلموا باللغة العربية.

برزت مدينة آزخ إلى الوجود منتصرة قوية، وصارت تهاجم الأعداء الذين لم يرق لهم النصر الذي أحرزته على الأتراك وأعوانهم، فاستقر الأمن قليلاً في المنطقة، حتى صارت المؤامرات والدسائس تُحاك من جديد على أهل آزخ، للقضاء عليهم مِن قِبَل بعض العملاء الحاقدين.

لقد حرّضت الحكومة التركية وأثارت ضغينة بعض زعماء الأكراد الحاقدين من العشائر القاطنة في منطقة نصيبين وتوابعها مثل عشيرة البوتكية والحمكية والدومانية وعلى رأسهم المدعو حسي بركات.

فقد جمع رؤساء العشائر ووضع خطة جهنمية لاقتحام مدينة آزخ من جديد للقضاء على سكانها وإبادتهم.

كومة حسي بركات

كان حسي بركات من الآغاوات الذين لهم صلة وثيقة مع الأتراك، لأنه كان يقدم لهم فدائيين ومرتزقة أبان الحرب العالمية الأولى في الجبهة الروسية تحت قيادته، وقد اشترك في القتال ضد الجيش الروسي والأرمن، وخاض المعارك في جبهة القوقاس.

فلما رجع من الجبهة إلى بيته اجتمع عنده رؤساء العشائر ليسلّموا عليه ويهنئونه بسلام عودته، ومن حديث إلى حديث ورد في أحاديثهم بأنهم قضوا على الكفار المسيحيين في منطقة نصيبين وقراها وجزيرة بن عمر.

إلا أن مدينة آزخ قد عصت وقاومت ودحرت الجيش التركي المؤلف من عشرين ألف جندي وعشرات الآلاف من رجال العشائر الكردية والمرتزقة، فتخلوا عن حصارها رغماً عنهم، ولا زال رجال آزخ ينهبون ويسلبون القرى الكردية باستمرار حتى اليوم.

فلما سمع عن بطولة أهل آزخ انزعج جداً، واستاء بسبب سيطرة أهل آزخ على المنطقة بأكملها، تشاور مع رؤوساء العشائر، ووضعوا خطة هجومية بقيادة حسي بركات قائداً ومسؤولاً عن تنفيذ عملية الهجوم التي ستقضي على أهل آزخ، فقد جمع الكثير من الرجال الذين اشتركوا معه في القتال في جبهة القوقاس، ومن الرجال الذين كانوا قد اشتركوا مع الجيش التركي بحصار مدينة آزخ.

وصل الآلاف من رجال العشائر الذين يقطنون في المناطق التي يبلغ قطرها مئة وخمسون كيلومتر، وتواجدوا في مواقعهم ليلاً تحت جنح الظلام، لتنفيذ الخطة الملعونة التي وضعها لهم حسي بركات، والمصممة على الكمائن ليباغتوا أهل آزخ للقضاء عليهم وإبادتهم، وقد أرسل بعض الرجال لاكتشاف مكان المواشي والأبقار التي ترعى فيها.

لكن هذه الحيوانات كانت تحت حراسة مشددة، من رجال آزخ، مما أتاح لهم اكتشاف رجال حسي بركات وانكشفت الخطة التي وضعها حسي بركات ليباغت أهل آزخ ويقضي عليهم، لأن خطورة هذه الخطة التي رسمها لا تقلّ عن خطورة الحصار الذي ضربه الأتراك على مدينة آزخ.

إلاّ أن هذه المرة قضي على هذه المؤامرة والخطة الجهنمية، في يوم واحد ، فاندحروا وخلفوا وراءهم في ساحة المعركة الآلاف من القتلى والجرحى، وذلك لخبرة أهل آزخ بفنون القتال وخوض المعارك التي اكتسبوها أثناء الحصار وفي المعارك المستمرة، ومن غزو القرى لجلب المواد التموينية لمعيشتهم.

وقد أصبح الرجل الآزخي لا يفكر بنفسه قدر ما يفكر كيف يقاتل ويناضل حتى يحصل على لقمة العيش، ومن المواد التموينية لإعاشة النساء والأطفال وحمايتهم من الهلاك.

أرسل قسم من رجاله لاكتشاف مكان المواشي حيث ترعى، لأنها تحت حراسة رجال آزخ بعدئذ قسم رجاله إلى مجموعات، ووضع ثلاث مجموعات منها بالقرب من مدينة آزخ لتكون على أهبة الاستعداد للهجوم عند أول إشارة.

وقد وضع مجموعة واحدة في الكروم الجنوبية، ومجموعة أخرى في طريق قرية اسفس في كروم الشمال، أما المجموعة الرابعة في طريق جزيرة بن عمر من جهة الشرق، فتخفت في أمكنتها تحت جنح الظلام ليلاً وراء جدران الكروم وفي الأمكنة المنخفضة لتسترهم عن العيون.

وقد خصص مجموعتين مهمتهما الالتفاف وقطع الطريق عن الرجال الذين سيذهبون لحراسة المواشي للحفاظ عليها.

أما المجموعتين الباقيتين مهمتهما الهجوم على مدينة آزخ وإشعال النار في البيوت والمنازل، وقتل كل من يشاهدونه إن كان رجلاً أو من النساء والأطفال، الكمين المرابط بين الكروم في طريق قرية اسفس يقوم بإحداث ضجة بإطلاق الرصاص لكي يتوجه رجال آزخ نحو مصدر إطلاق الرصاص، ليقعوا بالفخ المعد لهم للقضاء عليهم .

قبل الفجر ذهب الرجال الذين يحرسون المواشي التي ستصل إلى كروم الكتف العالي(١) لترعى حيث تكثر الحشائش والأعشاب المغذية.

١- كتف عالي: كلمة آرامية: (ܟܬܦܐ ܥܠܝܐ) تعني: كتف عالي: إنه قمة بآخر سلسلة من جبل إيزلا.

وقد كمن هؤلاء الرجال وراء حيطان الكروم كعادتهم لحراسة مواشيهم من اللصوص وقطاع الطرق المنبثين في كل مكان.

عند انبلاج الفجر وإضاءة النهار، رأوا بعض الرجال الغرباء يتلصصون على المواشي قبل أن تصل إلى مكان المرعى يرافقها الرعاة، فخوفاً من وقوع الرعاة الذين يرافقون المواشي بيد هؤلاء اللصوص.

أطلق الحراس الرصاص على الرجال الغرباء لتحذير الرعاة من التقدم بمواشيهم نحو الكتف العالي، لكنهم فوجئوا بأعداد كثيرة من الرجال كالجراد الزاحف، قابعين وراء حيطان الكروم، هجموا جميعهم نحو المواشي للاستيلاء عليها، فما كان من الرعاة إلاّ أن تركوا المواشي وهربوا لينجوا بأنفسهم، فقتل منهم بعض الرعاة، ووصل الباقون إلى آزخ تحت وابل من رصاص رجال حسي بركات، عند سماع أهل آزخ صوت الرصاص في هذا الصباح الباكر، فوراً أخذوا أسلحتهم للذهاب إلى مكان مصدر الصوت ، لينقذوا مواشيهم من اللصوص، خرج قسم من الرجال وتوجهوا نحو الكتف العالي لإنقاذ الرعاة والحراس الذين معهم، وكاد أن يلحق بهم آخرون ليقعوا بالفخ اللعين الذي أعده لهم حسي بركات، فتقع مدينة آزخ في قبضة رجاله، عندما تخلوا من الرجال.

وفي هذا الوقت صباحاً كان بعض الرعاة قد خرجوا مع أغنامهم مطمئنين غير مبالين للذهاب نحو قرية اسفس لأن هذا المكان يعتبر آمناً، وعند وصولهم إلى كروم (الكورنة) فقد أطلق عليهم الكمين الموجود في الكروم الرصاص فقتلوا بعض الرعيان وهرب الباقون، مما أثار انتباه أهل آزخ بوجود خطة جهنمية للإيقاع بهم، وأيضاً سمعوا أصوات ناس

كثيرين من غرب المدينة تحث وتحرض على الهجوم، رأوا آلاف الرجال تصيح (الله أكبر) وتقترب نحو المدينة كالجراد الزحاف.

حينئذ تأكد لأهل آزخ بأن هناك خطة ومؤامرة ملعونة مدبّرة من قبل المهاجمين للإيقاع بهم، فتصدى لهم أهل آزخ وأطلقوا عليهم الرصاص بكثافة وبطريقة فنية، فقتل وجرح منهم بالمئات وأشلائهم تتبعثر على الأرض، مما اضطر المهاجمين إلى التوقف، واحتموا وراء الكيفان والصخور الكبيرة، واستمروا بإطلاق الرصاص على المدينة عشوائياً.

وكلما أرادوا التقدم نحو سور المدينة، كانت ضحاياهم تزداد أكثر، ولم يتمكنوا من اختراق الدفاع الآزخيني والتغلب عليهم.

دام القتال حتى العصر، مما اضطر أهل آزخ للهجوم المعاكس عليهم بين كروم البيلان (١)، فقتلوا من المعتدين عدداً لا يحصى، ومن جملة هؤلاء القتلى أولاد حسي بركات (رسول وياسين) لأنه الرأس المدبر لهذه المعركة، فأصيب في كبده كما أصيب من قبله كاتو العلوي على أثر خيانته للشماس اسطيفوا. راجع صفحة ١٣٩-١٤٠.

وعلى أثرها انسحب المعتدون وأخذوا ما تمكنوا من قتلاهم وجرحاهم ولاذوا بالفرار، إلاّ أن جثث القتلى ظلت تحت دوالي العنب في كروم بيلان وبئر حسيكو.

١- بيلان : كلمة آرامية (ܒܝܠܐ) تعني: بالي - قديم. أي: الكروم القديمة البائرة.

وكان على رأس المقاتلين في هذه المعركة كل من البطل مراد جنوش وكوركيس لحدو كفشتيّ واندراوس حنا إيليا الذي قتل أولاد حسي بركات رسول وياسين، وقتل معهما مئات الرجال المعتدين، مما اضطر فيما بعد أهل آزخ أن يدفنوا هذه الجثث بين الكروم خوفاً من رائحتها الكريهة التي تسبب الأمراض في المستقبل، حتى لا تتأثر الناس من هذه الروائح العفنة من الجثث المتراكمة.

فإن الضجة التي أثارها المعتدون في الكتف العالي كانت نعمة جميلة وفضل كبير على أهل آزخ، فقد أيقظتهم هذه الضجة المفتعلة، ليستعدوا جميعهم للقتال ومقاومة المهاجمين، وهذا الحدث هو الذي أفسد خطة حسي بركات وأتباعه، مما سبب النصر لأهل آزخ وأنقذهم الله من هذه الخطة الجهنمية التي كان قد أعدها لهم العدو.

منذ الصباح الباكر كان ثلاث رجال عائدين إلى بيوتهم فلما اقتربوا من مكان الكمين المرابط في طريق جزيرة بن عمر، هاجموهم رجال الكمين على غرّة، وقتلوهم بالخناجر حتى لا يصدر منهم صوت ويسمع بهم أهل آزخ، وهم: الشقيقان صومي وداود مرادوك، وشمعون بزوكي، وقصة هؤلاء الرجال الثلاثة معروفة لدى الجميع. وفي الوقت ذاته كان المدعو أفرام بنو ذاهباً إلى كرمه في الجبل ليشتغل فيه وقبل أن يقفز فوق حائط كرمه، سمع إغاثة هؤلاء الرجال الثلاثة، فأمعن النظر نحو مصدر الصوت، فرأى الأرض مغطاة بالرجال مختبئين وراء أشجار العنب وحيطان الكروم، وبعض هؤلاء الرجال ممسكين بضحاياهم الثلاثة يوسعونهم ضرباً بالخناجر ويغرزونها بأجسادهم بدون رحمة ولا شفقة.

وعلى هذا المرأى الفظيع صاح صيحة مدوية وقال (هوارة) (١)، فلم يجد المعتدون مفرّاً إلاّ قتله وإسكاته بالرصاص لبعده عنهم، فأسقط شهيداً مضحياً بحياته لأجل إنقاذ أهل آزخ.

فلما أطلقوا الرصاص على أفرام بنو وكذلك على حراس المواشي في الكتف العالي، تيقظ أهل آزخ على صوت الرصاص، وعلموا بأنه يكمن هناك شيء من الخطر يهددهم، لذلك تريثوا قليلاً ولم يبادروا بالهجوم فوراً، لأن صوت الرصاص جاء من ثلاثة أمكنة مختلفة، من الجنوب ثم الشمال، والشرق بآن واحد، وقد ساعدهم هذا التريث على الدفاع بحكمة وتعقل حتى تمكنوا من دحر أعدائهم المهاجمين وهزموهم هزيمة شنعاء، حتى غطّت جثث قتلاهم أراضي الكروم والبيادر.

أما قتلى أهل آزخ بلغ تسعة رجال وامرأة وهم: الأخوة عيسى وموسى أولاد أوسي كورية، وكوركيس حسّوية، وكوركيس خميس، وأفرام بنو، وشكرو يوسف جمعة، وشمعون ويوسف مامية، وبولص جوكي، وحنا كبرو باسوس، والمرأة سيدي بنت عبد الأحد قسطو، وقد جرح بعض الرجال وكانت جراح بعضهم بالغة.

وقد وقع في الأسر تسع نساء كن قد خرجن للاحتطاب وجمع (الكرسبان) من كروم الجبل وهن: دلو عمسيح، وعزيزة دايو، وخاتون

١- هوارة : كلمة آرامية (ܗܘܪ – ܗܘܘܪܐ) تعني: صوت - هيج - طلب النجدة لأنه في خطر.

سفر التي هربت وظلّت ثلاثة أيام في الطريق حتى وصلت آزخ، وصارى زوجة جمعة مقسية سيدي التي هربت أيضاً ووصلت بأعجوبة إلى آزخ.

أما البقية منهن قتلن واستشهدن، بحيث لم يرضين العيش مع الأوباش القذرين، وفضلن الموت على أن يسلمن مع هؤلاء المجرمين الهراطقة، وأصبحن شهيدات متوجات بالشرق الآزخي المسيحي.

هكذا ناضل شعب آزخ لأجل بشارة المسيح وقوميتهم السريانية الآشورية، دامت سيطرة آزخ من جديد على كافة المنطقة.

وتحالفت معها عشيرة الهافيركا (١) التي يرئسها حاجو آغا في طورعبدين، وهاجموا بعض القرى التي كانت قد تحالفت مع حسي بركات، وفرضت مدينة آزخ هيبتها على كافة المنطقة، واقتصت من الذين اعتدوا عليها، ونالوا ما يستحقون من جزاء.

أما العشائر الكردية في منطقة آزخ، استنكرت عمل حسي بركات وأدانته على ما قام به من عمل إجرامي بقتل النساء الأسيرات لأنهن لم يسلمن ويسلّمن أنفسهن للأوباش.

وقد هاجمت هذه العشائر الكردية مع أهل آزخ القرى التي كانت مع حسي بركات، وسلبوا المواشي بدلاً من المواشي التي سلبت من مدينة آزخ.

وقد دامت هذه المحبة والصداقة بين هذه العشائر وأهل آزخ إلى أن جاء الشيخ الجليل توري (سردحلي) وتقدم بالوساطة لمصالحة بقية

١- هفركا: كلمة آرامية (ܗܘܦܪܟܐ) تعني: الأمير - الحاكم المفتخر.

العشائر الكردية البعيدة عن منطقة آزخ.

في هذا الوقت بالذات أصبح مزيداً من البؤس والفقر المدقع، وقد ندر وجود القمح والشعير والمواد التموينية الأخرى قليلة جداً، بسبب استيلاء الحكومة العثمانية على الزروع الموجودة في البيادر، وسَوق الفلاحين الأكراد إلى الجندية الإلزامية، فاضطر قسم منهم للفرار إلى الجبال.

ومما زاد الطين بلّة هروب الآلاف من المهجرين من الحدود الروسية إلى منطقة جزيرة بن عمر ومنطقة آزخ بالذات، وقد بيعت علبة القمح التي تزن ثلاثون كيلو غرام بعشر ليرات ذهبية (رشادية)، واشتد الجوع في المنطقة بأسرها، ولم يبقَ شيء يأكله الناس لعدم وجود شيء يؤكل، وقد اضطر كثير من الناس على أكل لحم الكلاب والسنانير والقطط ليظلوا أحياء.

كانت الظروف قاسية وقاتلة والمجاعة رهيبة وشاملة، مما سبب الوباء القاتل (الطاعون) الذي حلّ بين أهل آزخ وقضى على المئات منهم، ولم يمت من أهل آزخ في جميع المعارك والحروب التي جرت بقدر ما مات منهم في يوم واحد من جراء وباء الطاعون الخبيث، ولم يبقَ أمامهم إلاّ الغزو على القرى العدوة لجلب المواد التموينية للنجاة من الموت.

وقد هاجر الكثير من السكان إلى القرى الكردية الصديقة المجاورة للعمل والعيش فيما بينهم لسد حاجاتهم من الجوع اللئيم.

ومن هذه القرى: (بارما) - أوصر - خراب رابون (١) - بافيا (٢) - خراب شرف (٣).

وقد توفر لهذه العائلات الأكل والغذاء بالرغم من قلّته، وقد مكّنت هذه الظروف القاسية التي مرّت على أهل آزخ أن يكونوا صلبين وقساة عند المحن والملمات الصعبة.

لقد مرّ على المنطقة محن وظروف صعبة وقاسية جداً، لكن رويداً رويداً انجلى الوضع باندحار الجيش التركي وهزم في جميع الجبهات، وهرب الكثير من الجنود عائدين إلى قراهم للعمل بمزارعهم وأراضيهم مما ساعد على زيادة الإنتاج، وعاد الوضع كما كان في الماضي، ونعم الناس بالأمن والهدوء.

لكن أهل آزخ استمروا بغزوا القرى المعادية، التي قتلت وهجّرت عائلات السريان المسيحيين، وفرضوا سطوتهم على المنطقة بكاملها، وصار بعض المهجّرين يعودون إلى قراهم كأهل قرية اسفس مثلاً.

وفي جميع المراحل التاريخية التي مرّت على هذه المنطقة الحساسة من العالم، إلاّ وقد يظهر بعض الشواذ والخيانة من بعض الأشخاص الذين يقومون بأعمال غير لائقة بحق بعض الناس في المنطقة، مما يلحق الضرر والسوء بسمعة أهل آزخ.

١- خراب رابون: كلمة آرامية (ܟܪܒ ܪܒܘܢܐ) تعني: فلاح الأمير - السيد.

٢- بافيا: كلمة آرامية (ܒܝܬ ܦܐܝܐ) تعني: البيت الجميل.

٣- خراب شرف: كلمة آرامية (ܟܪܒ ܫܪܦܐ) تعن: الفلاح الخشن.

أولهم اسحق بازو الذي شتم الأمير بدرخان بك وأهان شرفه وطرد رجاله من مدينة آزخ، وكاتو العلوي الذي خان العهد مع الشماس اسطيفو، وأراد قتله واغتياله بالحيلة الدنيئة، وأيضاً إنكار الجميل للذين قدّموا المساعدات في أيام الصعاب والمحن القاسية مثل قرية (بارما) التي اعتدى عليها ايشوع حنا كبري ظلماً وعدواناً.

❑ حادثة إيشوع حنا كبري ❑

ورد في بحثنا بأن أهل آزخ كانوا يذهبون لغزو القرى المعادية التي قتلت وشردت سكان القرى السريان الآشوريين.

فقد جمع المدعو إيشوع حنا كبري مئتين من الرجال وقال لهم: هلمّوا نذهب إلى قرية (عمارين)(١) التي قتلت وشردت السريان المسيحين، وقاد هؤلاء الرجال نحو القرية، ولما وصل بالقرب من قصر البطل موسى ملكا الذي يشرف على وادي (المشارة)(٢) أوقف الرجال وقال لهم: كنت مزمعاً أن أغزو قرية عمارين، لكنني قد غيّرت رأيي، وقررت أن أذهب وأغزو قرية (بارما).

فاعترضه المدعو حدي كبري جعو وقال له: ألا تستحي وتخجل من نفسك، البارحة ونحن مطوقين ومحاصرين من قبل الجيش التركي والعشائر الكردية والمرتزقة، كان أهل بارما ينجدوننا ويجلبون لنا البارود لبنادقنا وملح الطعام لطعامنا، ويدخلونها من فتحات السور لتزويدنا بها، والآن يوجد عدة عائلات آزخية مع أغنامهم يسكنون في قرية بارما، واليوم الله قد غضب عليك وتريد أن تغزو هذه القرية الصديقة.

١- عمارين: كلمة آرامية (ܥܡܘܪܐ) تعني: عامرة ـ متحضرة: أي: القرية العامرة المتحضرة لأن أهل القرية يقومون بزراعة الأرز والحبوب والبساتين.

٢- مشارة: كلمة آرامية (ܡܫܪܐ) تعني: دياره ـ مشارة: لأن هذا الوادي طويل بين جبلين شبيه بالمشارة، فسميّ وادي المشارة.

روح الله لا يوفقك!! إن شاء الله سنجلب جثتك على النعش، ترك حدي كبري جعو المكان وتبعه خمسون رجلاً معارضين فكرة الغزو ورجعوا إلى مدينة آزخ، أما إيشوع هدد حدي جعو وقال له: ياحدي جعو، إذا رجعت من الغزو سترى ما سأفعله بك!!.

ذهب إيشوع مع الرجال المتبقين معه، وعددهم مئة وخمسون رجلاً، فأمرهم بالهجوم على قرية بارما، واقتحم البيوت الآمنة على غرة، وقتل منهم بعض الرجال دون تمييز، وجرح مختار القرية فرحو.

فلما عرف المختار بأن إيشوع هو الذي هاجم القرية مع رجاله، خرج من بيته وهو يتوكأ على بندقيته وهو جريح، وطلب من إيشوع أن يعطيه (بخت)(١) الأمان لأن إيشوع كان من أعز أصدقاء المختار.

فقال إيشوع: اخرج إلى حوش الدار أنا اعطيك (بختي) عهدي، أجابه المختار فرحو: إذا لم تعطيني عهد المسيح وكنيسة العذراء وعهد آزخ، فلا أؤمن بعهدك، فقال له إيشوع: إنني أعطيك عهد المسيح وكنيسة العذراء وعهد آزخ، أخرج ولا تخاف!!.

فاقتنع المختار من هذا العهد العظيم، فما كاد المختار يصبح في حوش الدار، حتى أمر إيشوع ابن عمه حنا خلف أن يطلق عليه الرصاص لقتله، لكن الرصاصة التي أطلقها حنا خلف لم تصب المختار، لأن قوة

١- بخت: كلمة آرامية (ܒܟܬ ܚܘܣܟܐ) تعني: أوقف ـ عطّل أي: أوقف القتال ومنع الصدام: ليصبح أمان وسلام.

الله وقدرته أعظم من خيانة إيشوع لعهد المسيح وأمه العذراء وعهد آزخ، فقال المختار فرحو: آه منك يا خائن عهد المسيح وأمه العذراء وعهد آزخ، والله لم نسلم أنفسنا لك أيها الخائن!! فانبرى وأوعز إلى رجاله وحثهم على الدفاع والصمود عن أنفسهم حتى الموت.

فأطلقوا الرصاص على إيشوع ومن معه، فجرح إيشوع وشقيقه يعقوب حنا كبري بجراح بليغة وقتل جميل بن حنا إيليا، وجرح كثيرون من رجال آزخ، فاندحروا وانهزموا نحو مدينة آزخ، فلحقهم أهل بارما وقتلوا منهم ستة عشر رجلاً من خيرة شباب آزخ وساقوهم كالثعالب حتى أوصلوهم بالقرب من كروم الـ (كَوف)(١) القريب من آزخ.

فلولا النجدة التي انطلقت من آزخ وصدتهم عن اللحاق بهم وأنقذتهم لَما بقي أحداً منهم، لأن خيانة إيشوع لعهد المسيح وكنيسة العذراء وعهد آزخ كان سبب هزيمتهم النكراء، مات إيشوع متأثراً بجراحه، ثم قتل حنا خلف بيد شقيقه كيرو خلف الذي أطلق عليه الرصاص وهو نائم فمات في الحال.

كان أندراوس حنا إيليا من بين الهاربين، بحث عن شقيقه جميل فلم يجده، ثم سأل رفيقه الذي كان يقاتل معه أمام بيت الزعيم مشو، أجابه بأنه قتل أمام بيت الزعيم مشو ولا زالت جثته هناك ملقاة على الأرض.

١- كَوف: كلمة آرامية (ܟܦܐ جمعها ܟܦ̈ܐ . ܟܦܬ̈ܐ) تعني: مغارة كهف، يقع هذا الكهف الكبير الذي عمله ونحته الإنسان الأول مع المغاير والكهوف الكثيرة التي عملها الإنسان الأول لسكناه في بيت عيناتا آزخ بيت زبدا.

فوراً رجع أندراوس نحو الوراء متوجهاً إلى قرية بارما لأخذ ثأر أخيه جميل، وصل قرية بارما وصار يتلصص أمام باب بيت الزعيم مشو، وجد جثة شقيقه جميل ملقاة على الأرض أمام الباب، فجأة رأى سلي مشو قاتل شقيقه خارجاً من باب البيت لقضاء حاجة، فما كان من أندراوس إلاّ أن يضع فوهة بندقيته على صدغ سلي مشو وأطلق عليه رصاصة لكن سلي رفع رأسه قليلاً إلى فوق، فاخترقت الرصاصة بين فكيه تاركةً ثغرة في خده الأيمن، فوقع على الأرض يتخبط بدمه.

تركه أندراوس لاعتقاده أنه قتله وأخذ ثأر أخيه جميل، ولاذ بالفرار، لحقه بعض الرجال يطاردونه، لكنه أفلت من بين أيديهم وذهب إلى أزخ.

أما جميل ظلّت جثته هناك ولم يقبل والده حنا إيليا ان يجلبوها إلى أزخ، قال حنا إيليا: لتبقى جثته هناك لأنه لا يستحق أن يوارى في تراب أزخ، لأنه رافق إيشوع لغزو قرية بارما واعتدى على ناس كانوا بالأمس القريب يساعدوننا وينجدوننا ونحن محاصرين من قبل الجيش العثماني والعشائر الكردية، يجلبون لنا البارود لبنادقنا ومادة الملح النادرة لطعامنا.

ثم جاء الزعيم مشو مع عدد من الرجال إلى آزخ وعرض على حنا إيليا لكي يوافق على جلب جثة ابنه جميل إلى آزخ، لكنه رفض أن يجلبوها ولا زالت جثته موجودة في قرية بارما.

ذهبت رجولة إيشوع أدراج الرياح على أثر خيانته لعهد المسيح وكنيسة العذراء وعهد آزخ وأصبح مثالاً بين الشعب الآزخي، فإذا ما شذ أحد الآزخيين عن الطريق يقولون له: (لا تصر أحمق كما اسحق بازو،

ولا تصر خائن كما كاتو العلوي وإيشوع) !!(١) فلولا محبة أهل آزخ لبعضهم البعض، وإيمانهم العميق بالسيد المسيح رب المجد، لما انتصروا على أعدائهم الأقوياء الذين يفوقونهم عدداً وعدة، وقد تمسكوا بالفضيلة والأخلاق الحسنة التي كان يتمتع بها الشماس اسطيفو، وصارت العشائر تتودد وتتقرب إليهم، حتى رغبت جميع العشائر الكردية البعيدة عن المنطقة للصلح مع أهل آزخ.

فكان أول من سعى إلى الصلح والمصالحة هو الشيخ الجليل محمد نوري سردحلي.

- المساعي الحميدة للصلح -

بعد سبع سنوات على هذه الحالة من الضنك والجوع الذي لا يحتمل، حتى ألزم أهل آزخ أن يستمروا بغزواتهم على القرى.

فقد استطاع الشيخ محمد نوري سردحلي أن يسعى إلى الصلح ما بين أهل آزخ والعشائر الكردية، اتصل هذا المصلح الشريف مع العشائر الكردية البعيدة عن منطقة آزخ للاجتماع في قرية (أوصر).

على أثر هذا النداء جاء الآلاف من رجال العشائر من (شرنخ) (وهفرخ) ملبين دعوة الشيخ نوري سردحلي، واجتمعوا في قرية

١- يقولون هذا المثل باللهجة الآزخية: أي: لا تصبح مثل اسحق بازو أحمق.

(أوصر).

قال للمجتمعين: كل من لا يوافق على الصلح ويسعى إلى فشله يكون مجرماً ومسبباً لقتل الأنفس، ولا أحد منّا يرضى بذلك، وعلى أثر هذا الاجتماع، وافق جميعهم، وقد فوّضوا الشيخ نوري على عقد الصلح.

فوراً أرسل وفداً إلى آزخ، يطلب منهم إرسال وفد من أهل آزخ للتباحث مع رؤساء العشائر والآغاوات، في شأن عقد الصلح، ولما وصل الوفد إلى آزخ حاملاً رسالة الشيخ محمد نوري سردحلي، اجتمع أهل آزخ ومعهم القسوس في قلاية المطران بهنان عفراوي، وقرروا في هذا الاجتماع إرسال وفد مؤلف من أربعين رجلاً للذهاب إلى قرية (أوصر) للتفاوض والتباحث مع رؤساء العشائر المجتمعين في قرية (أوصر) برئاسة الشيخ نوري سردحلي.

في اليوم الثاني من وصول رسالة الشيخ نوري ذهب الوفد إلى قرية (أوصر) للتفاوض مع رؤساء العشائر ، سار الوفد إلى قرية (أوصر) وهم حذرين ومتيقظين خوفاً من وضع كمائن في طريقهم وخيانة بعض العشائر لإفشال المساعي الحميدة، التي سعى إليها الشيخ نوري سردحلي.

وصل الوفد إلى قرية (أوصر) فلما رآهم الشيخ نوري قادمين هرول مسرعاً لاستقبالهم، وعانق هم واحداً واحداً، فما كان من الآف الرجال المجتمعين إلاّ أن ذهبوا جميعاً ليرحبوا برجال الوفد الآتي من آزخ، وأجلسوهم بجانبهم، وبعد الترحيب بالوفد، عرض الشيخ نوري أمور الصلح، فقالوا له: نحن مستعدون لتلبية رغبتك أيها الشيخ الوقور، ونحن طوع أمرك، وإن جميع أهل آزخ يطلبون رضاك. ثم قال الوفد: إن كل

أسباب غزواتنا للقرى، هي الحصار الذي فرضه علينا الأتراك ليقتلوننا ويبيدوننا من الوجود، فلولا قيامنا بغزو بعض القرى، لمات نساؤنا وأطفالنا من الجوع.

فأيدهم الشيخ الجليل على ذلك وعلى ما قدموه من إيضاح. وقال لهم: اللذي مضى قد مضى، فلنبدأ حياة جديدة، ونكون اخوة ودعم لبعضنا البعض، من الآن فصاعداً.

اتفق الجميع على ما قدمه الشيخ نوري من اقتراح، وأقرّه الجميع في هذا الاجتماع التاريخي بقيادة الشيخ نوري سردحلي، وبعد الانتهاء من النقاش والجدال، قال لهم: بعد ثلاثة أيام أنتظر وفداً منكم لإتمام عملية الصلح وعقده على يدي في قرية (خراب شرف) وسيكون معي رؤساء عشيرة (مما).

في هذا الوقت حضر الطعام، وكان أول من أقدَم على الأكل من الصحون هو الشيخ نوري سردحلي ومن ثم أعطى الأمر للجميع ليأكلوا على دفعات لكثرة الناس الموجودين، وكان أول الآكلين هم أهل آزخ، وبعد الانتهاء من الأكل شكر الوفد الشيخ نوري على مسعاه الشريف للصلح، وطلبوا منه السماح لهم بالعودة إلى آزخ، فودّعهم إلى آخر البيادر، وصافحهم جميعاً، طالباً لهم العودة بالسلامة، وقد رافقهم بعض الرجال من عشيرة (مما) حتى أوصلوهم بالقرب من آزخ وعادوا إلى قرية (أوصر).

كان الشيخ محمد نوري سردحلي من رجال الأكراد الأذكياء جداً، وكان دائماً يوصي ويحث العشائر الكردية على التآلف والمحبة مع

السريان الآشوريين، وبالأخص مع أهل آزخ، حيث أرسل زوجته فاطمة وابنته نورا الجميلة إلى آزخ وسكنتا فيها لتجلبا لأهل آزخ مادة الملح المفقودة والمواد التموينية الأخرى النادرة الوجود من منطقة بحيرة الخاتونية القريبة من جبل سنجار على ظهور البغال والحمير.

وبالمقابل كان أهل آزخ يجلّون ويحترمون هذا الشيخ الجليل الغيور على مصالح الشعبين الكردي والسرياني الآشوري.

بعد أربعة أيام وحسب الوعد، جاء الشيخ نوري سردحلي إلى (خراب شرف) ومعه رؤساء العشائر والآغاوات الأكراد، فلما علم أهل آزخ بأن الشيخ نوري موجود في قرية (خراب شرف) ذهب من آزخ خمسمائة رجل لاستقباله، وعند وصولهم بالقرب من مكان جلوس الشيخ نوري والجمهور الغفير من مرافقيه، أطلق أهل آزخ الرصاص في الهواء ترحيباً بقدوم الشيخ الجليل، وجلسوا في البيادر لعدم وجود بيت يسع هذا الجمهور الغفير، وحتى البيادر لم تسع هذه الحشود الكثيرة من الناس.

وقد تم الصلح وتصافحا بالأيادي، وتهلّلت الوجوه من شدة الفرح والسرور من الجانبين، وابتهج الجميع لهذا الحدث العظيم، وقدموا من الذبائح خمسمائة رأس من الغنم ابتهاجاً بعقد الصلح وانتهت الخصومات والعداوة التي كانت مستفحلة بينهم، واشتركوا بالأكل مع بعضهم البعض، كل رجل يقابله رجل من أهل آزخ وجهاً لوجه، يأكلون ويتسامرون، ويتحدثون مع بعضهم البعض على قضايا هامة حدثت فيما بينهم، نادمين على ما جرى سابقاً من أخطاء سببها معروف لدى الجميع.

وبعد الانتهاء من الأكل، رغب الشيخ محمد نوري سردحلي بزيارة مدينة آزخ، فرحبوا بالفكرة أشد ترحيب على ما أبداه من رغبة صالحة.

جاء الشيخ الجليل إلى آزخ، وفرشوا له السجاد العجمي في بيدر العميق في شمال المدينة، وقدموا له ولمرافقيه أطيب المأكولات الشهية، وكانت النساء واقفات فوق السور تزلغط وتهلهل لهذه المناسبة السعيدة وبالضيف الكبير الشيخ محمد نوري سردحلي وصحبه.

وبمسعى منه تم الصلح بين كافة المناطق اعتباراً من مدينة شرنخ شمالاً حتى جبل سنجار جنوباً، وبقي هذا الحدث الجلل ذكرى تاريخية للأجيال القادمة.

وعلى أثر هذا الصلح، رجع أهل اسفس (١) إلى قريتهم وسكنوها بعدما رمّموا ما كان قد تهدم من البيوت المحروقة المدمّرة، وقد عمّروا قرية (كوفخ) (٢) وسكنها بعض الآزخيين البرصومكية من عائلة شمعون حنو وآل مقسو، كما عمّروا قرية (بابقا) وسكنتها بعض العائلات الآزخية من آل كتي وآل مارتو، وأهل القرى الكردية كانوا يتوافدون إلى مدينة آزخ يبيعون ما يجلبونه من حنطة وشعير وغيرها من المواد التموينية، ويشترون بعض الحاجيات التي هم بحاجة إليها من الأسواق.

١- اسفس: كلمة آرامية تعني: حيّة ـ أفعى. وتعني قرية الأفاعي.

٢- كوفخ ـ كيفا: كلمة آرامية تعني: صنم ـ وثن، قديماً كان أهل هذه المنطقة يعبدون الأصنام.

دام السلام في منطقة آزخ، وانتهت المشاكل وحلّ التفاهم بين الجميع، وتنفس الناس الصعداء في جميع المنطقة المترامية الأطراف، وظلّت مدينة آزخ تنعم بالهدوء والاستقرار.

وتعتبر مدينة آزخ أول جمهورية ديموقراطية، لمدة أحد عشر عاماً بعد الحصار، وكان رجال آزخ هم المكلفون بحل كافة المشاكل المستعصية في المنطقة بأكملها، وقد فرضوا احترامهم على الجميع، وذلك لعدلهم ومساواتهم بين الجميع وبالأخص بين العشائر الكردية، حتى صار النفتاح والمحبة بين الجميع، حتى دبّ الوعي القومي بين الأكراد، وقامت بعض الانتفاضات في المناطق طالبة الحرية للشعب الكردي المستعبد للحكومة التركية.

الانتفاضات والحركات القومية الكردية

في هذه المرحلة الدقيقة هبت وانتفضت بعض الحركات القومية الكردية، منها ثورة الشيخ سعيد في دياربكر، وثورة الشيخ محمود في السليمانية في شمال العراق، وثورة جبل ديرسم من الأكراد (زازا). وقد دبّ الوعي القومي بين صفوف الشعب الكردي المتمرد على ظلم الأتراك الذين كانوا بالأمس القريب يحرّضونهم بواسطة رجال الدين على قتل الأرمن والسريان الآشوريين، وإبادتهم من الوجود، أما الآن أصبح قتل الكردي مِن قِبَل الأتراك واجب ديني وقومي، وقد قضوا على هذه الانتفاضات بنفس الأسلوب بواسطة رجال الدين الأكراد أنفسهم.

❐ فرار حاجو آغا إلى مدينة آزخ ❐

بعد ثورة الشيخ سعيد في ديار بكر، تعقبت الحكومة التركية زعماء الأكراد للقبض عليهم ومحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى بعد أن دبّ الوعي القومي بينهم، وكان حاجو آغا من بين الذين قررت الحكومة التركية القبض عليهم لإدانتهم وإعدامهم.

أرسلت قوة مؤلفة من خمسة آلاف جندي تركي برئاسة قائد برتبة لواء إلى طورعبدين للقبض على حاجو آغا رئيس عشيرة هفركا. فلما علم

حاجو آغا بأن الحكومة التركية تسعى للقبض عليه وليس بمقدوره أن يقاوم الجيش التركي المؤلف من خمسة آلاف جندي فلابد من الاستسلام ومصيره معروف انه الاعدام، أو الفرار إلى مكان أمين ليتمكن من إنقاذ حياته وحياة الرجال الذين تبعوه مع عائلاتهم.

بعد التفكير الطويل لإيجاد الحلول التي تساعد على إنقاذ حياته وحياة رجاله، لم يجد مكاناً بين جميع العشائر الكردية يلتجئ إليه سوى مدينة آزخ، فقرر المجيء إليها مع رجاله وعائلاتهم وهم من الأكراد والسريان في طورعبدين، وقد وصلوا إلى مدينة آزخ بسلام.

ولكن الجيش التركي تعقّبهم حتى وصل إلى تل (سلقون) (١) ونصبوا خيامهم في السهل، ثم أرسل قائد اللواء أحد شباطه إلى آزخ يطلب منهم تسليم حاجو آغا مع رجاله، لكن أهل آزخ رفضوا أن يسلموا حاجو آغا ومَن معه إلى قائد الجيش التركي، وقالوا للضابط الموفد: إن حياتنا مع حياة حاجة آغا ورجاله.

فعاد الضابط وأعلم قائده إصرار أهل آزخ على عدم تسليم حاجو آغا، فلما علم قائد الجيش إصرار وعناد أهل آزخ على هذا النحو، وليس بمقدوره أن يأخذ حاجو آغا بالقوة، لأنه ليس أقوى من اللواء عمر ناجي بك ومعه الآلاف من رجال العشائر ولم يتمكنوا من اقتحام أسوار مدينة آزخ، لذلك قرر العودة إلى مديات.

١- سلقون: كلمة آرامية (ܣܠܩܘܢ) تعني: مرتفع ـ عالي، إنه تل عالٍ يشرف على السهل.

ظل حاجو آغا لمدة سنتين مع رجاله وعائلاتهم وعاشوا كما يعيش أهل آزخ، وأسكنوهم في البيوت معهم، إلى أن صدر عفو عام للزعيم حاجو آغا من السلطات التركية، بعدئذٍ قرر العودة مع رجاله إلى موطنه في طورعبدين.

هكذا كان أهل آزخ والعشائر الكردية في المنطقة يساعد أحدهم الآخر، وأكبر مثال على ذلك هو لما جاء حاجو آغا والتجأ إلى مدينة آزخ كيف رحبوا به ووزعوا عائلات رجاله الذين معه على البيوت لكي يعيشوا سوية بالمأكل والمشرب وهم مسرورين.

ولا زالت عشيرة هفركا برئاسة آل حاجو يقدرون ويحترمون أهل آزخ، ويعتبرونهم من أخلص الأصدقاء الأوفياء لهم لما قدموه من عمل جيد عند الضيق.

فلما رجع حاجو آغا مع رجاله إلى طورعبدين، لم يجدوا شيئاً ليقتاتوا به، لأن الجيش التركي الذي كان يتعقبهم حرق القرى ودمرها كليا، فلم يبقَ أمام حاجو آغا ورجاله إلاّ السطو وغزو القرى التي تعاونت مع الجيش التركي للقبض عليه، لكي يسترد ما سلبوه من المواشي والأبقار لإطعام العائلات الجائعة.

فقد أرسل حاجو آغا مئة رجل بقيادة البطل شمعون حتي حيدو إلى الدشتة لغزو القرى المعادية، وقد أغاروا على قرية (درباجيا) (١) و(دمبليا)(٢) و(كري كور) (٣) واستولوا على كثير من المواشي والأبقار.

لكن أهل القرى الثلاثة تجمعوا وتصدوا لهم وقاوموهم ولاحقوهم إلى أن كادوا يجبروهم على ترك ما سلبوه من المواشي والأبقار، فأرسل قائدهم شمعون حتي حيدو أحد رجاله إلى آزخ يستنجد ويطلب العون لإرسال بعض الرجال من آزخ لفك الحصار عنهم وإنقاذهم من هذه الورطة الكبيرة لأنهم محاصرون من جميع الجهات.

فسارع أهل آزخ فوراً لنجدتهم، وتوجهوا إلى مكان الحادث، وفكّوا الحصار عنهم، وأكملوا سيرهم مع ما سلبوه من الأغنام والأبقار، وكان رجال آزخ يحمون ظهورهم من أصحاب المواشي المسلوبة، ورافقوهم إلى سفح جبل الـ (علم) (٤) ومن ثم عادوا إلى آزخ بعد أن اطمأنوا على سلامة وصولهم إلى هذا المكان الأمين.

١- درباجيا: كلمة آرامية (ܕܪܒ ܚܕܘܬܐ) تعني: درب المسرة والفرح.

٢- دمبليا: كلمة آرامية (ܕܡ ܒܠܝܐ) تعني: الأصل - العرق - الدم القديم.

٣- كري كور: كلمة آرامية (ܟܪܝ. ܟܘܪܐ) تعني: حامل جرة الماء.

٤- جبل العلم: كلمة آرامية (ܛܘܪ ܥܘܗܕܢܐ) تعني: ذكر - خلّد - جدّد، كان أهل آزخ يذهبون في شهر تموز من كل سنة إلى رأس هذا الجبل للاحتفال بعيد النصر ذكراً وتخليداً لانتصار الإله (زبدا) آزخ، أي: زبدا المنتصر، (ܐܚܐ. ܐܚܡܐ).

هكذا كان أهل آزخ يساعدون العشائر الكردية الصديقة عند الحاجة، كما كانت أيضاً هذه العشائر تقوم بمساعدة أهل آزخ عند اللزوم أثناء الضيقات.

❒ ثورة الشيخ سعيد ❒

بعد ثورة الشيخ سعيد في دياربكر وإعلان الجمهورية التركية في علم ١٩٢٤-١٩٢٥ برئاسة مصطفى كمال باشا، أعلن مجلس الدولة الأحكام العرفية في الولايات الشرقية، وتضمن هذا القرار الصادر عن مجلس الدولة إعطاء الصلاحيات التامة لقيادات المناطق الشرقية بتنفيذ العقوبات الصارمة مباشرة حتى الحكم بالإعدام لكل فرد لم يسلم سلاحه للسلطات، ولا فرق بين مَن شاركوا في الحركة الانفصالية التي قادها الشيخ سعيد أو لم يشاركوا بها.

وقد أرسلت الجيوش إلى هذه المناطق لتنفيذ الأوامر لجمع السلاح تنفيذاً صارماً، وعلى أثر خيانة محمد قاسم شيرين، قبض على الشيخ سعيد ومعه كثيرون من أتباعه وبعض قادة الحركة الثورية من آغاوات المنطقة.

بعدئذٍ حكمت المحكمة العرفية في دياربكر على الشيخ سعيد ومعه خمسون زعيماً كردياً بالإعدام شنقاً، ومن ثم أعدمت مئة ألف من الأكراد وذنبهم الوحيد انهم أكراد فقط، كما حكم على الآلاف منهم بالسجن في عام ١٩٢٥ لمدد مختلفة، وكان من بين هؤلاء ثمانية عشر شخصاً من مدينة

آزخ ومعهم المطران بهنان عفراوي والأسقف حنا ايليا وملكون بن القس توما هندو وحنا صلو كتي وآدم لحدو آدم وحنا حاصون وغيرهم.

وقد استطاعت الحكومة التركية القضاء على جميع الحركات الثورية الكردية بنفس الأسلوب الذي اتبعته مع الأرمن والسريان الآشوريين، وذلك بشراء ضمائر رجال الدين الأكراد وبعض الآغاوات بتقديم المال والذهب المغري لهم.

تمكنت الحكومة الجديد برئاسة مصطفى كمال آتاتورك بالقضاء رويداً رويداً على عشائر البوطان ساكنة الجبال العالية والوديان العميقة التي كان من الصعب اقتحامها واحتلالها لوعورة وديانها وعدم تسلق جبالها العالية إلاّ بشراء ضمائر بعض رجال الدين الأكراد الذين تخلوا عن قوميتهم وخانوا قضيتهم مما أدّى ذلك إلى إذلال الشعب الكردي.

وبهذه الأساليب تمكنت الجمهورية التركية من سيطرتها على كافة المناطق الشرقية بالحديد والنار.

❒ تشكيل فيالق جيش تأديب ❒

في شهر كانون الأول عام ١٩٢٥ شكلت القيادة العامة للجيش فيالق من الجيش التركي لتأديب العصاة، وأُعطيت الأوامر لكل قائد منهم منطقة معينة لجمع السلاح من المدنيين أكراداً وغير أكراد.

كان من نصيب مدينة آزخ اللواء اسحق بك يعاونه اللواء ابراهيم بك، أما اسحق بك كان ذو قامة قصيرة خلافاً للعملاق ابراهيم بك.

وفي شهر شباط عام ١٩٢٦ أحاطوا مدينة آزخ ليلاً، وكانت هذه الجيوش مجهزة بالأسلحة الحديثة والعربات المدرعة، وكان اسحق بك يحمل الأوامر الصارمة بتدمير أية مدينة أو قرية لم تستسلم وتلقي السلاح.

وقد نصبوا المدافع والرشاشات الحديثة ذات المدى البعيد، وأقاموا المتاريس حول المدينة استعداداً لتنفيذ الأوامر بدك المدينة.

وفي الصباح أرسل اسحق بك ضابطاً مع جنديين ليعلم أهل آزخ أوامر الدولة لتجميع الأسلحة التي بحوزتهم، وتسليمها في مكان يحدده اسحق بك قائد الألوف.

على أثرها اجتمع وجهاء آزخ مع رجال الدين في قلاية (١) المطران بهنان عفراوي للتشاور وإبداء الرأي بشأن هذه الأمور الصعبة والمستعصية. وكان رأي الجميع مطابقاً، وقرروا تقديم الطاعة للجمهورية التركية الفتية، وتسليم أسلحتهم، لأن الظروف الحالية تبدلت عما كانت عليه، لأن النظام الجمهوري يحميهم ولم يبقَ هناك خطر عليهم يهددهم كالسابق.

وان القوانين الجديدة في ظل الجمهورية الفتية نيّرة وبنّاءة، تمنح الحرية والديموقراطية للجميع، وتنشر العدل والمساواة بين جميع أبناء

١- قلاية: كلمة آرامية (ܩܠܝܬܐ) تعني: كوخ - صالة المطران، أو صومعة الراهب (قلاية).

الشعب.

فالمادة ـ ١٨ ـ من الدستور الجمهوري تنص: على أن كل شخص في الجمهورية التركية قد تجاوز الثامنة عشرة من العمر له الحق والحرية التامة أن يختار أي دين أو مذهب يرغب دون أن يعترضه أحد.

لذلك فلا حاجة إلى اقتناء السلاح من الآن فصاعداً، ولا فائدة منه بعد اليوم، لأن القوة الجيدة في الجمهورية التركية، لا يمكن مقاومتها بأي شكل من الأشكال.

بعد الجدال والمناقشة، اتفقوا على أن يشكلوا وفداً برئاسة المطران عفراوي يضم القسوس والشمامسة ليقابلوا اللواء اسحق بك. وفي الساعة العاشرة صباحاً وقبل انتهاء مدة الإنذار، قصدوا خيمة اللواء اسحق كمال بك، وعند وصولهم، رحّب بهم ترحيباً بالغاً وبكل احترام وتقدير.

بعد هذا الاستقبال الحار من قبل اللواء اسحق كمال بك، قالوا له: بما اننا من رعايا الجمهورية نضع أنفسنا تحت تصرفكم كوننا من طائفة السريان الأرثوذكس.

أما إذا كنّا قد اقتنينا السلاح سابقاً، فكان ذلك للدفاع عن أرواحنا وأرواح عائلاتنا، لكن الآن اختلفت الأمور وتلك الظروف المقيتة، وقد ألغيت تلك القوانين الجائرة، وبظل الجمهورية أصبح العدل والمساواة للجميع دون استثناء.

وبعد أن أنهوا كلامهم، طلب منهم اللواء اسجق بك الذي كان جالساً بجانب المطران، بأن يسمحوا للجيش بدخول المدينة، فأجابوه بالموافقة على طلبه، واستأذنوا منه بالانصراف والعودة إلى المدينة.

رافقهم اللواء اسحق بك مودعاً وسار معهم قليلاً احتراماً وتقديراً لهم إلى خارج خيمته، عاد الوفد ينشد الأناشيد باللغة السريانية كما كانوا ينشدونها أثناء ذهابهم لمقابلة اللواء اسحق كمال بك.

وحين وصول الوفد إلى آزخ، فوراً أُعطي الأمر للمنادي حنا دنحا ليعلم أهل آزخ بتسليم أسلحتهم للجيش، فطلع المنادي حنا دنحا على سطح الأزج وحث الجميع على تسليم أسلحتهم وتجميعها في المكان المحدد الذي أُعدّ لذلك.

دخل الجيش التركي مدينة آزخ وتمركز الجنود في المكان المعدّ لهم، واتخذ اللواء اسحق كمال بك عليّة حنا ايليا مركزاً لقيادته.

لقد تم جمع الأسلحة حتى بلغ عددها الآلاف من البنادق القديمة والحديثة، كانت هذه البادرة الطيبة من قِبَل أهل آزخ التي اطمئن لها اللواء اسحق كما بك، وشكرهم على إطاعتهم الأمر بهذه السرعة.

لكن لم يمر على جمع الأسلحة ثلاثة أيام فقط، حتى أتى الأشرار من زعماء جزيرة بن عمر، فكان لا بد لهؤلاء الزعماء الماكرين من إيجاد قصة ملفقة ليحل بأهل آزخ العقاب، وقبل أن يغادر اللواء اسحق بك مدينة آزخ ليعيش أهلها بسلام، فقدموا إلى اسحق بك بعض المال والذهب، وبمكر شيطاني اتهموا أهل آزخ بأنهم على علاقة مع الانكليز، وانهم خونة، وقالوا له: إن أهل آزخ أرسلوا رسالة إلى الصليب الأحمر في الموصل يطلبون فيها المساعدة المالية، وقد ضبطت الرسالة والآن هي في حوزة صبري بك قائد موقع جزيرة بن عمر.

فأقنعوا اللواء اسحق كمال بك حتى أثاروا غضبه وحقده على أهل آزخ، وكانت الفاجعة.

موضوع الرسالة

قبل أن يصل اللواء اسحق بك مع جيشه إلى آزخ، كانوا قد أرسلوا عريضة موقعة من بعض وجهاء مدينة آزخ مع المدعو (زيدو) لتسليمها إلى غبطة البطريرك عمانوئيل والمطران توما القصير في الموصل، يشكرون فيها غبطته على المساعدة التي قدمها غبطته لأهل آزخ لإرساله النقود لتوزيعها على الفقراء والمعوزين المساكين في مدينة آزخ، وكان زيدو من الرجال الذين يعتمد عليهم وهو ينتمي إلى عشيرة الهسنية الباولية الصديقة لأهل آزخ.

لكن الأقدار تلعب أواراً لا تحالف ما يطيب للناس من البشر، ذهب زيدو لتوصيل الرسالة إلى الموصل، رافقه في الطريق أحد الأشخاص من جزيرة بن عمر، سأله زيدو: إلى أي أنت ذاهب ؟؟ أجابه الجزراوي: انه ذاهب إلى الموصل للعمل هناك. ومن سؤال إلى آخر، أعلمه زيدو بأنه يحمل رسالة وانه ذاهب إلى الموصل لتسليمها إلى ابطريرك عمانوئيل والمطران توما.

فذهب الرجل الجزراوي اللئيم إلى مخفر (طراميش) (١) وأخبر جنود الأتراك بأن زيدو يحمل رسالة إلى الانكليز في الموصل، فوراً أتى الجنود وألقوا القبض على زيدو واستولوا على الرسالة، وأتوا بها إلى جزيرة بن عمر وسلموها إلى صبري بك قائد المنطقة.

على أثر هذه الوشاية، طلب اسحق بك الرسالة ليتأكد من صحة الكلام، جاء صبري بك مع الواشين وسلموا الرسالة إلى اسحق كمال بك، بعد قراءة الرسالة انقلبت سنة اسحق بك وأصبح كالذئب الهائج على فريسته، وصدق كلام زعماء الجزيرة بأن أهل آزخ فعلاً ليس لهم أمان.

وفي اليوم الثاني أمر اسحق بك المنادي حنا دنحا، لكي يعلم جميع أهل آزخ أن يخرجوا من بيوتهم ويتوجهوا إلى غرب المدينة ويجتمعوا بالقرب من دير مار يعقوب، وقال: وكل من يبقى في بيته ولم يذهب للاجتماع يعد عاصياً على أوامر الجمهورية، فقد خرج الكثيرون وهم لا يعرفون مصيرهم المشؤوم.

أخذ الجنود يقبضون عليهم فرداً فرداً ويكبلون أيديهم من وراء ظهورهم بالحبال، وقد حاول المدعو عبدي كرمو الفرار، لكنه لم يبتعد إلاّ قليلاً حتى أطلق الجنود الرصاص عليه فأردوه قتيلاً مضرجاً بدمه.

١- طراميش: كلمة آرامية (ܛܪܳܐ أو ܫܕܳܐ: ألقى، ܡܫ̈ܐ: النفايات) تعني: ألقى النفايات، قديماً كان هذا المكان يطرح فيه كل من تآمر وعصى وتمرد على ملوك آشور، فيأمروا بإلقاء هذه النفايات في هذا المكان، فأطلقوا على هذا المكان (طراميش) نسبة إلى هؤلاء المتمردين.

وقد أودعوا قسم من الرجال في دير مار يعقوب، والقسم الآخر منهم أخذوهم إلى كنيسة السريان الكاثوليك واحتجزوهم فيها، وقد بلغ عدد الموقوفين ستمائة رجلاً، وضعوا عليهم حراسة مشددة، بعدئذٍ قام الجنود بالتفتيش على الأسلحة بيتاً بيتاً، وكان بعض الجنود ينزلون في آبار الماء الموجودة في البيوت لعلهم يجدون فيها أسلحة مخبأة تحت الماء، لكنهم لم يعثروا على بندقية واحدة، كما كانوا يعتقدون وخاب ظنهم.

أما بقية الرجال، تمكنوا من مغادرة المدينة والاحتماء في جبل (ايزلا)، وأربعمائة رجل آخر تحت قيادة كبرو مراد الحكيم ذهبوا إلى قرية اسفس بكامل أسلحتهم الحربية ينتظرون ويترقبون مصير البقية من الأهل والأقارب.

في الخامس من شهر آذار ١٩٢٦ أخذوا هؤلاء الموقوفين وساقوهم إلى جزيرة بن عمر، وأودعوهم في سجن مؤلف من أقبية كثيرة واسم هذا السجن يدعى (بسجن الأمير بدرخان بك).

وبعد أسبوع أخذوا هؤلاء المساجين وساقوهم عن طريق الدشتة البعيدة خوفاً من أهل آزخ مهاجمة الجنود الأتراك، لإنقاذ المساجين من أيديهم، وقد توجهوا بهم إلى قرية (الأقمشة) (١) التي تقع في جنوب جبل الـ (علم) لقتلهم وإبادتهم كما قتلوا من قبلهم سكان قرية (الأقمشة) قبل

١- الأقمشة: كلمة آرامية (ܐܟܚ. ܐܟܚܐ) تعني: بكاء نواح و (ܥܡܥܐ) تعني: حزن – غم، أي: القرية التي تنوح وتبكي من الحزن والغم، لأن الأتراك قتلوا سكانها جميعهم حتى النساء والأطفال.

أن يأخذ الجنود أهل آزخ إلى هذه القرية، كانت الحكومة التركية قد اتهمت سكان هذه القرية الكردية بسلب وقتل رجال (البوسطة) البريد الذي كان ينقل وقتئذٍ على البغال.

لقد جمعوا سكان هذه القرية رجالاً ونساء وأطفال وربطوهم على شجرة التوت الموجودة في حوش المختار وأطلق عليهم الجنود رصاص بنادقهم حتى أبادوهم كلياً، ولم يفلت أحداً منهم سوى طفل واحد كانت أمه قد أخذته معها إلى بيت والديها في قرية (ريزوق) (١) القريبة.

وهكذا كان قد تقرر مصير هؤلاء الموقوفين ليلاقوا نفس المصير الذي لاقاه سكان قرية (الأقمشة) لولا همة وذكاء وشجاعة الرجال الذين ظلوا في مدينة آزخ لتدبير أمر خلاصهم بأية وسيلة كانت.

وصل خبر سوق المساجين من جزيرة بن عمر إلى (الأقمشة) فوراً فاجتمع وجهاء المدينة في صالة المطران بهنان عفراوي وقرروا أن يجمعوا من المال حتى يملأوا خرج (٢) من الليرات الذهبية والمجيدية الفضية لإرسالها إلى اللواء اسحق بك، وكان لا بد من إيجاد شخص جريء وله المقدرة والكفاءة على التكلم باللغة التركية أمام اللواء اسحق كمال بك.

فاختاروا من بينهم المدعو لحدو بن مقسي مراد الملقب (حدوستو)

١- ريزوق: كلمة آرامية (ܪܙܩ ـ ܪܙܘܩܐ) تعني: الرازق ـ المانح ـ القرية المعطاة.

٢- خرج: كلمة آرامية (ܟܘܪܐ ـ ܟܝܣܐ) تعني: عدل ـ كيس ـ خرج، والخرج كان أهل آزخ يستعملونه لنقل القمح والحبوب على الدواب.

من آل كومو لأنـه يجيد اللغة التركيـة، ويعرف اللواء اسحق كمال بك بصفته كان ترجماناً لديـه أثنـاء تجميع الأسلحة ويعرف نفسيته وطباعه جيداً.

فلم يمانع (حدوستو) من هذه المهمة الصعبة الملقاة على عاتقه لأنها خدمة جليلة لخلاص أنفس من خطر الموت والقتل، ولكنه كيف سيأخذ هذا القدر من المال ويذهب به لوحده والطريق إلى (الأقمشـة) غير مأمون.

فقد استلم (خرج) ملآن نقود من الذهب والفضة، وفي الصباح الباكر أخذ معه ابن اخته سليمان حنـا ايليا الذي عمره لا يتجاوز خمسة عشر سنة لمرافقته، فوضع الخرج فوق الدابة، وتوجه مع ابن اخته عن طريق (بابقا) قاصداً صديقه عبد الله علكة رئيس عشيرة الهسنية الباولية في قرية (ريزوق). فلما وصل عند صديقه عبد الله علكة، استغرب من مجيئه في هذه الظروف الصعبة وقال له: كيف أتيتي في هذه الظروف الصعبة !! فأجابه حدوستو: أتيت لعندك لترافقني إلى قرية (الأقمشة) حتى أوصل هذا الحمل الذي فوق الدابة إلى اسحق كمال بك.

فلم يعترض عبد الله علكة، بل أخذ بندقيته ورافقه إلى قرب قرية (الأقمشة) وعاد إلى قريته (ريزوق). هكذا كانت العشائر الكردية في منطقة آزخ تقوم بخدمة أهل آزخ عند اللزوم.

توقف لحدو مقدسي مراد (حدوستو) مع ابن اخته سليمان عند عين ماء ليرتويا ويرتاحا قليلاً من التعب، ثم أمر ابن اخته أن يخفي الدابة

المحمّلة ليرات ذهبية ومجيدية في الوادي القريب من عين الماء بحراسة ابن اخته سليمان حنا ايليا لكي لا يراه أحد، ريثما يعود خاله حدوستو.

ذهب لمقابلة اللواء اسحق كمال بك، فلما علم بوجوده فوراً سمح له بالدخول، استغرب اسحق بك من مجيئه لعنده والطريق غير مأمون، لكنه رحب به ترحيباً بالغاً، وقال له: كيف وصلت إلى هنا ؟؟ ولماذا أتيتي لعندي ؟؟

أجابه بجرأته المعهودة: جئت لعندك حتى أجعلك أغنى رجل في حياتك، ومن بعدك ذريتك، لقد جلبت لك من الليرات الذهبية والمجيدية الفضية ما يكفيك ولم تحلم به وتتصوره بحياتك !

وفي هذا الوقت بالذات كان اسحق كمال بك قد أعطى الأوامر إلى جنوده لكي يربطوا المساجين حول شجرة التوت الموجودة في حوش المختار لإطلاق الرصاص عليهم وإعدامهم إسوة بأهل قرية (الأقمشة) الذين قتلوا على هذه الصورة قبل أربعة أيام مع النساء والأطفال.

تقدم حدوستو وقال: يا اسحق بك، إذا قتلت هؤلاء الرجال وأعدمتهم ماذا ستربح ؟؟ غير الدعاء عليك واللعنات من ذويهم وأقربائهم !! وأنت هنا الآمر والناهي على كل شيء، إنني أضم رجائي مع رجاء أهلهم وذويهم إليك بأن تطلق سراحهم وترسلهم إلى مديات، وبذلك تكون قد أنهيت مهمتك.

شيمة أهل مديات

عندما وصل الموقوفين إلى مديات، أدخلوهم فوراً إلى داخل كنيسة مارت شموني للسريان الأرثوذكس منهكين من التعب والجوع، وأوقفوهم كسجناء.

جاء أهل مديات وقدموا للمساجين الجائعين الخبز والطعام بصورة يشكرون عليها، لأن بعض السجناء لم يذق الطعام منذ ثلاثة أيام، وقد استمر تقديم الطعام من قبل أهل مديات لمدة خمسة عشر يوماً متواصلاً، حيث جلبت النساء معهن المؤن والأطعمة اللازمة.

قام أهل مديات بإيواء تلك النسوة في بيوتهم لغاية شهر أيار عام ١٩٢٦، وفي هذه الأثناء قامت الحكومة التركية بفرز الأشخاص الذين وقعوا على العريضة المرسلة إلى غبطة البطريرك عمانوئيل والمطران توما القصير في الموصل.

بعد أن تعرفوا عليهم قبضوا على أحد عشر شخصاً منهم، وأخلوا سبيل الآخرين، ورجعوا إلى آزخ في ١٩٢٦/٥/٢٠، وهم فرحين ومسرورين لإنقاذهم من حكم الإعدام الذي كان ينتظرهم.

أما الأشخاص الذين تم فرزهم من بين الموقوفين وجدوا أن بعض الأسماء ليست موجودة بينهم، أرسل اسحق بك برقية إلى قائد منطقة جزيرة بن عمر للقبض على أصحاب التواقيع على الرسالة.

فوراً ذهب صبري بك إلى مدينة آزخ، وطلب الجتماع مع الزجهاء ورجال الدين في صالون الكنيسة.

فلما حضروا واجتمعوا مع القائد صبير بك، ألقى القبض على إثني عشر شخصاً من أصحاب التواقيع، منهم المطران بهنان عفراوي وحنا ايليا وآدم لحدو آدم وملكون قس توما هندو وحنا صلو كتي وقرياقس يوسف وحنا صاصون وجاجو مرّو ويعقوب شوشي وذلك في شهر كانون الثاني ١٩٢٧.

وقد برز صبري بك قائد المنطقة الرسالة أمامهم فلم يتمكنوا من الإنكار لأنه برهان قاطع على إدانتهم، فألقي القبض عليهم وربطوهم بالحبال وأودعوهم في السجن، بعد إكمال التحقيق معهم، تقرر سوقهم بعد أسبوع إلى ديار بكر سيراً على الأقدام، وصلوا دياربكر بعد عشرة أيام وهم يعانون الأمرّين من سوء المعاملة الوحشية من جنود الأتراك وبرد الشتاء القارص والجوع الذي أنهكهم، وقد أودعوهم السجن ريثما تنظر المحكمة العرفية في قضيتهم.

وبعد مثولهم أمام المحكمة العرفية في دياربكر، حكمت عليهم بالسجن لكل واحد منهم ثمانية عشر سنة بالتساوي.

قضوا من حكمهم ثمانية عشر شهراً ثم أخلي سبيلهم بموجب العفو العام الذي أصدره رئيس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك.

مات منهم ثلاثة في السجن وهم: المطران بهنان عفراوي وحنا صاصون وآدم لحدو آدم، حيث كانوا ضحية غدر واستبداد الحكومة

التركية، وأصبحوا من الشهداء الأبرار الذين قدمتهم مدينة آزخ ضحية لأجل السيد المسيح سنة ١٩٢٧.

بعد العفو العام وصل الرجال إلى آزخ، استعادت الناس أنفاسها قليلاً، لكن بعد فترة وجيزة من الزمن صارت المضايقات من قبل " JANDARME " الخاصة التابعة لمدير منطقة آزخ، وبالأخص زمن المختار بحّي عزّو الذي أصبح مختاراً دون إرادة شعب آزخ، وأصبح جاسوساً لمدير المنطقة، ولم يفلت أحد من شره ونجاسته، وقلبه مليء بالحقد والكراهية ولا يعرف الشفقة على أحد.

جاء بحي عزو من جزيرة بن عمر لاجئاً إلى مدينة آزخ أثناء الضيقات هارباً من القتل، سكن وتزوج من بنات آزخ وهي شقيقة المدعو مرقس كورية وسكن مدينة آزخ إسوة بالناس اللاجئين الذين جاءوا والتجأوا إلى مدينة آزخ عام ١٩١٥.

فلما أصبح مختاراً صار يتعدى على وجهاء مدينة آزخ، ناكراً المعروف والجميل الذي قدمته مدينة آزخ له وحوته ولمّته كمشرّد وعاش فيها بأحلك الظروف، حتى وصلت وقاحته وتجاوزت إلى ضرب بعض وجهاء المدينة (شقمات) (١) لإهانتهم أمام الناس.

ضرب شقمة لكل من الوجهاء ببو اسطيفو وكورية أوسي وحنا

١- شقمة: كلمة آرامية (ܫܩܡ ܫܩܡܐ) تعني: سقم عل، و(ܫܩܦ ܫܩܦܐ) تعني: صفق ـ لطم، المثل الآزخي يقول: ضربه شقمة ومدّو في الفراش، أي: لما ضربه شقمة، علّه وسقمه، لأنه لم يتمكن الرد عليه، أي شقفه وشقمه: ضربه وعلّه.

صلو كتي، وقدم وشاية بحق اندراوس حنا ايليا، قبض عليه مدير المنطقة، مدّده على الأرض وربط يديه ورجليه على أربعة أوتاد مفروزة في الأرض في حوش كنيسة السريان الكاثوليك مقر مدير المنطقة وأداروا وجهه تجاه الشمس المحرقة.

فلولا وصول خاله حدوستو في اللحظة الأخيرة، لكان مصيره الموت المحتم، لأن حدوستو كان رئيساً لحراس المنطقة ومترجماً ومعاون لمدير المنطقة، وكان ذا حظوة كبيرة لديه، وقد أنقذ كثيرين من الأكراد وأهل آزخ من الخدمة العسكرية التي كانت مدتها ست سنوات، وقد قضى حياته في خدمة أهل آزخ والعشائر الكردية في المنطقة، وكان محبوباً لدى الجميع، قضى نحبه في شهر حزيران عام ١٩٣٦.

جاء مطران مديات مع القسوس وانضم إليهم القسوس في آزخ، صلّي على جثمانه، وقبر في كنيسة العذراء، حزن عليه الجميع أربعون يوماً، كانت وفود العشائر الكردية المعزية تأتي من القرى وتجلب معها الخرفان حسب العادة المتبعة في المنطقة لذبحها وإطعام الضيوف الموجودين.

وهكذا كان أهل آزخ يحبون بعضهم بعضاً، واتبعوا كلام السيد المسيح إذ قال: " **أحبوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم** "، لذلك نصرهم الله على أعدائهم الذين يفوقونهم عدداً وعدةً.

الهجرة الإفرادية

في الآونة الأخيرة كثر الظلم والتعدي الذي لا يحتمل من قبل الأتراك على أهل آزخ، أول من هاجر الفقراء والعمال وأصحاب الدخل المحدود من البلد إفرادياً، إلى أن أصبحت فيما بعد جماعية إلى سورية الأم الحبيبة.

وأكثرية المهاجرين سكنوا في قرية عين ديوار (١) وقرية ديريك وذلك لقرب هاتين القريتين من مدينة آزخ، وأكثريتهم سكنوا في ديريك، حتى أصبحت كأنها آزخ الجديدة.

سابقاً كان رئيس البلدية في مدينة آزخ من نصيب السريان لغاية ١٩٧٠، ثم تشتت أهل آزخ من ظلم الأتراك، هاجروا وتوزعوا في الدول والبلدان الأوروبية وسكن بعضهم في ألمانيا وسويسرا وهولندا وبلجيكا وفرنسا والسويد، وذهب قسم كثير منهم إلى كندا وأمريكا وأستراليا، ولم يبقَ في مدينة آزخ إلاّ القليل من الشعب السرياني الآشوري، مما فسح المجال لعشائر الكوشر الأكراد الاستيطان في مدينة آزخ وذلك تشجيعاً من الحكومة التركية، حتى أصبح رئيس البلدية من الأكراد.

وفي الحادي عشر من شهر كانون الأول ١٩٧٧ عيّن عبد الرحمن كجّي رئيساً للبلدية وبناءً على طلبه سمحت الحكومة التركية أن

١- عين ديوار: كلمة آرامية (ܥܝܢ ܕܘܪܐ) تعني: البيت الذي بقرب العين.

يبني مائتي بيت في مدينة آزخ ووزعها على الكوشر الأكراد وسكنوا فيهم.

بعدئذٍ سمح رئيس البلدية بالبناء، ولم يتمكن أهل آزخ من منع البناء في أراضيهم وترابهم، مما أدى إلى ترك هذا التراب الغالي الذي تركه لهم أجدادهم وآبائهم، ولم يبقَ أمامهم بالرغم من تاريخهم البطولي سوى النزوح والنجاة من الاضطهاد القاسي، حيث لم يبقَ للمقاومة اليوم أي معنى سوى الانتحار البطيء.

وبالرغم من انتشار عشرات الآلاف من الآزخيين السريان في أرجاء المعمورة، فإن ذكرى مدينة آزخ المنتصرة مدينة المقاومة والأبطال ما زال محفوراً في قلب كل آزخي وكل من ينتمي إلى تاريخها الآرامي الآشوري المجيد.

الهجرات الجماعية الأولى

في عام ١٩٣٠ –١٩٣٥ ول الفرنسيون إلى سوريا ـ الجزيرة، ووضعوا الحدود الحالية ما بين سوريا وتركيا، واتخذ الفرنسيون قريتي عين ديوار وديريك مركزين هامين للجيش الفرنسي.

وعلى أثر الظلم والتعدي والإجحاف الذي حصل لأهل آزخ فيما بعد، اضطر الشباب منهم أن يهاجروا بالمئات إلى أرض الجدود بلادهم سوريا وبين النهرين للانخراط في الجيش الفرنسي.

كانت ديريك ـ المالكية، قرية قديمة لا يتعدى عدد البيوت فيها عشرة بيوت فقط، يتوسط هذه البيوت كنيسة قديمة مهدّمة خربة باسم العذراء مريم، يعود تاريخ بنائها إلى القرن الثالث للميلاد.

بعد انخراط الشباب في الجيش الفرنسي ابتدأوا في بناء البيوت من اللبن الترابي ليسكنوا فيها، أما عين ديوار كذلك عمرها الجنود المتطوعون في الجيش الفرنسي، وهي قرية أثرية تطل على نهر دجلة بالقرب من الحدود التركية.

وقد أصبحت فيما بعد مدينة فيها أربعة ملاهي للراقصات ـ THEATRE ـ وأصبحت مدينة تجارية من الدرجة الأولى، يقطنها آلاف السريان الآشوريين، الذين نزحوا من آزخ ومن قرى جبال جودي وجزيرة بن عمر، هرباً من ظلم الأتراك.

ثم اصبحت عين ديوار مندقة يديرها (قائمقام) لغاية عام ١٩٤١، عندما انسحب الجيش الفرنسي من المالكية (ديريك) على أثر دخول الجيش البريطاني إلى سوريا عن طريق العراق والأردن، عندئذٍ نزحت العائلات السريانية الآشورية الآزخية من عين ديوار وسكنت في مدينة ديريك خوفاً من هجوم الأتراك عليهم لقربهم من الحدود التركية، لأن غالبية سكان ديريك هم من شعب آزخ، لقد تجمعوا في ديريك ليصبحوا قوة هائلة مستعدين للدفاع عن أنفسهم فيما إذا أثار أحد إزعاجهم.

أما الجيش الفرنسي كان يضم أكثرية من الآزخيين واتخذت قيادة الجديش الفرنسي قرية تل علو مركزاً لمجابهة جحافل الجيش الانكليزي الآتية من العراق عن طريق بلدة اليعربية (تل كوجك).

فلما رأى القائد الفرنسي هذه القوة الهائلة من الدبابات والعربات المصفحة والآليات الحربية بالآلاف بمساندة من المدافع الميدانية، مما ألزم الجيش الفرنسي على الاستسلام، وقد أخذوا الجنود الفرنسيين أسرى حرب وأرسلوهم إلى مدينة البصرة في العراق.

وقد تمكن كل من علي ديبان ويوسف لحدو مراد وعزيز جاجان ويوسف كورية أوسي من الفرار دون أن يستسلموا للجيش الانكليزي وجاءوا مع كامل أسلحتهم إلى ديريك بالرغم من الصعوبات والمشقات التي لاقوها في الطريق.

فلما انسحب الجيش الفرنسي من ديريك، هجم أهل آزخ على الثكنة العسكرية واستولوا على الأسلحة والذخائر التي تركها الفرنسيون في المخازن والمستودعات ونهبوا المواد التموينية من المخازن.

لأن أهل آزخ لهم الخبرة والدراية في هذه الحالات أثناء المحن الصعبة التي اكتسبوها في الماضي.

ظلت مدينة ديريك مدة سنة ونصف بدون حكومة وانقطع حبل الأمن في المنطقة، وأهل آزخ يستعدون لمجابهة كل غازٍ تُسَوِّل له نفسه الاعتداء عليهم.

انتهز عملاء الأتراك من جديد فرصة العبث في المنطقة، فحرّضت الشيخ ابراهيم دين (١) الذي يسكن في ديريك على القيام بجمع المرتزقة من المناطق البعيدة لأنه ليس من حكومة في الوقت الحاضر تحمي السكان، فجلب هؤلاء المرتزقة وأسكنهم في قرية (قضاء رجب) المحاذية للحدود التركية وجعلها مركزاً لقيادته حيث تجمع عشرات الآلاف من المرتزقة، إلاّ أن العشائر الكردية في منطقة ديريك لم تنصاع لأوامره، بل هجموا على بيته وأحرقوه.

في أوائل شهر أيلول عام ١٩٤١ عزم الشيخ ابراهيم دين على مهاجمة ديريك، قبل أن يأتي الجيش الانكليزي من القامشلي، وفي اليوم الثاني من شهر أيلول الساعة الرابعة من بعد الظهر أرسل شرذمة من المرتزقة إلى قرية (كرزرك) (٢) وتمركزوا فوق التل القريب من مدينة ديريك وابتدأوا بإطلاق الرصاص على السكان عشوائياً ومنعوهم من

١- دين: كلمة كردية (DIN) تعني:المجنون، أي: الشيخ ابراهيم المجنون.

٢- كرزرك: كلمة آرامية ([illegible]) تعني: الشغوف والمولع بالخمر، لأنه قديماً كانت هذه القرية تصنع الخمر.

الخروج من منازلهم مما سبب ذلك منع الناس من التجوال في الشوارع.

فما كان من أهل آزخ إلاّ أن يهاجموهم في عقر دارهم فوق التل، فقتلوا منهم خمسة أشخاص وجرح بعضهم، ولاذ الباقون بالقرار إلى قرية (قضاء رجب) مركز تجمعهم.

بعد ذلك شكل أهل ديريك دوريات ليلية مشتركة تجوب الشوارع، وكان يرأس إحدى هذه الدوريات القس جبرائيل جمعة شالحاً جبته وقلنسوته الكهنوتية يجوب الشوارع يحث الجماهير على ضبط النفس، ويذكرهم كيف كان يناضل أجدادهم وآباءهم الميامين في مدينة آزخ ضد الأتراك الظالمين دفاعاً عن دينهم وعقيدتهم الأرثوذكسية حتى الموت.

كانت المحبة والألفة بين جميع الطوائف المسيحية والأكراد الذين ينتمون إلى العشائر الكردية: مما - هارونية - حسنية باولية، بقيادة البطل ميرو آغا، وعشائر الكوشر بقيادة نائف مصطفى باشا الذي يتخذ جبل كراتشوك مركزاً لسكناه حتى الآن.

لكن هناك حوادث قد حصلت في هذه الظروف العصيبة حيث قتل المدعو عيسى كوريك غدراً على يد بعض شذاذ الآفاق من عملاء الشيخ ابراهيم دين، وحرقوا سيارة من نوع فورد عائدة للسيد الياس عزّو أثناء وجود وفد من ديريك بقرية (قضاء رجب) برئاسة المختار كبرو مراد الحكيم لأجل التفاهم مع الشيخ ابراهيم دين لردعه عن القيام بأي عمل يسيء العلاقات الطيبة مع العشائر الكردية، لكنه أوعز إلى بعض المرتزقة ليحرقوا سيارة الوفد قبل أن يكملوا حديثهم للتفاوض معه، فاضطر الوفد أن يعود إلى ديريك سيراً على الأقدام.

على أثرها قطعت العلاقات بين أهل ديريك والشيخ ابراهيم دين، وصار يرسل المرتزقة ليعيثوا فساداً في القرى التي يسكنها السريان الآشوريين، وأصبحوا قطاع طرق يعتدون حتى على النساء والأطفال مثل حادثة المرأة الفاضلة فهيمة بنت كبرو خدو.

ـ حادثة فهيمة ـ

كانت فهيمة بنت كبرو خدو تسكن في قرية حياكة التي ورثتها عن أبيها إرثاً، جاءت فهيمة إلى ديريك برفقة المدعوة آسو من آل أصفطون، وأخذت معها طفلها الصغير عزيز، وهي حامل لتضع مولوداً في ديريك.

فتصدى لها المدعو ابراهيم القهواتي مع رفاقه الثلاثة من أعوان الشيخ ابراهيم دين، رأوا فهيمة وطفلها عزيز راكبين على الدابة، وآسو ماشية وراءهما، هجموا كالوحوش الكاسرة عليهم، فهربت آسو وماري قبل أن يلحقوا بهن، ولم تتمكن فهيمة من الفرار لوضعها الصحي ومعها طفلها البالغ من العمر سنتان.

فانهالوا على فهيمة وطفلها بالسكاكين في كافة أنحاء جسميهما، وقد طعنوها وطفلها في وجهيهما عدة طعنات حتى أثخنوهما بالجراح، فأغمي عليهما، ولاعتقادهم أنهما قد فارقا الحياة، رجموهما بالحجارة وتركوهما، وذهب الجناة إلى قرية قضاء رجب.

قبل أن تصل آسو إلى ديريك لتخبر عن الحادث الأليم، شاءت الأقدار أن يأتيّ في تلك الساعة المدعو اسماعيل كلش من عشيرة الهرونية من أهل (بافيا) ماراً في طريقه ليذهب إلى قرية (كرزرك).

عند اقترابه من كومة الحجارة سمع أنين موجع من تحت كومة الأحجار التي بجانب الطريق، فذهب فوراً ليستوضح الأمر، علم أنه يوجد شخصاً ما تحت كومة الأحجار، فلما رفع الحجارة، وجد فهيمة وطفلها عزيز يقطر من جسميهما الدم بشكل مذهل، فوراً أخذهما إلى ديريك وسلمهما إلى القس جبرائيل جمعة، فأتى ابنها مراد وأخذهما إلى بيته.

بعد المعالجة شفيت فهيمة وطفلها عزيز من الجروح الكثيرة، ثم وضعت طفلة جميلة.

كان أهل آزخ جميعاً يعلمون هذه القصة المأساوية، وكيف كان التعاون بين أبناء العشائر الكردية وأهل آزخ قديماً وحديثاً، وحتى الآن.

على أثر ذهه الأعمال الوحشية التي يقوم بها مرتزقة الشيخ ابراهيم دين، شكّل أهل ديريك وفداً برئاسة المختار كبرو الحكيم والقس جبرائيل جمعة والشماس حنا القس، وذهبوا إلى القامشلي لمقابلة الميجر الانكليزي لإرسال قوة من الجيش إلى مدينة ديريك لحماية سكانها.

فلبّى الميجر الانكليزي طلبهم، وأرسل مئة وخمسون جندي من الهنود، وأقاموا في الثكنة العسكرية التي أخلاها الجيش الفرنسي، بعدئذٍ انضم إليهم عشرون جندي من (الكاردموبيل) (١) - GARDE MOBIL -

---

١- كارد موبيل: تعني: الحرس الجوال - GARDE MOBIL -

التابعين للجيش الفرنسي بالقامشلي، لأنهم كانوا قد استسلموا للانكيز.

بعد يومين، أوعز الميجر الانكليزي إلى أهل ديريك أن يستعدوا للذهاب مع الجيبش الانكليزي لاحتلال قضاء رجب.

وفي اليوم الثاني عند الصباح، زحف الجيش الأنكليزي مع الكارد موبيل على قرية قضاء رجب من جهة الشرق، أما أهل آزخ زحفوا من جهة الجنوب على القرية. وعندما رأوا مرتزقة الشيخ ابراهيم دين أن أهل آزخ يتقدمون باتجاه القرية، أطلقوا فوراً الرصاص عليهم بغزارة، فرد أهل آزخ عليهم بالمثل، وأكملوا تقدمهم، وهجموا على المرتزقة القابعين وراء المتاريس يساندهم مئة وخمسون جندياً من الأتراك أتوا لنصرة الشيخ ابراهيم دين.

أما المرتزقة فلم يثبتوا في متاريسهم، فاندحروا أمام هجوم أهل آزخ، وهربوا كالثعالب إلى داخل الحدود التركية، وخلفوا ورائهم خمسة وأربعون قتيلاً في أرض المعركة منهم عشرون جندياً من الجيش التركي الذين أتوا ليهاجموا مدينة ديريك طمعاً في السلب والنهب وخطف النساء.

هرب الشيخ ابراهيم دين والتجأ إلى تركيا وسكن في (سيلوبي) (١) في سفح جبل جودي بالقرب من الحدود العراقية التركية.

وفي هذه المعركة استشهد جنديين من الكارد موبيل، أحدهم من أهل آزخ يدعى لحدو يشيرو والثاني أرمني يدعى أرميناك.

١- سيلوبي: كلمة آرامية (ܣܠܘܒܐ) تعني: ضعيف ـ هزيل، أي: سكان القرية الضعفاء.

فاحتل أهل آزخ قرية قضاء رجب وأحرقوها ودمروها ولم يتركوا شيئاً إلاّ وسلبوه.

بعد ستة شهور من هذه الحادثة، رجع الجنود من الأسر وسكنوا مدينة ديريك كمدنيين مسرحين من الجيش الفرنسي، ولم يمض ثلاثة شهور حتى جاء الجنرال ديغول - DEGAUL - إلى سوريا وأعاد الجنود المسرّحين إلى الخدمة من جديد في الجيش الفرنسي، وأصبحت مدينة ديريك ذات عز وسؤدد.

فلو قضي على أهل ديريك الآزخيين لما بقي على قيد الحياة مسيحي واحد في القرى المسيحية حتى القامشلي، لكن شجاعة أهل آزخ ودحرهم جنود الأتراك ومرتزقة الشيخ ابراهيم دين، ساعد على بقاء سكان القرى وبعض العائلات الأرمنية الموجودة في هذه المنطقة الحساسة والمجاورة للحدود التركية والعراقية.

أثناء حملة الشيخ ابراهيم دين وتحالفه مع الأتراك وجلب المرتزقة بالآلاف للقضاء على مدينة ديريك وسبي النساء، كان عرب الشمّر والطي يهددون كل من يعتدي على السريان الآشوريين في مناطقهم، وهكذا الشيمة العربية المنبثقة من الصحراء - البادية حيث كان العرب في كل دور وزمان يذودون عن السريان الآشوريين أولاد عمهم، وفي هذا الاتحاد تمكنوا من دحر جيش بيزنطا وجيش الفرس.

واليوم أيضاً انهم متحدون مع السريان الآشوريين ضد الاستعمار وضد كل من تسول له نفسه لمس كرامة الوطن الحبيب سوريا العزيزة.

رجوع الجيش الفرنسي من الأسر

بعد عودة المتطوعين في الجيش الفرنسي من الأسر إلى ديريك، ظلوا فترة من الزمن كمدنيين، ثم أعيدوا من جديد إلى الخدمة في الجيش الديغولي.

استتب الأمن من جديد، فتوسعت زراعة الكروم والبساتين لغاية عام ١٩٤٥ عندما رحل الجيش الفرنسي عن سوريا نهائياً، ذهب قسم من الجنود مع الفرنسيين إلى لبنان، وانضم القسم الثاني إلى الجيش السوري الوطني.

وبأمر من غبطة البطريرك اغناطيوس أفرام الأول، أوعز إلى سيادة المطران قرياقس للذهاب إلى لبنان لإقناع الجنود الذين ذهبوا مع الفرنسيين للعودة إلى وطنهم سوريا الأم.

ذهب المطران اسطاثاوس قرياقس برفقة الخوري ملكي والقس حنا وسكرتيره شكر الله قبل أن يصبح كاهناً، وقد تحقق مسعى المطران قرياقس، وأعاد جميع الجنود من لبنان إلى سوريا، وصل الجنود المسرّحين إلى ديريك حيث الأمان والاستقرار في ظل الجمهورية السورية، وابتدأوا من جديد ببناء وعمار البيوت من البيتون المسلح ترسيخاً لبقائهم في مدينة ديريك.

لأن في كل سنة كانت تصدر الإشاعات بأن فرنسا ستعدل الحدود وتغير الخارطة الجغرافية لسوريا لضم بقية ما بين النهرين إلى سوريا، فتصبح مدينة آزخ من ضمن الأراضي السورية، لذلك كان بناء البيوت من اللبن الترابي والسقوف من الخشب، لكن بعد عودة الجنود المسرّحين

من لبنان، قطعوا الآمال من تغيير الحدود والعودة إلى مدينة آزخ حسب الإشاعات التي كانت تشاع في حينها، فركزوا على القاء في مدينة ديريك، وقد وسّعوا زراعة الكروم والبساتين كأنها مدينة آزخ القديمة، حيث زرع نوح أول شجرة من الكرمة في (بيت عيناتا) وسكن فيها، وبنى معبد للإله (زبدا) لذلك أصبحت زراعة الكروم مشهورة في مدينة آزخ منذ القيدم، ثم جاء السيد صبري يوسف سعيد من زاخو العراق إلى ديريك، وعرض على أهل آزخ شراء الأراضي التي يملكها في مدينة ديريك، وبسعر رمزي يقدمها هدية إلى شعب آزخ البطل دون سواه، فبكون لكل واحد منهم الحق في بناء دار سكن ومساحة من الأرض يزرعها كرماً، بدءاً من الأرملة الفقيرة وإلى أإنى رجل بينهم دون تفريق أو تمييز.

على أثر هذا العرض تشكلت لجنة شراء برئاسة المختار كبرو مراد الحكيم وعضوية كل من كوركيس رشكو ويعقوب شمعون غزو ويوسف لحدو مراد وعبد الله عبد الأحد وكيل أوقاف السريان الأرثوذكس، بتاريخ ٢٠/٥/١٩٥٤.

ذهبت اللجنة إلى مدينة القامشلي برفقة السيد صبري يوسف سعيد واجتمعت في فندق الفردوس، وتم الاتفاق على شراء ثلثي ملكية أراضي ديريك التي يملكها صبري يوسف سعيد بمبلغ قدره أحد عشر ألف ليرة سورية لا غير.

وبما أن هذا المبلغ لم يكن متوفراً في صندوق أوقاف كنيسة السريان الأرثوذكس بديريك، مما حدا اللجنة إلى تكليف السيدين كوركيس رشكو ويوسف لحدو مراد للذهاب إلى عند السيد مسعود أفندي (آل أصفر ونجار) في القامشلي لاستدانة المبلغ المطلوب بكفالة السيد كوركيس

رشكو، بصفته ملاك وصاحب أراضي ومعروف من قبل السيد مسعود أفندي.

فلما علم بأن هذا المبلغ هو لصالح أوقاف السريان الأرثوذكس ولأجل شراء أراضي في ديريك بضمانة من السيد كوركيس رشكو، أسلمه فوراً المبلغ وقدره أحد عشر ألف ليرة سورية لا غير، وذلك بموجب سند موقّع من السيد كوركيس رشكو وبشهادة يوسف لحدو مراد، فوراً عادا إلى فندق الفردوس، واستلم المبلغ صبري يوسف سعيد بموجب سند بيع بحضور اللجنة موقّع من قِبَل البائع صبري أفندي.

ولما كان شراء ثلثي أراضي ديريك لصالح شعب آزخ دون سواه، هنا فكرت اللجنة بأن تسجل كامل الملكية التي مساحتها ستمائة وستة وأربعون هكتار باسم أوقاف السريان الأرثوذكس في ديريك، ورفضت اللجنة توصية السيد صبري يوسف سعيد، وألزمت اللجنة على كل من يود بناء دار سكن أو الحصول على مساحة من الأرض لزرعها كرم أو بستان أن يشتري هذه المساحة من الأرض بموجب سند موقّع من وكيل الأوقاف ويصدّق من سيادة المطران اسطاثاوس قرياقس متروبوليت الجزيرة والفرات.

وقد أصبح ثلثي أراضي ديريز الزراعية وغير الزراعية ملكاً باسم أوقاف السريان الأرثوذكس بديريك، والثلث البابقي من الأراضي باسم قدري عبد الغني الذي اشتراها من السيد عبد الكريم ملاّ صادق اعتباراً من تاريخ البيع، وقد كتبت اللجنة سند تعهد بهذا الخصوص بتاريخ ١٩٥٤/٥/٢٤ تبرز صورة أصلية عن كل سند تعهد وعقد اتفاقية بين الطرفين ذات العلاقة.

➢ سند تعهد ➣

بتاريخه أنا الموقع أدناه إمضائي بذيله عبد الله عبد الأحد من قضية ديريك أقر وأعترف بأنه إذا جرى بناء على الأرض العائدة لخراج بلدة ديريك والقرية من قبل الغير عن البيع أو الهبة أو الاستئجار فإن كامل البدل أدفعه إلى السيد صبري يوسف سعيد العراقي التبعة لمدة عشر سنوات وبعد هذه المدة يسقط عنه هذا الحق كما أن تعهدي هذا يلغى بعد المدة المذكورة.

وللبيان حرر ١٩٥٤/٥/٢٤

كبرو مراد الحكيم

التوقيع

الشهود: كوركيس رشكو — شماس حنا القس

التوقيع — التوقيع

مصدق في ١٩٥٤/٥/٢٤

سيادة المطران قرياقس

التوقيع

بتاريخ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٢٤/٥/١٩٥٤

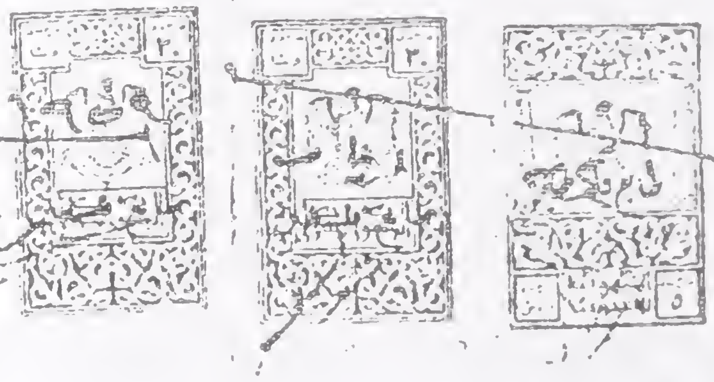

[illegible]

[illegible]

٢٤/٥/١٩٥٤ [illegible]

وفي ٩ نيسان ١٩٥٠ أعطى رزق الله أنطون موسى بصفته وكيلاً قانونياً عن ابن أخيه صبري يوسف سعيد سند تعهد لبلدية ديريك هذا نصه:

➢ سند تعهد ➢

بتاريخه أدناه أنا الموقع يذيله رزق الله انطون موسى من أهالي قضية ديريك فيها أقر وأعترف وأنا بكامل الأوصاف المعتبرة شرعاً وقانوناً بأنني بالأصالة عن نفسي وبالوكالة عن ابن أخي صبري أفندي بن يوسف سعيد من أهالي قرية زاخو العراقية بموجب سند التوكيل العام المصدق لدى كاتب عدل زاخو بتاريخ ٨/حزيران/١٩٣٠ ورقم ٦٢ صحيفة ١٨٨ جلد ١ قد تنازلت إلى دائرة البلدية في قضاء الدجلة ديريك عن نصف ملكي في القرية قضية ديريك المذكورة مناصفة ولا يحق لي الرجوع عن هذا التنازل وإن أَخَلَّيت بشرط من هذه الشروط أكون ضامن كل عطل وضرر يلحق بالدائرة المشار إليها ذلك كما وأن دائرة البلدية المشار إليها مكلفة أيضاً بالمحافظة على حقوقي من الضرر وعليه نظم هذا التعهد ليصدق من الكاتب بالعدل بقضاء الدجلة بطوعي ورضاي وبدون إكراه ولا إجبار تحريراً.

المتعهد

التوقيع

شاهد معروف	شاهد معروف
ميشل خليل	حامد
التوقيع	التوقيع

سند تعهد

بتاريخ ادناه انا الموقع نذير رزق الله الظاهر موسى من اهالي قصبة ديريك فيها اقر واعترف وانا ذو
كامل الاوصاف المعتبرة شرعاً وقانوناً بانني بالاصالة عن نفسي وبالوكالة عن ابن اخي صبري افندي بن يوسف
افندي من اهالي قرية زاخو العراقية بموجب سند التوكيل العام المصدق لدى كاتب عدل زاخو بتاريخ
حزيران ١٩٢٠ ورقم ٦٢ صحيفة ١٨٩ جلد ١ قد تنازلت الى دائرة البلدية في قضاء الدجلة ديريك
عن نصف ملكي في القرية قصبة ديريك المذكورة من الاراضي ضمن منطقة البلدية المشار اليها
العمران لحسابها وقد فوضتها ايضاً ببيع كامل ذلك لحساب العمران على ان يكون الثمن يبقى
ضمن دائرة البلدية المذكورة مضاعفة ولا يحق لي الرجوع عن هذا التنازل وان اخليت بشرط
من هذه الشروط اكون ضامن كل عطل وضرر يأتي بالدائرة المشار اليها وذلك كما وان دائرة
البلدية المشار اليها مكلفة ايضاً بالمحافظة على حقوقي من الضرر وعليه نظم هذا التعهد ليصدق
من الكاتب بالعدل بقضاء الدجلة بطوعي ورضائي وبدون اكراه ولا اجبار تحريراً

٩ نيسان ١٩٥٠

شاهد ومعرف   شاهد ومعرف

ميشيل خليل   حامد   المتعهد

التوقيع   التوقيع   التوقيع

الرقم ٢٧

في يوم الثلاثاء الواقع في الخامس عشر من شهر رجب عام الف وثلاثمائة وتسعة وستون هجرية المصادف
لليوم الثاني من شهر ايار عام الف وتسعمائة وخمسون ميلادية حضر امامي انا محمد نديم محي الدين
كاتب عدل قضاء الدجلة حال وجودي بدائرتي الرسمية بين اوقات الدوام السيد رزق الله
الظاهر موسى من اهالي قصبة ديريك وابرز هذا السند التعهد وطلب الي تصديقه وبعد تلاوته
عليه وافهام ماله اليه اعترف بصحة مندرجاته شرفياً وذلك بحضوري وحضور الشاهدين
المعرفين المبينة اسماؤهما اعلاه وبعد استيفاء الخرج القانوني المبين بذيله
صدقته تحريراً

ختم وتوقيع الكاتب بالعدل

قرش	
٤٥٠	الخرج
١٨٠	العدل
٢٠٠	تحريراً

ختم وتوقيع الكاتب بالعدل

الرقم ٢٣

بيوم الثلاثاء الواقع في الخامس عشر من شهر رجب عام ألف وثلاثمائة وتسعة وستون هجرية والمصادف اليوم الثاني من شهر أيار عام ألف وتسعمائة وخمسون ميلادية حضر أمامي أنا محمد نديم محي الدين كاتب عدل قضاء الدجلة حال وجودي بدائرتي الرسمية بعد أوقات الدوام السيد رزق الله انطون موسى من أهالي قضية ديريك وأبرز هذا السند التعهد وطلب إليّ تصديقه وبعد تدوينه وإفهام ماله إليه اعترف بصحة مندرجاته حرفياً وذلك بحضوري وحضور الشاهدين المعرّفين المبيّنة أسماءهما أعلاه وغير استيفاء الخرج القانوني المبين بذيله أصدق تحريراً.

ختم وتوقيع الكاتب بالعدل

قرش

٤٥٠ الخراج

١٨٠ العدل

٢٠٠ تحريراً

قويل

التوقيع

بعد شراء أراضـــي ديريـك مـن السيد صـبري يوسـف سـعيد عقد اتفاقية ما بين وكيل الأوقاف عبد الله عبد الأحد وقدري عبد الغنـي كمـا يلي:

= عقد اتفاقية =

فريق أول: عبد الله عبـد الأحـد وكيـل أوقـاف السـريان بديريـك بموجـب الوكالة الرسمية المنظمة حسب الأصول.

فريق ثاني: قدري عبد الغني وأخوه عبـد الرحمـن عبـد الغنـي مـن أهـالي وسكان قرية ديريك. ان مـن الجـاري والمتفق عليـه نعترف الفريقيـن الأول والثـاني بكـامل أمـلاك قريـة ديريـك المحـددة شرقاً ببورز وغرباً بكـرززرك وشـمالاً بـاجريق وبـاتي قصـر وجنوباً كري فرّا وذلك بموجب المخطط المبرز فـي الدعـوى التسجيلية القائمة لدى القاضي العقاري في الدجلـة (بـلا) ولمـا كان الفريقان المتعاقدان وهما بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعاً وقانوناً ألحّ على ما يلي:

١- كـروم العنـب التـي تقـع جنـوب البلـدة وغربهـا والمشـجرة حاليـاً هـي للفريق الأول وان الفريق الثاني أسقط كامل حقوقه عن هذه الأراضي المذكورة في البند الأول.

٢- والأراضي الواقعة بين الحدود التالية: من عين العسكر ومن الشمال طريق عيد ديوار ومن الجنوب جسر طريق الثكنة ومن الشرق بستان العسكرية والمشجرة حالياً، هي ملك للفريق الثاني وغير المشجرة وأصبح المالك يتصرف بها وحده.

٣- كل عطل وضرر مادياً وملكياً يكون على الفريقين في حال وقوعه بحسب حصصهما.

٤- طاحونة الماء الموجودة شمال البلدة هي ملك لصبري سعيد الملاك القديم.

٥- كل بيع وشراء لا يكون إلاّ برضى الطرفين.

٦- كل سند معطى لأحد أفراد البلدة بدون توقيع الطرفين لا يعتبر قانوناً اعتباراً من هذا التاريخ.

٧- كل مصاريف اعتباراً من هذا التاريخ تكون على الفريقين حسب حصصهم.

٨- فبياناً للأراضي المنوّه عنها في المادة الأولى والمادة الثانية يبقى الفريقان المتعاقدان مالكين ومتعاقدين على التصرف بكامل الأراضي العائدة لقرية ديريك حمو، لكل نسبة حصته، أي: ان الفريق الأول يملك ويتصرف بثلثي القرية والفريق الثاني يملك ويتصرف بثلث القرية المذكورة.

٩- إذا ظهر معارض أو منازع على الفريقين مجتمعين أو منفردين بأن الفريق الآخر يلتزم بدفع ما يترتب عليه من مصاريف المعارضة والمنازعة حسب حصته.

لذلك نحن الفريقين نصادق ونوافق على المواد المذكورة أعلاه بكاملها الموضوعة في نسختين واحدة عند الفريق الأول وأخرى عند الفريق الثاني.

١٧-١١-١٩٥٤

شاهد	شاهد	التوقيع
المختار حنا اسطيفو	توما عبدي	قدري عبد الغني عبد الله عبد الأحد
التوقيع	التوقيع	

٩ - اذا ظهر معارض او منازع على الفريقين شخصي او منفرد به فان الفريق الاول هو ملزم برفعه مع ما يترتب عليه من مصاريف المحاكمة والمنازعة حسب حصته.

وعلى ذلك عقد الفريقين تعاقدهما وتوافقا على المواد المذكورة اعلاه بكامل ارادتهم الموضوعة في نسختين واحدة عند الفريق الاول وواحدة عند الفريق الثاني

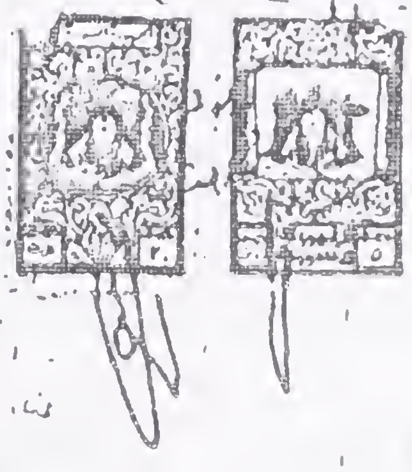

شاهد [illegible]   شاهد [illegible]

عقد اتفاقية

فريق اول : عبد الله [illegible] وكيل [illegible] السيدات [illegible] بموجب الوكالة الرسمية المنظمة حسب الاصول .

فريق ثان : حمدي عبد الغني واحمد عبد الرحمن عبد الغني من [illegible] وسكان [illegible] .

الاراضي الجارية والمتصرف بها من قبل الفريقين الاول والثاني بكامل [illegible]

المحدودة [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] بموجب المخطط المبرز في الدعوى [illegible] القائمة لدى قاضي [illegible] في [illegible]

[illegible] ( ) . ولما كان الفريق الاول [illegible] العقارية المذكورة ولما كان الفريق الثاني

[illegible] فقد اتفق الفريقان المتعاقدان [illegible] على ما يلي :

١ - [illegible] التي [illegible] المسجرة [illegible]

[illegible] [illegible] للفريق الاول [illegible] الفريق

٢ - و [illegible] المذكورة في البند الاول .

[illegible] [illegible] [illegible]

٣ - الفريق الثاني [illegible] [illegible] [illegible]

أ - [illegible] [illegible] [illegible]

ب - [illegible] [illegible]

ج - [illegible] [illegible] [illegible]

د - [illegible] [illegible] ([illegible])

هـ - [illegible] [illegible]

و - [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الفريقين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] بكامل [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المتعاقدان [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ان الفريق الاول [illegible] العقارية المذكورة

➢ سند تعهد ➢

بتاريخه أدناه الموقع بذيله سليمان حنا ايليا من أهالي قضية المالكية ديريك أقرّ وأعترف وأنا بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعاً وقانوناً بأنني بالأصالة عن نفسي وبالوكالة عن موكلي السيد صبري يوسف سعيد من أهالي وسكان بلدة زاخو العراقية وبموجب الوكالة العامة المنظمة لدى الكاتب بالعدل في قضاء زاخو العراقية ذي الرقم ٥٩ وتاريخ ١٢-٦-١٩٥٤ وتثبيتاً للسند المعطى من قبل الوكيل السابق المتوفي المرحوم رزق الله انطون إلى ديريك والمسجل لدى الكاتب بالعدل في قضاء الدجلة برقم ١٢/١٣ وتاريخ ١٩٥٠/٤/٢٩ واستناداً للوكالتين المشار إليهما أعلاه والمقدمة صورة مصدقة عنهما وبما أن موكلي يتصرف بثلثي أراضي قضية ديريك المعدة للعمران فقد تنازلت بدون إكراه إلى دائرة بلدية ديريك عن نصف حصتي من الأراضي الواقعة ضمن نطاقها العمراني وتفويضها ببيع هذه الأراضي للعمران على أن تكون القيمة مناصفة بيني وبينها وذلك لقاء قيامها بالبيع وأن تعمل دائرة البلدية المذكورة على تصفية حسابي عن النصف المستحق لثلثي الأراضي المعدة للعمران في ديريك وضمن نطاقها على مرحلتين في كل سنة.

كما أن هذه الدائرة مكلفة بالمحافظة على حقوقي المستحقة في الأراضي المار ذكرها من الغدر والتجاوز عليها من قبل الغير.

كما انه لا يحق لي الرجوع عن هذا التنازل وإن أخلّيت بشرط من هذه الشروط أكون ضامناً لكل عطل يلحق بالدائرة المشار إليها من جراء ذلك.

وعليه نظم هذا التعهد بطوعي واختياري وبدون إكراه ولا إجبار ووقع تحريراً ١٩٥٧/١/٣٠

الوكيل القانوني

سليمان حنا ايليا

التوقيع

صورة كالأصل ١٩٥٨/٣/٤

المحاسب

التوقيع

ختم رئيس البلدية

مشد

[illegible] نفس

[illegible] قطعة الملك (ديريك) [illegible] وبالكل

[illegible] وبالوكالة عن موكلي السيد [illegible]

[illegible] بموجب الوكالة العامة المنظمة لدى

[illegible] رقم ٥٩ وتاريخ ٢٠/٦/١٩٥٢ [illegible]

[illegible] الى ديريك [illegible]

في [illegible] رقم ١٢ [illegible] ١٩٥٩ [illegible] المشار اليها اعلاه [illegible]

[illegible] تنازلت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ديريك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الدائرة المشار اليها [illegible] ذلك

[illegible] ١٩٥٧

الوكيل القانوني

[illegible]

الموقع

[illegible]

رئيس [illegible]

[illegible] ١٩٥٧

[illegible]

﴿ سند تعهد ﴾

نحن الموقعين أدناه مراد كبرو الحكيم وبهنان كبرو جمعه من أهالي قضية المالكية نقرّ ونعترف ونحن بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعاً وقانوناً وذلك بالوكالة عن موكلينا ورثة صبري يوسف سعيد بموجب الوكالة المنظمة من دائرة كاتب عدل شمالي بغداد برقم عمومي ٢٣٢٨٩ وخاص ٦١٣ تاريخ ١٩٦٤/٢/٢٣ .

اننا نقرّ مضمون سند التعهد المعطى من قبل سليمان حنا ايليا بتاريخ ١٩٥٧/١/٣١ ونلتزم بموجب هذا التعهد تنفيذ مضمونها بكل دقة وأمانة. وعليه وقعناه تحريراً.

الوكيلان القانونيان

بهنان كبرو جمعه	مراد كبرو الحكيم
التوقيع	التوقيع

إلى المحاسب
لإجراء الإيجاب
١٩٦٤/٢/٢٩

صورة طبق الأصل
محاسب بلدية المالكية
عيسى شمعون
الختم ١٩٧٧/١٢/٢٩

سند تعهد

نحن الموقعين ادناه مراد كرد الحكيم وبرهان كرد جمعه من اهالي قصبة [illegible]
نتعهد ونلتزم وعن كافة الاوصاف المعتبرة شرعاً وقانوناً وذلك بالوكالة
عن موكلينا ورثة حنا يوسف سعيد بموجب الوكالة المنظمة من دائرة
كاتب عدل شمالي بغداد برقم عمومي ٢٢٢٨٩ وخاص ٦١٢ تاريخ [illegible]
اننا نتعهد بموجب سند التعهد المعطى لبلدية المالكية من قبل ورثة الاهالي
[illegible] ١٩٥٠ [illegible]
بتاريخ ٢٠/١/١٩٧٠ ونلتزم بموجب سند التعهد [illegible]
بكل دقة وامانة. وعليه وقعناه تحريراً.

الوكيلان القانونيان

مراد كرد الحكيم

برهان كرد جمعه

٢٩

المحاسبة

المدير المالي [illegible]

١٩٦٤
٢٩/٦

أما مدينة ديريك أصبحت فيما بعد تدعى المالكية وذلك تخليداً لذكرى الشهيد عدنان المالكي، إلاّ أن أهل آزخ الموجودين في المالكية قطعوا الأمل بعد رحيل الفرنسيين عن سوريا حيث لم يتردد بمخيلتهم تغيير الحدود وضم أراضي مدينة آزخ إلى سوريا كما كان يشاع سنوياً أثناء وجود الفرنسيين.

ابتدأوا بهدم البيوت القديمة المبنية من اللبن الترابي والسقوف الخشبية، وأعادوا بنائها من البيتون المسلح ـ BETON ـ على الطراز الحديث وأصبحت المالكية من المدن الهامة في محافظة الحسكة من حيث التجارة والزراعة من كافة أنواع الحبوب والقطن، وأصبحت منطقة واسعة جداً وهامة من حيث آبار البترول والغاز الموجود في منطقة المالكية.

أما من الناحية الثقافية والعلمية من حيث كثرة المدارس حتى الثانوية العلمية والصناعية، وذلك لاهتمام الحكومة السورية بمدينة المالكية من حيث مركزها الجغرافي، ولم يبقَ في المالكية عائلة واحدة إلاّ وقد حصل أولادها وبناتها على الشهادات الجامعية من شتّى الفروع العلمية بجميع أنواعها.

فلا ترى عائلة واحدة في مدينة المالكية بالرغم من الفقر المدقع لبعض هذه العائلات، إلاّ وقد تخرج أكثرية أولادها وبناتها من الجامعات السورية والأجنبية بشتى فروع العلوم من طب وهندسة وآداب باللغتين الفرنسية والانكليزية، وشهادات الحقوق والمحاماة.

وقد أصبحت المالكية أولى المدن الحضارية والثقافية والاجتماعية في سوريا، يعيش أهلها بمحبة وسلام واطمئنان، ولغاية عام ١٩٧٥ كان سكان المالكية تسعون بالمئة منهم سريان آشوريين، أما اليوم أصبح العدد يتدنّى إلى أن وصل خمسون بالمئة ولا زال يتدنّى بالرغم من حرص الحكومة السورية والرؤساء الروحيون الذين يردعون ويمنعون الهجرة إلى الخارج، وذلك لعدم إفراغ هذه الأراضي من العنصر السرياني الآشوري الأصيل وصاحب أكبر وأعظم حضارة ومدنية في سوريا وما بين النهرين.

ومنذ وجود أهل آزخ في ديريك ـ المالكية لم تحدث سرقة واحدة في هذه المدينة بالرغم من تعدد القوميات فيها من سريان آشوريين وعرب وأكراد.

لذلك ترى المزارع بين حقول المزروعات من الحنطة والقطن، والحانوتي في حانوته يتمتع بكافة خصوصياته بحرية تامة دون إزعاج مِن قِبَل الآخرين. وقد توسعت مدينة المالكية كثيراً، وأصبح مكان تلك الأبنية والبيوت القديمة من اللبن الترابي والسقوف الخشبية، بيوتاً وقصوراً ذات أربع وخمس طوابق من الاسمنت المسلّح بالآلاف.

وقد مثل من سكان المالكية في مجلس الشعب كنواب، ومنهم من استلم رؤوساء بلدية وغيرها من الوظائف العالية، وقد أصبحت المالكية من المدن الهامة من الناحية الثقافية والعلمية والاجتماعية في القطر السوري.

وفي حقل رميلان يعمل عدة آلاف من العمال الفنيين من جميع الاختصاصات ومختلف المهن، فالمالكية اليوم هي من المدن الهامة جداً من حيث مكانها الاستراتيجي كونها محاذية للحدود التركية والعراقية.

إلاّ أن مدينة المالكية لها وضع خاص وفيها كثيراً من العائلات مختلفة العقائد الدينية والقومية، ويشتركون جميعهم في الأعياد الدينية والقومية وينشدون الأغاني الجميلة ويرقصون على الموسيقا، وخاصة في عيد (باربيتا) (١) الذي يصادف في ١٥ أيار من كل عام حيث يعود تاريخ بناء هذه الكنيسة إلى عام ٣٠١م.

وفي هذا العيد يشترك جميع سكان المالكية دون استثناء، ويأتي الناس من المدن البعيدة لزيارة هذا الصرح المقدس، والاشتراك بالاحتفال الديني سنوياً، ويشترك في هذا الاحتفال رؤوساء الدوائر وكبار رجال الدولة في محافظة الحسكة.

بعد تأدية الصلاة في كنيسة (باربيتا) يخرج الزوار ويتوزعون بين البساتين لتهيئة الطعام، ويذهب البعض منهم إلى عين ديوار، ويتوزعون بين الأشجار على ضفاف نهر دجلة وجسر الرومان، يذبحون الخراف، ويعزفون على الآلات الموسيقية المتنوعة، ويرقصون الدبكة على أنغام صوت الآلات الموسيقية الجميلة، وينشدون الأناشيد والأغاني العاطفية، وتستمر الأفراح حتى قرب غروب الشمس، ثم يعودون من

١- باربيتا: كلمة آرامية (ܒܪܐ ܒܬܐ) تعني: البنت البتول نسبة إلى القديسة مريم أم المسيح.

حيث أتوا.

هكذا يعيش سكان المالكية بمحبة مع بعضهم البعض ومع الآخرين، أدام الله هذه المحبة والسلام والأمن بين الجميع برعاية القائد العظيم والأب العطوف الرئيس حافظ الأسد.

العشائر والقبائل الموجودة في مدينة آزخ

١) آل كومو (الكمكية): إنهم من سلالة الملك مانو الرابع شقيق الملك أبجر الخامس، ملَك مانو الرابع في الرها من سنة ٥ إلى ١٣م. استلم أبجر الخامس المُلك بواسطة الرومان، جاء الملك مانو الرابع مع أدى وآحي وماري بن سليمان إلى آزخ (بيت عيناتا) وكانت أول مدينة نالت بشارة السيد المسيح، تم جعل معبد الإله (زبدا) كنيسة باسم العذراء مريم وكانت أول كنيسة في ما بين النهرين وسوريا، سنة ٣٤-٣٥م.

٢) الكشلية: إنها ثاني عشيرة بالقدم بعد آل كومو، كانت تضم حوالي مائة وخمسون عائلة، حردت هذه العشيرة على أثر خصام عنيد، تركت مدينة آزخ (بيت عيناتا) وسكنت بعيداً، إلاّ أن رجالها كانوا يأتون ليلاً ويقتلعوا دوالي العنب من جذورها، وكانوا قوم أشداء وذو بأس، يقول المثل: عندما كانوا يقتلعون شجرة العنب كانت تئن وتتوجع من كثرة ما اقتلعوا من شجر العنب، فأرسل الله عليهم وباءً

قاتلاً فمات أكثرهم، فسمح لهم أهل آزخ بالعودة وأطلقوا عليهم اسم (كشلية) (١) أي الحردان.

٣) آل برصوم: أصل هذه العائلة من طورعبدين، جاءت إلى آزخ سنة ١٢١٥ من قرية أنحل برئاسة الشقيقان برصوم وعمنو، سكن برصوم الشقيق الأكبر في الجهة الشرقية من المدينة، وإلى هذه العشيرة ينتمي البطل الشماس اسطيفو حيث أصل هذه العائلة كانت قد نزحت من آزخ إلى أنحل.

٤) آل عمنو: إنه الشقيق الأصغر لبرصوم فسكن في الجهة الجنوبية على ضفاف نهر السقلان الذي يفصل مدينة آزخ إلى قسمين ونسوا القرابة التي تربطهم بآل برصوم كأبناء عمومة.

٥) البشكية: جاءت هذه العشيرة من قرية أربو بطورعبدين سنة ١٨٣٤ (٢) بعد انسحاب الأمير محمد باشا كور الراوندزي من آزخ. وقد ساعدوا أهل آزخ بعمار البيوت المدمرة والمحروقة على يد رجال الأمير محمد باشا كور، وسكنوا في مدينة آزخ منذ ذلك الحين.

١- كشلية: كلمة آرامية (ܟܫܠܐ ܟܫܠܝܐ) تعني: غضبان ـ حردان، أي: عشيرة الحردانين.

٢- بشكية: كلمة آرامية (ܒܝܫ. ܒܫܟܝܐ) تعني: البائس المحتار، جاءت هذه العشيرة من قرية أربو إلى آزخ بائسة محتارة، أطلق عليهم اسم البشكية.

٦) المصركية (آل باسوس): جاء باسوس إلى آزخ سنة ١٨٣٢-١٨٣٣ في أيام الشماس اسطيفو، أثناء حرب ابراهيم باشا المصري مع الأتراك، وقد أرسل له الأمير بدرخان بك عدة فصائل من الرجال لمساعدته على دحر الأتراك، أثناء عودة هذه الفصائل إلى جزيرة بن عمر، جاء المدعو باسوس المصري معهم وسكن في مدينة آزخ، وأطلقوا عليهم (آل باسوس المصري).

٧) القلثية: جاء خلف نيسو مع إخوته الثلاثة عبدي وكبرو ونيسان إلأى آزخ سنة ١٧٩٠ على أثر قتل شخص من قرية قلّث القريبة من ماردين مات منهم إثنان، عاش شقيقهم الأكبر خلف وسكنوا في مدينة آزخ، عندما هاجم الأمير كور مدينة آزخ كانت والدتهم نيسة مع الأسيرات اللواتي أُخذن إلى راوندوز سنة ١٨٣٤. هربت مع النساء المسبيات اللواتي هربن مع البطل ابراهيم عمنو.

٨) آل حبيب: جاء حبيب مع إخوته اسكندر وعبدالا من طورعبدين إلى آزخ سنة ١٣١٦ تقريباً والقسم الثاني منهم جاءوا من قرية كربوران، ومن عائلة عبدالا برز المطران ايشوع وشقيقه الأسقف كوركيس عبد المسيح (عبدالا) الذي قتله الأمير عز الدين شير سنة ١٨٥٥.

٩) آل خزمو (الخزموكية) (١): جاء رجل حكيم بصار إلى آزخ ثم

١- خزمو: كلة آرامية (ܚܪܫܐ) تعني: أطرش - أصم، أي: عشيرة الطرشان، إذا ما تكلمت مع أحدهم يعمل نفسه أطرش لا يسمع، فيقولون لهم: الحية (الأفعى) التي في المخلاة، إذا ما وضعت يدك في المخلاة لدغتك، وقد خرج من هذه العشيرة رجال أبطال.

١٠) آل الحدادين: جاءت هذه العائلة من قرية (مسوريا) بناء على رغبة الشماس اسطيفو للعمل في صناعة الحدادة وصنع السيوف والخناجر وتصليح البنادق والأسلحة، وإنهم مشهورون بهذه المهنة.

١١) آل نوردين: جاء المدعو نور الدين من قرية (بافيا) حوالي سنة ١٦٤٠ وسكن في مدينة آزخ، ثم اعتنق المسيحية وترز دين الإسلام، عرفوا فيما بعد بآل نوردين (نور الدين).

١٢) الجزراوية: جاءوا إلى مدينة آزخ على موجات متتالية أفراداً وجماعات منذ حوالي سنة ١٦٣٧ وسكنوا في مدينة آزخ ومن هؤلاء الذين جاءوا إلى مدينة آزخ المدعو داوود وهو من السكان القاطنين في جزيرة بن عمر، وقد جاء داوود مع المدعو أوسو السكة من آل كومو إلى مدينة آزخ ليصنع الصابون ويصبغ غزل النسيج من المرعز والصوف لصناعة الشراويل، فلما رأى انه يكسب مالاً وفيراً فضّل البقاء في مدينة آزخ، ومن ثم اعتنق المسيحية وظل تحت رعاية أوسو السكة وحمايته لذلك حسبت ذريته على آل كومو، وظلت صناعة الصابون وصباغة غزل النسيج بيد عائلة داوود لغاية سنة ١٩١٦ حيث قتل إيليا برصاصة طائشة من جنود الأتراك والعشائر الكردية اللذين كانوا يحاصرون مدينة آزخ سنة ١٩١٦.

- وهذه ذرية داوود:

داوود ولد يعقوب وبشير، يعقوب ولد لحدو ولحدو الذي أصبح قسيساً ولد بهنان وكبرو.

أما بشير ولد داوود وايليا، وداوود ولد مرقس وبشير، إيليا ولد حنا وكوركيس ومراد، حنا ترهب في دير الزعفران لغاية سنة ١٩١٥، ثم ترك الرهبنة وكان عمره خمسة وأربعون سنة، وقد اعتنق المذهب البروتستانتي، وكانت هذه العائلة تكنّى بآل داوودي، وبعد رجوع حنا ايليا إلى مدينة آزخ أصبحوا يعرفون بآل ايليا. وقد كان حنا ايليا معروفاً بالكرم والضيافة والشهامة وزعيماً على عشيرته.

الفهرس

نبذة عن حياة المؤلف	أ
مقدمة	١
آزخ بيت زبدا	٤
سقوط أورشليم	١٢
قصة هاييك والملك بعل	١٥
قصة الطوفان	٢٢
مدينة عوان ـ بينات المدمّرة	٣٢
قرية اسفس	٣٥
قرية خراب رابون	٣٨
قرية ريزوق	٣٩
قرية بارما	٤٠
أصل الكورد والأكراد	٤١
قصة لعنة الرسول على الكورد	٤٤
قصة غرام بيرم وتسبين	٥٢
بيت عيناتا ـ آزخ	٥٦
مدينة بيت عيناتا بيت زبدا آزخ	٦٣
مدينة بيت عيناتا والبشارة العظيمة	٦٦
من هو نسطور وما أصله وفصله ؟	٧١
وصية الرسول الذي أعطاها للمسيحيين	٨٥
رجوع تيمورلنك للمرة الثانية	٩٠

ظهور المهدي الكردي ٩١

السريان المسيحيين وظهور الصليبيين ١٠١

نبذة عن المحلمية ـ الأومريان ١٠٣

المعاهدات الدولية التي بحثت القضيةى الكردية ١٠٩

ـ معاهدة سيفر ١١٠

ـ معاهدة لوزان والأماني الكردية ١١١

وصية الملك حسين بن علي ١١٥

حكم الأمراء البختيون وعلاقاتهم بمدينة آزخ ١١٦

قصة البطل موسى ملكا والأمير شمس الدين ١١٩

حياة الأسقف كوركيس ١٢٤

حياة الشماس اسطيفو ١٢٥

حادثة عمر فرج ويوسف آغا زناوري ١٣٢

حادثة كاتو العلوي ١٣٩

وصية الشماس اسطيفو ١٤٤

من هو محمد باشا كور ١٥٢

قصة ابراهيم عمنو ١٥٥

من هو مصطفى باشا ١٧١

تمرّد قرية دوبيج ١٧٥

حادثة نايف مصطفى باشا مع عونيان ومثقال ١٧٨

لمحة تاريخية عن مذابح السريان في منطقة ماردين وطورعبدين ١٨٠

مشاهدات (ع ـ ب) من مواليد ١٨٩٣ ١٨٣

نزوح سكان قرية قلعة مرا ١٨٩

قرية المنصورية	١٩٠
قرية بنيبيل	١٩١
ابتداء الهجوم على بنيبيل	١٩٢
خيانة خليل غزالة	١٩٦
ظهور البعثات التبشيرية البروتستانية	١٩٩
مذابح مدينة مديات	٢٠١
دفاع قرية عين ورد	٢٠٤
دفاع مدينة آزخ	٢٠٩
قرية باسبرينا	٢١٣
رواية شيري نوالة	٢١٨
مدينة آزخ والحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤	٢٢٤
ظاهرة الصوت والمدفع العجيب	٢٤٥
صوت المدفع العجيب	٢٤٥
كيف انتصرت مدينة آزخ	٢٤٩
وضع مدينة آزخ بعد الحصار	٢٥١
كومة حسي بركات	٢٥٩
خطة حسي بركات	٢٦١
حادثة إيشوع حنا كبري	٢٧٠
المساعي الحميدة للصلح	٢٧٤
الانتفاضات والحركات القومية الكردية	٢٨٠
- فرار حاجو آغا إلى مدينة آزخ	٢٨٠
- ثورة الشيخ سعيد	٢٨٤

ـ تشكيل فيالق جيش تأديب ٢٨٥

موضوع الرسالة ٢٨٩

شيمة أهل مديات ٢٧٩

الهجرة الافرادية ٣٠١

الهجرات الجماعية الأولى ٣٠٣

حادثة فهيمة ٣٠٧

رجوع الجيش الفرنسي من الأسر ٣١١

سند تعهد ٣١٤

العشائر والقبائل الموجودة في مدينة آزخ ٣٢٦

المكتبة السريانية

حلب ☎ 4645848 ✉ 4194

نبذة عن حياة الكاتب :

-ولد يوسف لحدو مراد في مدينة آزخ سنة ١٩٢٣ وترعرع فيها إلى أن أصبح شابا يافعا

-هاجر إلى مدينة ديريك (المالكية حاليا)مثله مثل الكثيرين من أهالي مدينة آزخ بسبب الأضطهاد التركي أنذاك

-سافر إلى العراق و عمل محاسبا للشركة الفرنسية
SOCIETE NOUVELLE de CONSTRUCTIONS ET DE TRAVAUX

- عاد إلى ديريك (المالكية حاليا) و انكب على الدراسة وذلك لشغفه بالعلم و المعرفة و حصل على دبلوم في الميكانيك والسيارات من الجامعة الأهلية بالقاهرة- مصر- وذلك سنة 1958

- عمل في حقول النفط-رميلان- حوالي سنة ١٩٦٢ محاسبا لها وبعد تقاعده عمل مترجما للخبراء البلغار في المالكية لأتقانه اللغة البلغارية . كما زار عدد من البلدان العربية و الأجنبية ساعده على الأحتكاك بتلك الشعوب اتقانه عدة لغات كاللغة الفرنسية و الروسية و التركية و الفارسية و الكردية والمامه ببعض السريانية .

-انكب في أواخر حياته على تأليف كتاب آزخ عبر التاريخ الذي نقدمه كعربون محبة إلى جميع الشعب الأزخيني السرياني والشعب السرياني أجمع في الوطن و بلدان المغترب

-نقدم هذا الكتاب حسب رغبته كما كتبه بأسلوبه و طريقة سرده للأحداث دون تنقيح و تعديل لغوي دقيق .

-رقد على رجاء القيامة في ١٥/ ٦ / ١٩٩٨ دون أن تسنح له الفرصة بنشره .